المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

إسهام الوقف في دعم الحركة العلمية في القرن السابع الهجري

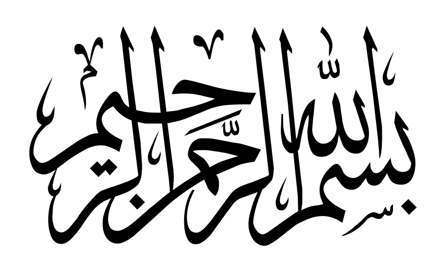
بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة

إعداد الطالب
سعيد منصور مرعي القحطاني
٤٢٨٨٠٢٠٤

إشراف الأستاذ الدكتور
السعيد محمود السعيد عثمان

الفصل الدراسي الثاني

١٤٣٠هـ - ١٤٣١هـ



قال تعالى { [illegible] }

(سورة آل عمران ، الآية ٩٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، ومصحفاً ورثه ، أو مسجداً بناه ،أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته" (ابن ماجه، رقم ٢٤٢)

إهداء

- إلى والديّ الكريمين حفظهما الله وألبسهما لبـــاس الـــصحة والعافية
- إلى جدي وجدتي حفظهما الله وألبسهما لباس الصحة والعافية
- إلى جميع أخواني و أخواتي
- إلى زوجتي الغالية "أم جنى"
- إلى دائبة الحركة .. المبتسمة دائماً .. ابنتي "جنى" ، أسأل الله أن ينبتها نباتاً حسناً
- إلى كل مطلعٍ على هذا البحث، يدعو بدعوة صالحة في ظهر الغيب.

يا ناظراً في الكتاب بعدي   مجتنياً من ثمار جهدي

بي افتقارٌ إلى دعـــــاءٍ   تهديه لي في ظلام لحدي

أصبحت بعد الغنى فقيراً   وبعد جمع الجموع وحدي

شكر وتقدير

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبدالله ، وعلى آلــه وصــحبه أجمعين .... أما بعد:

أشكر الله أولاً و آخراً ، على ما مَنَّ به علي من إتمام هذا البحث ، وأسأله جل في علاه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يكتب له القبول إنه ولي ذلك والقادر عليه سبحانه.

يطيب لي أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لمعالي مدير جامعة أم القرى الدكتور/ بكري بن معتوق عساس ، ولسعادة الأستاذ الدكتور/ زايد بن عجير الحارثي عميد كلية التربية ، ولسعادة الدكتور: نايف حامد الشريف رئيس قسم التربية الإســلامية والمقارنة ، كما أتقدم بوافر الشكر وعظيم الإمتنان لفضيلة الأستاذ الدكتور: السعيد محمود السعيد عثمان المشرف على هذه الرسالة ، على ما قدمه لي من نــصح و توجيه وعلى ما بذله من وقته في سبيل إخراج هذه الرسالة بهذه الصورة ، أســأل الله أن يجعل ذلك في موازين حسناته.

كما أجزي خالص شكري وامتناني لكلٍ من سعادة الأستاذ الدكتور الفاضل: حامــد سالم الحربي، وسعادة الأستاذ الدكتور الفاضل: محمود محمــد كــسناوي ، علــى تفضلهما بقبول مناقشة الرسالة.

كما أشكر سعادة الدكتور: نايف حامد الشريف رئيس قــسم التربيــة الإســلامية والمقارنة ، وسعادة الدكتور: عبدالناصر سعيد عطايا ، على تفضلهما بتحكيم خطة الدراسة.

كما أتقدم بوافر الشكر و الإمتنان إلى سعادة مدير مدرسة ابن زيــدون الأســتاذ: صالح البيومي ، الذي ذلل كل الصعوبات التي واجهتني أثناء الدراسة.

والشكر موصول لكل العاملين في مكتبة جامعة أم القرى ، ومكتبة جامعة الملــك عبدالعزيز ، ومكتبة صالح كامل لأبحاث الاقتصاد الإسلامي، ومكتبة الحرم المكّي الشريف ، ولكل من ساعدني أو قدم لي النصيحة ، ابتغاء وجه الله .

ملخص رسالة ماجستير

اسم الباحث: سعيد منصور مرعي القحطاني

عنوان الدراسة: إسهام الوقف في دعم الحركة العلمية في القرن السابع الهجري.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على إسهام الوقف في دعم الحركة العلمية في القرن السابع الهجري، وتوضح كيف أسهم الوقف في دعم المساجد والخوانق والأربطة و المدارس والمكتبات، والبيمارستانات ، ثم التعرف على كيفية تفعيل دور الوقف في دعم البحث العلمي و الحركة العلمية في الوقت الحاضر.

والدراسة عبارة عن فصل تمهيدي وأربع فصول رئيسية، وهي كما يلي:

الفصل الأول: خطة الدراسة وتشتمل على مقدمة الدراسة، وموضوعها، وتساؤلاتها، وأهدافها، وأهميتها، ومنهجها، وحدودها و مصطلحاتها، والدراسات السابقة.

الفصل الثاني: مفهوم الوقف في الإسلام ويشمل تعريف الوقف عند المذاهب الأربعة و حكمه ومشروعيته والحكمة منه و أنواعه وأركانه وشروط كل ركن.

الفصل الثالث: الأحوال السياسية والثقافية والاجتماعية في القرن السابع الهجري.

الفصل الرابع: إسهام الوقف في دعم الحركة العلمية في القرن السابع الهجري، ويتمثل في دعم الوقف للمساجد و الخوانق والأربطة والمدارس و المكتبات و الرعاية الصحية.

الفصل الخامس: تفعيل دور الوقف في دعم البحث العلمي والعملية التعليمية في الوقت الحاضر، وأسباب انحسار الوقف وعوامل إحيائه.

ومن أبرز **نتائج** الدراسة مايلي:

١. أن الوقف في القرن السابع الهجري خاصة ازدهر ازدهاراً عظيماً، أدى إلى نهضة علمية كبيرة وشاملة حيث أحصى الباحث ٤١٠ مؤسسة وقفية ، أفرزت علماء أفذاذ وأسماء عظيمة، لا تزال مؤلفاتهم حاضرة حتى اليوم، كالنووي، والعز بن عبدالسلام وابن تيمية ، وابن النفيس وغيرهم.
٢. أن النظام التعليمي في ذلك القرن ، كان يعتمد اعتماداً كبيراً على الوقف كمصدر أساسي لتمويله.

و أبرز **التوصيات** ما يلي:

١. التوعية الإعلامية بأهمية الوقف و الدور الذي يؤديه في تحقيق التكافل الاجتماعي.
٢. إنشاء وكالة للوقف التعليمي تتبع لوزارة التربية والتعليم ، تُشرع وتضع الأنظمة والقوانين التي تفتح المجال أمام الراغبين في الإسهام في مجال الأوقاف التعليمية.
٣. استحداث صيغ وقفية حديثة من جانب مجمعات الفقه الإسلامي، تتناسب مع متطلبات العصر الحاضر، وتتوافق مع أنظمة ولوائح وزارات التربية والتعليم والصحة والثقافة والإعلام ، حتى يتسنى للمحسنين الوقف على المجال الذي يرغبونه.

Abstract

Researcher Name: Saeed Mansour Al Tard Al-Qahtani

Title: consecration contribution supporting scientific movement in the Seventh Hijri Century.

This study aims to identify the contribution of consecration supporting the scientific movement in the seventh Hijri Century, and indicating how the consecration contributed supporting mosques, bonds, schools, libraries, and Hospitals, then identifying how to activate the consecration role supporting the scientific research and scientific movement in modern era.

The study consists of an introduction chapter and four main chapters as the following:

First chapter: study plan which includes introduction, the subject, questions, objectives, significance, methodology, limits, terms, and pervious studies.

Second chapter: the consecration concept in Islam which includes the consecration definition in the four creeds, its provisions, legal entity, the conclusion out of it, types, aspects and conditions.

The third chapter: the political, cultural, and social atmosphere in the seventh Hijri Century.

The fourth chapter: the contribution of consecration supporting the scientific movement in the seventh Hijri Century, and indicating how the consecration contributed supporting mosques, bonds, schools, libraries, and Hospitals.

The fifth chapter: activation the consecration role supporting the scientific research and scientific movement in modern era and reasons for regression of consecration and how to revive it.

The most distinctive results are as the following:

1. **The consecration in the seventh Hijri century was flourishing which led to comprehensive scientific renaissance, the researcher has counted 410 consecration establishments, which secreted genius scientists and huge names, whose books still used today, like Al-Nawawi, Al-Ezz Bin Abdulsalam, Ibn Taimiah, Ibn Al-Nafees and others.**
2. **The educational system in that century was mainly based on the consecration as a main source for fund.**

The most distinctive recommendations are:

1. **The media awareness of the importance of the consecration role to achieve social solidarity.**
2. **To establish an agency for educational consecration derived from Ministry of Education, which sets the laws and regulations for those who want to contribute in educational consecration.**
3. **Use modern consecration formulas aside with Islamic Fiqh Compounds, which suit the demands of modern age, and suit the regulations and laws of ministry of education, ministry of health, ministry of culture and media, so the charity people recognize the field they want.**

قائمة المحتويات

الفصل الأول

خطة الدراسة

- المقدمة
- موضوع الدراسة
- تساؤلات الدراسة
- أهداف الدراسة
- أهمية الدراسة
- منهج الدراسة
- حدود الدراسة
- مصطلحات الدراسة
- الدراسات السابقة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ، و نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أشهد أن محمداً عبدُه و رسولُه{ $pkš‰r'¯»tƒ tûïÏ%©!$# (#qãZtB#uä (#qà)®?$#

©!$# ¨,ym ¾ÏmÏ?$s)è? Ÿwur ¨ûèòqèÿsC žwÎ) NçFRr&ur tbqßJÎ=ó¡B } Ç⊇⊃⊄È [(١)]

{$pkš‰r'¯»tƒ â¨$¨Z9$# (#qà)®?$# ãNä3/u' "Ï%©!$# /ä3s)n=s{ `ÏiB <§øÿ¯R ;oy‰Ïnºur t,n=yzur $pk÷]ÏB

$ygy_÷ry— £]t/ur $uKåk÷]ÏB Zw%y`Í' #ZŽÏVx. [ä!$|¡ÎSur 4 (#qà)¨?$#ur ©!$# "Ï%©!$# tbqä9uä!$|¡s? ¾ÏmÎ/ tP%tnö'F{$#ur 4 ¨bÎ) ©!$# tb%x. öNä3ø‹n=tæ

$Y6ŠÏ%u' } Ç⊇È [(٢)]

{$pkš‰r'¯»tƒ tûïÏ%©!$# (#qãZtB#uä (#qà)®?$# ©!$# (#qä9qè%ur Zwöqs% #Y‰ƒÏ‰y™ ÇÐÉÈ ôxÎ=óÁムöNä3s9 ö/ä3n=»uHùår& öÏÿøótƒur

öNä3s9 öNä3t/qçRèŒ 3 `tBur ÆìÏÜム©!$# ¼ã&s!qߙu'ur ô‰s)sù y—$sù #·—öqsù $¸JŠÏàtã } ÇÐÊÈ [(٣)]

أما بعد:

تعيش الأمة الإسلامية اليوم واقع غير مُرضي فـي أغلـب النـواحي الاجتماعيـة والسياسة والعلمية ولا ريب أن سبب هذا التراجع هو البعد عن التعاليم الإسـلامية أو عدم فهمها بالشكل الصحيح، وكذلك التخلف العلمي الذي يزداد اتـساعا بيننـا وبـين الغرب يوما بعد يوم، خاصة في هذا الزمن المتسارع الـذي لا ينتظـر المتقاعـسين، وأسباب هذا التخلف العلمي كثيرة، أهمها على الإطلاق قصور المؤسـسات التعليميـة عن القيام بمهامها على الوجه الأكمل، وهذا القصور إما لأسباب داخلية تتعلـق بهـذه المؤسسات، أو لأسباب خارجة عن إرادتها تتمثل فيما يحيط بها من تقلبـات سياسـية واجتماعية، ولذا كان لزاما على الأمة الإسلامية أن تنتشل نفسها من هـذا الوضـع لا

---

[1] سورة ال عمران ، آية ١٠٢.

[2] سورة النساء ، آية ١.

[3] سورة الأحزاب ، آية ٧٠-٧١.

سيما وان الله قد فضلها على باقي الأمم فقال سبحانه { [illegible] }[١]

ولكي تتقدم هذه الأمة ينبغي أن يجتهد العلماء والقادة والتربويون في صياغة نظم تعليمية راقية تحقق التقدم العلمي، والأمة الإسلامية تتكئ على ماضي عريق مشرق أنار العالم وساهم في إثراء الحضارة الإنسانية عامة، فينبغي أن لا نقطع صلتنا بهذا الماضي، وكذلك أن لا نقف عند حد التمجيد والتغني بمآثر الأولين وإنما ينبغي أن نبحث عن الأسباب التي جعلت الأمة الإسلامية مؤهلة لأن تقود الأمم في ذلك الزمان وأن ننقب عن العوامل التي أسهمت في تطور الحركة العلمية في ذلك الوقت،ثم نحاول تقديم حلول عصرية تنهض بالعملية التعليمية خاصة والحركة العلمية عامة برؤية إسلامية تتناسب مع متطلبات القرن الحادي والعشرين ولا تتخلع من الماضي المجيد للأمة الإسلامية.

وحتى تقود الأمة الإسلامية العالم من جديد، فإنه لابد أن تعمل على تطوير أنظمتها المدنية وخاصة أنظمتها التعليمية، التي تعاني من قلة المخصصات المالية نتيجة اعتماد وزارات التربية والتعليم على الموارد الحكومية بالكلية، وهذا بدوره يجعل العملية التعليمية تتأثر سلباً بانخفاض ميزانيات الدول.

ولذلك فقد شرع الإسلام رافدً آخر لتمويل الحركة العلمية، ألا وهو الوقف الإسلامي الذي يؤكد الدارسون في تاريخ المجتمعات الإسلامية أنه من أهم المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي عبر تاريخه الطويل، " فالوقف يمثل بؤرة النهضة العلمية والفكرية العربية والإسلامية على مدار القرون، حيث أسهم

---

[1] سورة ال عمران ، آية ١١٠.

الواقفون من حكام ووزراء وعلماء وأفراد في مساندة المسيرة العلمية، وبالتالي إتاحة المعرفة لكافة طبقات المجتمع دون أدنى تمييز"[١].

ويُعد الوقف بمفهومة الواسع أصدق صور التكافل الاجتماعي، حيث إن خدماته تمتد لتشمل الفقراء والأرامل والأيتام، بالإضافة إلى انه يحقق مبدأ تكافؤ الفرص للطلبة الفقراء الذين لا يستطيعون تحمل نفقات طلب العلم، فكانت المدارس الوقفية والأربطة والخوانق تستقبلهم وتُؤيهم، فالإمام ابن كثير مثلاً ، يقول في حديثه عن المدرسة النجيبية " وبها إقامتنا، جعلها الله داراً تعقبها دار القرار في الفوز العظيم "[٢]، أما أبو شامة شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي الذي توفي سنة خمس وستين وستمائة، صاحب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية فيقول عن المدرسة العادلية الكبرى "وهي المأوى وبها المثوى ، وفيها قدر الله سبحانه وتعالى جمع هذا الكتاب ، فلا أقفر الله ذلك المنزل ولا أقوى آمين "[٣] ، ويقصد كتاب الروضتين.

وفي القرن السابع الهجري خاصة، ازدهر الوقف ازدهاراً واضحاً في شتى المجالات الوقفية يقول محمد كرد علي صاحب كتاب خطط الشام " ومما انفرد به هذا القرن على صورة لم يسبق لها مثال ، إنشاء ثلاث مدارس للطب ومدرسة للهندسة في دمشق ، فكان في هذه العاصمة أعظم جامعة إسلامية عربية حوت العلوم الدينية والدنيوية"[٤].

---

[1] ساعاتي، يحيى محمود: الوقف وبنية المكتبة العربية. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٠٨هـ، ص٩.

[2] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .ط٣، تحقيق صدقي محمد العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٩هـ ، جزء٩ ، ص١٢٨ .

[3] أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. مطبعة وادي النيل، القاهرة، ١٢٨٧هـ، جزء ١، ص٢١٤.

[4] علي ، محمد كرد : خطط الشام . دار العلم للملايين، بيروت ، ١٣٩٠هـ ، جزء٣، ص٤٤ .

وقد أحصى عز الدين ابن شداد الذي عاش في القرن السابع الهجري، فـي كتابـه الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ٩٢ مدرسة بما فيها المدارس الطبية، و٦٦٠ مسجداً ، و١٩ خانقاة ، و١٩ رباطاً ، جميعها في دمشق، وأمَّا حلب فقد ذكـر فيها ٥٤ مدرسة وثلاثة خوانق ومثلها أربطة.

ثم جاء بعد ذلك عبد القادر بن محمد النعيمي صاحب كتاب الـدارس فـي تـاريخ المدارس، فنقل عن ابن شداد وتوسع في ذكر تراجم من درَّس بهذه المـدارس ، وقـد يقوم بزيارة بعض هذه المدارس بنفسه، ويذكر أوقافها، وينقل ملاحظته عنهـا، يقـول عند زيارته للمدرسة الأكزية " وقد رسم على عتبة بابها ما صورته بعـد البـسملة : وقف هذه المدرسة على أصحاب الإمام أبي عبدالله محمد بـن إدريـس الـشافعي **t** الأمير أسد الدين أكز في ست وثمانين وخمسمائة ، وتمت عمارتها فـي أيـام الملـك الناصر صلاح الدين و الدنيا ، ومنقذ البيت المقدس من أيدي المشركين ، أبي المظفر يوسف بن أيوب محي الدولة أمير المؤمنين ، الدكان التي شرقيها وقف عليها، والثلث من طاحون اللوان، سنة سبع وثمانين وخمسمائة "[١].

وهذانِ الكتابان يعتبران مصادر تاريخية فريدة تُؤرخ لحال الأوقـاف فـي القـرن السابع الهجري، خاصة في دمشق، وتشرح بالتفصيل أمـاكن مـساجدها ومدارسـها ومؤسسيها و أوقافها ومن درَّس بها؛ وقد وجدت وصف أبنية هذه المدارس وما بها من فن العمارة الإسلامية في كتاب القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لمؤلفه محمد ابن طولون الصالحي.

وأمَّا ما يتعلق بحال الأوقاف في مصر فقد ذكر المقريزي فـي كتابـه المـواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جوامعهـا ومـساجدها ومـا بهـا مـن المـدارس والبيمارستانات والخوانق والأربطة والزوايا والمشاهد، وتبعه في ذلك السيوطي فـي

---

(1) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس. دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠هـ، جزء١ ، ص١٢٤.

كتابه حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، وقد أحصيت من خلال هذين الكتابين ٢٥ مدرسة وعدة مساجد وخوانق، مما كان قائماً في القرن السابع الهجري.

وأمَّا اليمن في القرن السابع الهجري فقد شهد ثورة في بناء المدارس، خاصةً في عهد الدولة الرسولية التي قامت في الثلث الأول من ذلك القرن، يقول احد الباحثين في معرض حديثه عن نشوء المدارس اليمنية " وكان للقرن السابع الهجري النصيب الأوفر من هذه المدارس ، حيث تجاوزت فيه مساهمة فئات المجتمع من غير حكام بني رسول الخمسين مدرسة ، كان للحاشية من النساء و الخدم الجزء الأكبر منها ، فبلغ ما أسسته هذه الفئة في هذا القرن حوالي ثلاثين مدرسة "[١].

ومن المصادر التاريخية لمدارس اليمن كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لمؤلفه موفق الدين الخزرجي الذي ذكر فيه عدداً من الجوامع والمدارس عند ترجمته لأعلام القرن السابع الهجري، فكان يذكر مكان المدرسة ومؤسسها ويوضح إن كان لها وقف.

وفي ضوء ما سبق يحاول الباحث رسم صورة عن حال الأوقاف في القرن السابع الهجري، الذي كان بحق" العصر الذهبي لنظام الأوقاف "[٢] ، باعتباره نموذجاً لإعادة إحياء دور الوقف في الوقت الحاضر بما يتناسب مع متطلبات العصر، فالمجتمعات الإسلامية اليوم بأمس الحاجة لإيجاد موارد أخرى غير المصروفات الحكومية، تدعم مؤسسات البحث العلمي، والمؤسسات التعليمية والصحية.

---

[1] السنيدي ، عبدالعزيز بن راشد : المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية . مطبعة سفير ، الرياض ، ١٤٢٤هـ ، ص ٥٥ .

[2] أمين ، محمد محمد : ازدهار الأوقاف في عصر سلاطين المماليك . مؤتمر الأوقاف الأول ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٢هـ ، جزء٣ ، ص٢٤١ .

وقد تنبهت بعض الدول الإسلامية لأهمية الدور التنموي للوقـف، فكانـت هنـاك بعض التجارب الناجحة، مثل تجربة الأمانة العامة للأوقاف الكويتية التي تمثلت فـي تجربتين هما[1]:

١. تجربة الصناديق والمشاريع الوقفية. وهي عبارة عن قالب تنظيمي _ ذي طابع أهلي _ يتمتع بذاتية الإدارة، ويشارك في مسيرة التنمية الوقفية والدعوية للوقف والقيام بالأنشطة التنموية من خلال رؤية متكاملة تراعي احتياجات المجتمـع و أولوياته.

٢. تجربة استثمار أموال الوقف.

" وتهدف إلى الحفاظ على الأصول الوقفية القديمة والحديثة، وتنميـة رؤوس أموالهـا وحماية قيمتها من التغيرات الاقتصادية "[٢]

ومع هذه السياسة الحكيمة بلغ حجم الأوقاف الجديدة المنشأة عام ١٩٩٦م ما يزيد عـن ٤ مليون درهم كويتي، وصافي إيرادات الاستثمار الوقفي إلى ما يزيد عن ١٠ مليون درهم كويتي.

وفي المملكة العربية السعودية " أسست هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية التابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة (صندوق سنابل الخير) الذي كان له الأثر الكبيـر فـي دعم بعض المشاريع الخيرية "[٣]

موضوع الدراسة:

يحتل موضوع الوقف اهتمام الكثير من المسلمين قديماً وحديثاً منذ عهد النبوة، وقام الصحابة رضوان الله عليهم بوقف أنفس ما يملكون وحبس أكرم ما يحبون، وقد توالت

---

[1] الشريف، محمد عبد الغفار: تجربة النهوض بالدور التنموي للوقف في دولة الكويت. مؤتمر الأوقـاف الأول ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٢هـ، جزء ٤، ص٢٣-٢٩.

[2] الجهني، مانع بن حماد: الإفادة من التجارب المعاصرة لبعض الدول الإسلامية في مجال الوقف. بحـث مقـدم لندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية ، مكة المكرمة ، ١٤٢٠هـ، ص١٢.

[3] العليوي، راشد بن احمد: الصيغ الحديثة لاستثمار الوقف وأثرها في دعم الاقتصاد. . بحث مقدم لنـدوة مكانـة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والـدعوة والإرشـاد ، مكـة المكرمـة ، ١٤٢٠هـ، ص٢٨.

جموع الصحابة رضوان الله عليهم على العمل بهذه السنة الكريمة، وعلى هذا النهج القويم سار التابعون ومن بعدهم عبر العصور الإسلامية المتعاقبة، وتسابقوا في هذا المضمار، فكانوا يبادرون إلى وقف أنفس ممتلكاتهم، ويسارعون إلى حبسها ليصرف ريعها على المجالات الخيرية، والدينية والاجتماعية، وعن طريقها يتحقق الخير والصلاح والنفع العام للمسلمين.

ثم تطور الوقف الإسلامي حتى أضحت الأوقاف أهم الموارد المالية للمؤسسات الدينية والتعليمية والصحية، فقد تكفلت الأوقاف بمعظم أعباء التعليم، وبسببه نشطت الحركة العلمية في البلاد الإسلامية نشاطاً منقطع النظير. ويمكن الاعتماد من جديد على الأوقاف كممول رئيس للعملية التعليمية، حيث كثيراً ما اعتمدت المدارس والجامعات الإسلامية على الوقف، ويرى شوقي دنيا ضرورة " إعطاء هذا النظام الاهتمام الكافي من رجال الفكر الإسلامي عامة ورجال الاقتصاد الإسلامي خاصة، بحيث تتوالى الدراسات والأبحاث فيه من اجل إعادته كما كان"[١].

ومن منطلق أهمية الوقف تولد لدى الباحث قناعة تامة لإجراء دراسة تُأرخ للوقف في القرن السابع الهجري تحديداً، نظراً لما تميز به هذا العصر من كثرة الأوقاف التي أسهمت في دعم الحركة العلمية، لنأخذ من ذلك القرن نموذجاً ناجحاً، في كيفية تكامل المؤسسات الوقفية ، من أجل خدمة المجتمع المسلم، وذلك وفق متطلبات العصر الحاضر، كي ندفع بالحركة العلمية نحو مجالات أرحب وأوسع.

تساؤلات الدراسة:

تنطلق أسئلة الدراسة من السؤال الرئيس التالي:

- ما إسهام الوقف في دعم الحركة العلمية في القرن السابع الهجري؟

وتتفرع عنه التساؤلات الفرعية التالية:

---

[1] دنيا، شوقي أحمد: أثر الوقف في إنجاز التنمية الشاملة. مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، عدد٢٤، ١٤١٥هـ، ص٨٥.

- ما مفهوم الوقف في الإسلام؟
- ما الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية في القرن السابع الهجري ؟
- ما إسهام الوقف في في دعم المساجد والخوانق والأربطة في القرن السابع الهجري ؟
- ما إسهام الوقف في دعم المدارس وطلاب العلم في القرن السابع الهجري ؟
- ما إسهام الوقف في دعم المكتبات في القرن السابع الهجري؟
- ما إسهام الوقف في مجال الرعاية الصحية في القرن السابع الهجري ؟
- كيف يمكن تفعيل دور الوقف في دعم الحركة العلمية في الوقت الحاضر؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

١. التعرف على إسهام الوقف في دعم الحركة العلمية في القرن السابع الهجري.
٢. التعرف على مفهوم الوقف في الإسلام.
٣. التعرف على الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية في القرن السابع الهجري.
٤. توضيح إسهام الوقف في دعم المساجد والخوانق والأربطة في القرن السابع الهجري.
٥. توضيح إسهام الوقف في دعم المدارس وطلاب العلم في القرن السابع الهجري.
٦. توضيح إسهام الوقف في دعم المكتبات في القرن السابع الهجري.
٧. توضيح إسهام الوقف في مجال الرعاية الصحية في القرن السابع الهجري.
٨. التعرف على كيفية تفعيل دور الوقف في دعم الحركة العلمية في الوقت الحاضر.

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في كونها تثبت حقيقة أن الوقف هو الركيزة الأساسية التي كان يعتمد عليها نظام التعليم الإسلامي، بالإضافة إلى إسهامه في دعم المجال الديني

والاجتماعي والصحي والثقافي، وذلك من خلال إيراد الباحث لأكثر من ٤٠٠ مؤسسة وقفية كانت منتشرة في القرن السابع الهجري، و أن القضية ليست مجرد اجترار لعبارات هنا وهناك، وإنما إثبات لتلك الحقيقة ، بالأدلة والشواهد المبثوثة في كتب التراث الإسلامي ، كما تكتسب هذه الدراسة أهميتها فيما يلي:

١. كونها تحاول إلقاء الضوء على هذا النظام الإسلامي الفريد، الذي يعزز التكافل الاجتماعي ويحقق العدالة الاجتماعية.
٢. كونها تسعى إلى معرفة الأسباب والعوامل التي أدت إلى نهوض الحركة العلمية في القرن السابع الهجري، للخروج بنتائج ومقترحات تتواءم مع الاحتياجات الآنية، لتفعيل دور الوقف في خدمة تمويل وتنويع الدخل للمؤسسات التعليمية.
٣. كون هذه الدراسة تكشف جانباً مشرقاً من رُقي الحضارة الإسلامية في القرن السابع الهجري، لم تتم دراسته من قبل _ حسب إطلاع الباحث _ إلا ما ورد عرضاً في بعض الكتب والدراسات.
٤. كونها تأتي استجابة إلى ما جاء في عدد من الدراسات من توصيات تدعو الجامعات و المعاهد الإسلامية إلى الاهتمام بالوقف عن طريق فتح أبواب البحث في مجال الأوقاف، وتشجيع الباحثين في هذا المجال.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج التاريخي في رصد المؤسسات الوقفية في القرن السابع الهجري، ويعرف المنهج التاريخي بأنه "دراسة أحداث الماضي وتطور الموضوعات وتفسيرها مع توثيقها "[١] أو هو المنهج "الذي يهتم بجمع الحقائق والمعلومات من خلال دراسة الوثائق والسجلات والآثار"[٢] كما استخدم الباحث المنهج الوصفي وهو" المنهج الذي يرتبط بظاهرة معينة بقصد وصفها وتفسيرها"[٣]

ويعرف أيضا بأنه"المنهج الذي يعتمد على جمع البيانات وتحليلها واستخراج

---

[1] يالجن ،مقداد:مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية. دار عالم الكتاب، الرياض، ١٤١٩هـ ، ص١٧.

[2] عبيدات،ذوقان وآخرون:البحث العلمي مفهومه وادواته. دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٧٩.

[3] العساف، صالح: المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية. مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ، ص١٨٩.

الاستنتاجات منها ذات الدلالة والمغزى بالنسبة للموضـــوع أو المـــشكلة المطروحـــة للبحث"[١].

حدود الدراسة:

حدود موضوعية: الوقف الإسلامي وإسهامه في دعم الحركة العلمية.

حدود زمانية: القرن السابع الهجري من عام ٦٠٠هـ إلى عام ٦٩٩هـ

حدود مكانية: مدينة دمشق ومصر واليمن ، ويمكن العروج إلى ذكر بعض الأوقـــاف في مكة والقدس وبغداد وحلب وتونس.

مصطلحات الدراسة:

الوقف: و"هو تحبس الأصل وتسبيل المنفعة"[٢]

المدرسة: وهي" الموضع الذي يدرس فيه"[٣]

الخانقاه أو الخانكاه: " جمع خانكاه وهي كلمة فارسية معناها بيت وقيل أصلها خونقـــاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى"[٤].

الأربطة: " وهي عبارة عن معاهد موقوفة على الفقراء والمحتاجين ، وهـــي بمعنـــى الزاوية "[٥]

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على ما توفر للباحث من كتب وبحوث علمية، وبرغم وفـــرة الدراســـات العلمية التي تكلمت عن الوقف الإسلامي إلا انه لا توجد دراسة سابقة تركز على دور

---

(1) جابر،عبدالحميد جابر، كاظم، احمد خيري: منهج البحث في التربية وعلم النفس. ط٢، دار النهـــضة العربيـــة، القاهرة، ١٩٩٧م ، ص١٣٦.

(2) ابن مفلح ، برهان الدين إبراهيم محمد : المبدع شرح المقنع . ط٣، المكتب الإسلامي ، ١٤٢١هـــ، جزء٥ ص ٣١٣ .

(3) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثـــار. مكتبـــة الآداب ، القـــاهرة ، ١٩٩٦م، جزء٤ ، ص١٩١.

(4) المرجع سابق ، جزء٤، ص٢٧١.

(5) صبري ، عكرمة سعيد : الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق. دار النفـــائس ، الأردن ، ١٤٢٨هـــــ ، ص ٤٣٨ .

الوقف في القرن السابع الهجري خاصة، ولكن توجد دراسات كثيرة ركزت على المفهوم الشرعي للوقف الإسلامي وأنواعه وأحكامه، ودراسات وبحوث أسهبت في الحديث عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للوقف،كما يوجد بعض الدراسات التاريخية عن القرن السابع الهجري، وهذه بعض الدراسات التي استفدت منها:

الدراسة الأولى:

بعنوان: (تفعيل دور الوقف في تمويل جامعات المملكة العربية السعودية)[١]

وقد ذكرت الباحثة عدة **أهداف للدراسة** وهي كما يلي:

١. معرفة دور الوقف الإسلامي في تمويل الجامعات والمؤسسات التعليمية.
٢. معرفة التجارب العالمية القائمة في تفعيل دور الوقف نحو تمويل الجامعات.
٣. تحديد واقع الوقف في وقتنا الحاضر في تمويل الجامعات السعودية.

منهج الدراسة:

أما المنهج الذي استخدمته الباحثة فهو المنهج الوصفي وهو المنهج الذي يرتبط بظاهرة معينة بقصد وصفها وتفسيرها

وقد خرجت الباحثة **بالنتائج** التالية:

١. إعطاء هذا النظام الاهتمام الكافي من رجال الفكر الإسلامي عامة ورجال الاقتصاد الإسلامي خاصة، بحث تتوالى الدراسات والأبحاث فيه من اجل إعادته كما كان.
٢. ضرورة أن تكيف الجامعات نفسها كي تكون مستقلة مالياً، ولديها الكفاية بما تقدمه من خدمات لغيرها.
٣. ضرورة أن تنشط الأوقاف لدعم الإنفاق المستقبلي على البرامج البحثية في الجامعات لكي تخفف الضغط على الحكومات.
٤. أن المؤسسات الوقفية من أهم موارد التعليم الإسلامي.

---

[1] الحضرمي، نوف: تفعيل دور الوقف في تمويل الجامعات. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، قسم الإدارة التربوية والتخطيط، جامعة أم القرى، ١٤٢٥هـ.

الدراسة الثانية:

بعنوان (نظام الوقف في الإسلام حتى نهاية العصر العباسي الأول) (١)

وقد ذكر الباحث عدة **أهداف للدراسة** دفعته لاختيار الموضوع وهي:

١. تحديد التعريف المختار للوقف،وأدلته.

٢. معرفة أحكام الوقف.

٣. معرفة حكم الوقف من حيث اللزوم من عدمه.

٤. معرفة نشأة الوقف في صدر الإسلام وتطوره التاريخي.

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي.

أما ابرز **النتائج** فهي:

١. أن الوقف لم يجد الاهتمام الكبير في إطار الدراسات التاريخية والحضارية، ولذلك يجب دراسته بشكل أوسع.

٢. يجب تحري كنه هذا النظام المتميز وإبراز جوانبه وتطوره.

٣. أن الوقف الإسلامي سمة مشرقة في تاريخ الأمة الإسلامية.

٤. أن الوقف لا ينحصر في المساجد والجهاد أو تيسير الحج فقط بل يتعدى ذلك إلى التعليم والصحة والنقل وغيره.

الدراسة الثالثة:

بعنوان (أثر الوقف على الدعوة إلى الله تعالى) (٢)

وقد ذكر الباحث من **الأهداف**، ما يلي:

١. إبراز وظيفة الوقف في شتى مجالات الحياة الإنسانية .

٢. بيان أثر الوقف في خدمة الدعوة الإسلامية.

٣. بيان أثر الوقف في الرعاية الاجتماعية.

---

(1) الزهراني، علي: نظام الوقف في الإسلام حتى نهاية العصر العباسي الأول. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، قسم الدراسات العليا الحضارية، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ.

(2) المهيدب، خالد بن هدوب بن فوزان: أثر الوقف على الدعوة إلى الله تعالى. رسالة ماجستير منشورة، دار الوراق ، الرياض ، ١٤٢٥هـ .

٤. إيضاح مدى حاجة المؤسسات الدعوية العاملة في حقل الدعوة إلى الوقف لتنفيذ مشاريعها في أنحاء العالم المختلفة.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج التاريخي وكذلك المنهج الاستقرائي.

وقد خلص الباحث إلى **النتائج** التالية:

١. أن الوقف في الإسلام من أعظم القربات التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى.
٢. كثرة الأوقاف وزيادتها بسبب الفتوحات الإسلامية كانت سببا في تخصيص ديوان مستقل لها.
٣. اتساع الأوقاف وإسهامها في تنمية المجتمعات الإسلامي وتحقيقها للتكافل الاجتماعي بين المسلمين.
٤. إسهام الوقف في دعم المجالات الاجتماعية المختلفة في البلاد الإسلامية ساعد على تخفيف العبء عن الدولة آنذاك.

الدراسة الرابعة:

بعنوان (الوقف و دوره في المجتمع الإسلامي المعاصر) [١]

وقد ذكر الباحث من **الأهداف**، ما يلي:

١. إبراز دور الوقف باعتباره يمثل عنصراً أساسياً من مصادر التمويل الإسلامي لإقامة المشروعات وتوفير العطاءات .
٢. توضيح دور الوقف في الحفاظ على الشخصية الإسلامية في المجتمعات المختلطة(إسلامية ومسيحية) وفي دول الإغتراب (الأقليات المسلمة).
٣. إبراز أهمية إقامة المجتمعات الأهلية ومؤسسات النفع العام في الوقت الحاضر والتي حض الإسلام على إقامتها.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي.

---

[1] منصور، سليم هاني: الوقف و دوره في المجتمع الإسلامي المعاصر. رسالة دكتوراه منشورة، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٢٥هـ .

وقد ثبت للباحث من خلال هذه الدراسة أن الوقف التصق في وجدان الأمة، وعميق بنيانها حتى غدت أمة الوقف ، وقد تغلغل هذا الفعل في تفاصيل الحياة الإسلامية ، حتى أصبح أمراً مأنوساً عادياً ، على العكس من العهود الأخيرة التي يعد فيها هذا الفعل استثنائياً.

خلاصة الدراسات السابقة والتعقيب عليها:

من خلال ما تم عرضه من دراسات يرى الباحث أن تلك الدراسات ركزت على أهمية الوقف الإسلامي ودوره الرئيسي في خدمة وتنمية المجتمع الإسلامي، فقد تعرضت دراسة علي الزهراني لموضوع الوقف الإسلامي من كافة جوانبه الشرعية والفقهية بالإضافة إلى الدور الاجتماعي للوقف في العصر العباسي، وعن نظام إدارة الأوقاف في ذلك العصر،أما دراسة نوف الحضرمي فقد تناولت نظام الوقف باعتباره بديلاً جديداً لتمويل الجامعات، كما تناولت سبل تفعيل الوقف والآليات المناسبة لتنمية موارد الجامعات، أما دراسة خالد المهيدب فقد ركزت على سبل تفعيل دور الوقف في الدعوة إلى الله خاصةً على وسائل الدعوة وأساليبها وميادينها، أما دراسة هاني منصور فقد أسهبت في ذكر مشكلات الوقف قديماً وحديثاً، واقترحت حلولاً تتناسب مع روح العصر.

وقد استفاد الباحث من تلك الدراسات في عرضها للجوانب الفقهية للوقف وتناولها لأنواع الوقف وأثره في المجالات الدينية والاجتماعية وغيرها، إلا أن الدراسة الحالية تختلف عن غيرها في كونها ترصد المؤسسات الوقفية في القرن السابع الهجري وتوضح الدور التنموي الذي حققه الوقف والازدهار العلمي والثقافي الذي صاحب وفرة المؤسسات الوقفية في ذلك القرن، كما أن هذه الدراسة قدمت وصفاً للأحوال السياسية والاجتماعية السائدة في القرن السابع الهجري بشكل مجمل اعتماداً على المصادر التاريخية الأصيلة، كما تناولت أسباب انحسار الوقف في الوقت الحاضر وعوامل إحيائه ، وقدمت بعض المقترحات والتوصيات التي قد تساعد في إيجاد موارد أخرى تدعم العملية التعليمية.

الفصل الثانـي

مفهوم الوقف في الإسلام

المبحث الأول : تعريف الوقف

المبحث الثانـي : حكم الوقف ومشروعيته

المبحث الثالث : حكم الوقف من حيث اللزوم وعدمه

المبحث الرابع : الحكمة من مشروعية الوقف

المبحث الخامس : أنواع الوقف

المبحث السادس : أركان الوقف وشروطه

تمهيد

يعتبر نظام الوقف الإسلامي تشريع إسلامي فريد ، له أحكامه الخاصة التي اجتهد علماء الفقه من جميع المذاهب في إفراد أبواب مستقلة لدراسة أحكامه ،وألفاظه، وحكمه من حيث اللزوم وعدمه والحِكمة من مشروعيته، وأنواعه، وأركانه، وشروطه، وغيرها من المباحث الفقهية، نظراً لما للوقف من أهمية في المجتمع المسلم ، ونظراً لارتباط الوقف بالمسلمين منذ عهد النبوة إلى وقتنا الحاضر ، فلا يزال المحسنون يوقفون كرائم أموالهم ابتغاء مرضاة الله والدار الآخرة حتى يومنا هذا.

وفي هذا الفصل سيتناول البحث الحديث عن مفهوم الوقف في الشريعة الإسلامية ، وتعريفه عند المذاهب الأربعة، وبعض المباحث المهمة التي لا يمكن إغفالها عند الحديث عن الوقف، معتمداً على أقوال الفقهاء المتقدمين ما أمكن.

المبحث الأول

تعريف الوقف

الوقف لغةً : يأتي الوقف بمعانٍ عدة منها **السُكون** ، يقال " وَقَفَ يقفُ وَقَفَاً : دام قائماً وسكن " [١]، " ووقفت الدابةُ تقف وقفاً ووقوفاً: سكنت"[٢]، ومنها **المنع** ، تقول " وقفت الرجل عن الشيء وقفاً : منعته عنه " [٣].

ومنها **الإقلاع** ، تقول " أَوْقَفْتُ عن الأمر الذي كنت فيه ، أي أقلعت "[٤] " وأوقف عنه : أمسك وأقلع " [٥].

ومنها **الحَبْسُ** وهو من أقرب المعاني للوقف ، " وقف الدار ، حبسها في سبيل الله، ويقال وقفها له وعليه "[٦] .

" ووقف الدار على المساكين ، إذا حَبَّسها لأن الدار مؤنثة اتفاقاً " [٧] ، " وقفت الدار وقفاً حبستها في سبيل الله ، وهي موقوفة ووقف ، ويجمع على أوقاف " [٨].

ويقال " وقفه في موضع : أي حبسه " [٩]، " والوقف بالفتح وسكون القاف الحبس والمنع " [١٠]

---

[1] اليسوعي، لويس معلوف: المنجد في اللغة .المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٠م ، ص ٩١٤ .

[2] الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير. دار القلم ، بيروت ، د.ت ، جزء ١، ص ٩٢٢.

[3] المرجع السابق، ص٩٢٢.

[4] الجوهري ، إسماعيل بن حماد: معجم الصحاح. دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٦هـ ، ص ١١٥٥ .

[5] الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ، ص١١١٢ .

[6] اليسوعي، لويس معلوف: المنجد في اللغة ،مرجع سابق ، ص ٩١٤.

[7] الزبيدي ، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس. دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ ، جزء ١٢ ، ص ٥٢٨ .

[8] رضا ، الشيخ أحمد: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٨٠هـ ، جزء ٥، ص ٨٠ .

[9] الحميري ، نشوان بن سعيد: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤٢٠هـ ، جزء ١١، ص ٧٢٥٦ .

[10] التهانوي، محمد علي: كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٨هـ ،جزء ١١، ص٣٤٨

" واحْبسْتُ فرساً في سبيل الله ، أي : وقفتُ ، فهو مُحَبْسٌ وحَبِيسُ ، والحُبْسُ بالضَّم : ما وُقِفَ " [١].

ونستخدم كلمة وَقَفَ وبعض اشتقاقاتها في المجاز مثل : "وقف على المعنى ، أحاط به، وكذا قولهم أنا متوقف في هذا ، لا أمضي رأياً ، ووقف عليه عاينه" [٢] "ويقال للموقوف وَقْف تسميةً بالمصدر " [٣].

إذاً ومن خلال ما سبق يتضح أن الألفاظ الثلاثة – **الوقف والحبس والتسبيل** – مترادفة المعاني ، ولذلك عدها بعض الفقهاء من الألفاظ الصريحة التي يثبت بها الوقف، يقول العلامة موفق الدين ابن قدامة عن ألفاظ الوقف فـ "صريحة: وقفت وحبست وسبلت،وكناية: تصدقت وحرمت وأبدت" [٤].

ويقول البعلي في كتابه المطلع على أبواب المقنع " وقف الشيء وأوقفه ، وحبسه وأحبسه ، وسبله ، كله بمعنى واحد" [٥].

ونلاحظ كذلك أن مسمى الوقف يتغير من مكان للآخر، فمثلاً يميلون في المشرق العربي إلى مسمى الوقف وفي المغرب يستخدمون كلمة الأحباس ، وفي بعض الأماكن تُسمى الآبار الموقوفة سبيل ، ولكنهم يتفقون جميعاً على أن هذه الأعيان تجري عليها أحكام الوقف .

---

(1) الجوهري ، إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠هـ ، جزء ٣، ص ٧٥ .

(2) الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس. مرجع سابق، جزء ١٢، ص٥٢٨

(3) اليسوعي ، لويس معلوف: المنجد في اللغة . مرجع سابق ، ص ٩١٤ .

(4) ابن مفلح، أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد: المقنع وبحاشيته المبدع في شرح المقنع. ط٣ ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢١هـ، جزء ٥، ص٣١٤.

(5) البعلي ، شمس الدين محمد بن أبي الفتح: المطلع على أبواب المقنع . المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٨٦هـ، جزء ١، ص٢٨٥.

تعريف الوقف شرعاً :

تعددت أقوال العلماء في تعريف الوقف تبعاً لاختلاف مدارسهم الفقهية ، وحاول بعضهم أن يضع تعريفاً جامعاً مانعاً ، ولكن كيف السبيل إلى ذلك ، وهم مختلفون في تصور حقيقته ، من حيث اللزوم وعدمه ، ومن يملك العين بعد الوقف ، وغير ذلك من أحكام الوقف ، وسأورد الآن بعض التعريفات الاصطلاحية لمفهوم الوقف.

أولاً : تعريف الحنفية :

اختلف أئمة الحنفية في تعريفهم للوقف ، فالوقف عند أبي حنيفة كما ذكر **المرغيناني**: "حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة بمنزلة العارية "[١] وكذا قال الإمام **النسفي** ، بدون زيادة – بمنزلة العارية – أما **الصاحبان**[٢] فقد ذكر **الطرابلسي** في كتابه الإسعاف أن الوقف عندهما " حبس العين عن التملك والتصدق بالمنفعة " [٣]، أما **ابن نجيم** فقد ذكر أن الوقف عندهما " هو حبس العين على حكم ملك الله تعالى " [٤].

إذاً فالصاحبان يريان أن العين الموقوفة في حكم ملك الله تعالى، خلافاً لقول شيخهما أبو حنيفة الذي يرى أن العين الموقوفة تبقى على ملك الواقف يجوز له الرجوع عنها ، إلا في بعض الحالات التي يلزم بها الوقف .

أما الإمام **السرخسي** فيعرف الوقف بقوله " هوعبارة عن حبس المملوك عن التمليك من الغير "[٥] وهو بهذا يوافق أبو حنيفة – رحمه الله- في أن العين تبقى في ملك الواقف ، بمعنى أن الوقف غير لازم [٦].

---

(1) المرغيناني ، برهان الدين: الهداية. المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٢٦هـ، جزء ٣، ص ١٠ .

(2) الصحبان عند الحنفية هما أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري ومحمد بن الحسن الشيباني .

(3) الطرابلسي ، إبراهيم بن موسى بن أبي بكر: الإسعاف في أحكام الأوقاف . مكتبة الطالب الجامعي ،مكة ، د.ت ، ص ٥ .

(4) ابن نجيم ، زين الدين بن إبراهيم: البحر الرائق ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٤١٨هـ، جزء ٥، ص ٣١٣

(5) السرخسي ، محمد بن أحمد: المبسوط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ ، جزء ١٢، ص ٣٤ .

(6) صبري، عكرمة سعيد: الوقف الإسلامي. مرجع سابق ، ص ٢٨.

وقد عرفه **الطربلسي** بقوله " هو حبس العين علـــى حكـــم ملـــك الواقـــف والتـــصدق بالمنفعة " [١].

وقد ظن البعض أن أبا حنيفة رحمه الله يرى أن الوقف غير جائز ، وهذا وهمُ ، فـــإن أبا حنيفة يجيز الوقف ولكن يرى أنه غير لازم ، ولذلك عبر الإمام السرخسي عن ذلك فقال " وظن بعض أصحابنا رحمهم الله تعالى أنه غير جائز على قول أبي حنيفة وإليه يشير في ظاهر الرواية فنقول : أما أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه فكان لا يجيز ذلك ومراده أن لا يجعله لازماً ، فأما أصل الجواز ثابت عنده" [٢] .

ثانياً : تعريف المالكية :

لعل أشهر تعريفات المالكية للوقف هو تعريف **ابن عرفه** الذي يقول " إعطاء منفعـــة شيء مدة وجوده لازماً بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديراً "[٣].

وعرفه **الدردير** بأنه " جعل منفعة مملوك ولو بأجرة أو غلته لمستحق بصيغة، مدة مـــا يراه المحبس "[٤] ، وهذا مخالف لتعريف الحطاب وابن عبدالسلام الـــذين يريـــان أن الوقف على سبيل التأبيد ، فقد عرفه **الحطاب** بأنه " حبس عين لمن يـــستوفي منافعهـــا على التأبيد "[٥].وسمى **ابن عبدالبر** الوقف حبساً فقال " والحبس : أن يتصدق الإنـــسان المالك لأمره بما شاء من ربعه[٦] ونخله وكرمه وسائر عقاره لتجـــري غـــلات ذلـــك

---

[1] الطرابلسي ، إبراهيم بن موسى: الإسعاف في أحكام الأوقاف. مرجع سابق ، ص٣ .

[2] السرخسي ، محمد بن أحمد: المبسوط . مرجع سابق، جزء ١٢، ص ٣٤ .

[3] صبري، عكرمة سعيد: الوقف الإسلامي. مرجع سابق، ص٣٣.

[4] الصاوي ، أحمد: بلغة السالك لأقرب المسالك على الشرح الصغير للدردير. دار الكتـــب العلميـــة ، بيـــروت ، ١٤١٥هـــ، جزء ٤، ص ٩ .

[5] الحطاب ، محمد بن محمد المغربي: مواهب الجليل لشرح مختصر خليـــل. دار عـــالم الكتـــب ، الريـــاض ، ١٤٢٣هــ ، جزء ٧، ص ٦٢٦.

[6] الَّربْعُ: الدار بعينها حيث كانت، وجمعها رِبَاعٌ ورُبُوعٌ والرَّبْعُ ايضاً المحلة. مختار الصحاح للرازي، ص٩٧.

وخراجه ومنافعه في السبيل الذي سبلها فيه مما يقرب إلى الله عز وجل ويكون الأصل موقوفاً لا يباع ولا يوهب ولا يورث أبداً ما بقي شيء منه"[١].

" فالمالكية يرون أن الوقف تصرف لازم لا يجوز الرجوع عنه ، كما أنـــه لا يترتـــب عليه خروج العين من ملك واقفها " [٢].

ثالثاً : تعريف الشافعية :

ذكر الشافعية تعاريف متعددة ومتقاربة منها تعريف **الشيرازي** وهو " حـــبس الأصـــل وتسبيل المنفعة "[٣]، وعرفه **البغوي** بقوله " وهو أن يحبس عيناً من أعيان ماله ويقطع تصرفه عنها ، ويجعل منافعها لوجه من وجوه الخير ، تقربـــاً إلـــى الله تعـــالى "[٤] ، وعلل **الرافعي** تسمية الوقف بالوقف " لما فيه من وقف المال على الجهـــة المعينـــة ، وقطع سائر الجهات والتصرفات عنه " [٥].

وعرفه الإمام **النووي** بقوله "هو حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقـــاء عينـــه بقطـــع التصرف في رقبته ، وتصرف منافعه إلى البر ، تقرباً إلى الله تعالى "[٦] ، وكذا عرفه الإمام **الدميري** في النجم الوهاج [٧]، أما القاضي زكريا **الأنصاري** فقد ذكر أنه " حبس

---

[1] ابن عبدالبر ، يوسف بن عبدالله : الكافي في فقه أهل المدينة المالكي. دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، جزء ١، ص٥٣٦ .

[2] شلبي ، محمد مصطفى: أحكام الوصايا والأوقاف. ط٣ ، مطبعة دار التأليف بالقـاهرة ، ١٣٨٦هـــ ، ص ٣٣٤ .

[3] الشيرازي ، إبراهيم بن علي: المهذب. دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ، جزء ٢، ص ٣٢٣ .

[4] البغوي ، الحسين بن مسعود: التهذيب . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ، جزء ٤، ص ٥١٠ .

[5] الرافعي ، عبدالكريم بن محمد: العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير. دار الكتب العلميـة ، بيـروت ، ١٤١٧هـ ، جزء ٦، ص ٢٤٨ ،٢٤٩ .

[6] صبري، عكرمة سعيد:الوقف الإسلامي . مرجع سابق ،ص٣٦ .

[7] الدميري ، محمد بن موسى: النجم الوهاج شرح المنهاج . دار المنهاج ، ١٤٢٥هـ ، جزء ٥، ص٤٥٤ .

مالٍ يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح "[١] ، وهذا التعريف مطابق تماماً لتعريف ابن حجر **الهيتمي** في كتابه تحفة المحتاج بشرح المنهاج [٢].

ومما يؤخذ على هذه التعريفات قولهم "مال" وذلك لأن معنى المال عند الشافعية يشمل العين والمنفعة معاً ، والأصح أن يقال " عين " لأن حبس المنفعة غير جائز عندهم [٣].

رابعاً : تعريف الحنابلة :

عرف **ابن قدامة** المقدسي الوقف بأنه " تحبيس الأصل ، وتسبيل الثمرة"[٤]. وهذا مذكور في كتابيه المغني و العمدة، ووافقه في ذلك **البهاء المقدسي** شارح العمدة[٥] ، ولكن ابن قدامه نفسه في كتابه المقنع عرفه بقوله " هو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة"[٦] ، وقد أصبح هذا التعريف مشهور عند العلماء المتقدمين والمتأخرين.

أما **ابن مفلح** فقد عرفه بأنه " حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه ، ممنوع من التصرف في عينه بلا عذر ، مصروف منافعه في البر تقرباً إلى الله تعالى " [٧].

(1) الأنصاري، القاضي أبي يحيى زكريا: أسنى المطالب شرح روض الطالب . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ، جزء ٥، ص ٥١٥ .

(2) ابن حجر الهيتمي ، شهاب الدين أحمد بن محمد : تحفة المحتاج بشرح المنهاج . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ، جزء ٢، ص ٤٨٨ .

(3) السعد ، أحمد محمد ، العمري ، محمد علي : الاتجاهات المعاصرة في تطوير الاستثمار الوقفي ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(4) ابن قدامة ، موفق الدين عبدالله بن أحمد : المغني .ط٢، هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٤١٢هـ، جزء ٨، ص١٨٤ .

(5) المقدسي ، بهاء الدين عبدالرحمن بن إبراهيم : العدة شرح العمدة .المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٧هـ، ص ٢٧٧ .

(6) ابن مفلح ، برهان الدين إبراهيم محمد: المبدع شرح المقنع. ط٣، المكتب الإسلامي ، ١٤٢١هـ، ص ٣١٣ .

(7) المرجع السابق، ص٣١٣.

المبحث الثاني/ حكم الوقف ومشروعيته

" الوقف قربة مندوب إليها " [١]، "وهو كذلك عند الجمهور غير الحنفية" [٢]، لدخوله في عموم الآيات والأحاديث التي تحث على الإنفاق في وجوه البر كافة .

وتجري عليه كذلك الأحكام التكليفية " فإذا كان على جهة مشروعة كان مستحباً ، و إذا نذره الإنسان كان واجباً بالنذر ، وإذا كان فيه حيف ووقف على شيء محرم كان حراماً ، وإذا كان فيه تضييق على الورثة كان مكروهاً " [٣].

ويمكن أن نقسم الآراء الفقهية حول مشروعية الوقف إلى ثلاثة آراء ، وقد تعرض لذكرها الإمام **ابن حزم** نلخصها في الآتي :

١- **طائفةٌ أجازت الوقف مطلقاً**، في الأموال المنقولة كالسلاح والكراع والثياب والكتب وغير المنقولة كالأراضي والعقارات والآبار ، وهو قول " جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية"[٤]، "وأكثر أهل العلم من السلف ومن بعدهم على القول بصحة الوقف " [٥].

٢- **طائفة أجازت الوقف في السلاح والكراع فقط** ، " روي ذلك عن ابن مسعود ، وعلي ، وابن عباس رضي الله عنهم "[٦] .

٣- **طائفة أبطلت الوقف مطلقاً**، وينسب هذا الرأي إلى شريح القاضي وأبو حنيفة في رواية عنه – والرواية الأخرى عنه أن الوقف جائز غير أنه لا يلزم – و " هذا مذهب أهل الكوفة " [٧].

---

(1) الغزالي ، أبي حامد حمد بن محمد: الوسيط في المذهب. دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ ، جزء ٢، ص ٣٩٦.

(2) الزحيلي ، وهبة: الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي . ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٧هـ ،ص١٣٦.

(3) العثيمين ، محمد صالح : الشرح الممتع على زاد المستقنع . دار ابن الجوزي ، الدمام ، ١٤٢٦هـ، جزء١١، ص٧ .

(4) صبري ، عكرمة سعيد : الوقف الإسلامي . مرجع سابق، ص ٥٧ .

(5) ابن قدامة ،موفق الدين عبدالله بن أحمد :المغني . مرجع سابق ، جزء ٨، ص ١٨٥ .

(6) ابن حزم ،علي بن أحمد: المحلى بالآثار. دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٨هـ ، جزء ٨، ص ١٤٩ .

(7) ابن قدامة ،موفق الدين عبدالله بن أحمد :المغني . مرجع سابق ، جزء ٨، ص١٨٥ .

ولكل طائفة أدلة يحتجون بها ، غير أن منها الصحيح ومنها دون ذلك ، والراجح ، هو رأي القائلين بجواز الوقف مطلقاً ، وذلك لتعدد الأحاديث الشريفة الصحيحة الصريحة وغير الصريحة التي تحث على الوقف، وكذلك دخول الوقف في عموم الآيات الكريمة الداعية إلى الإنفاق في وجوه الخير، و الإجماع العملي مـــن الـــصحابة رضـــوان الله عليهم ، قال جابر رضي الله عنه " لم يكن أحدٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقف، وهذا إجماع منهم "[١]، و"قال محمد بن سعد بن زرارة : ما أعلـــم أحداً من المهاجرين والأنصار من الصحابة إلا وقد أوقف من ماله حبساً "[٢].

" واشتهر اتفاق الصحابة على الوقف قولاً وفعلاً ، فوقف عمر وعثمان وزيد بن ثابت وعبدالله بن عمر وأنس وفاطمة والزبير بن العوام وحكيم بن حزام والأرقم والمـــسور بن مخرمة وجبير بن مطعم وعمرو بن العاص وغيرهم أكثر من ثمانين رجلاً كلهـــم تصدقوا بصدقات موقوفات"[٣]، وقال الشوكاني " اعلم أن ثبوت الوقف في هذه الشريعة وثبوت كونه قربة أظهر من شمس النهار "[٤]، وهنا ذكرٌ لبعض الأدلة مـــن الكتـــاب والسنة التي تؤيد ما ذهب إليه السادة العلماء من قولهم بجواز الوقف مطلقاً وهي :

أولاً : الأدلة من القرآن الكريم :-

١ - قال تعالى (9` ?Y$¨$9# (#qä9$oYs? `s9 4Ó®Lym (#qà)ÏÿZè? $£JÏB šc q™6ÏtéB $tBur (#qà)ÏÿZè? `B &äóÓx« ¨bÎ*sù ©!$#

.[٥] (ÇÒËÈ OŠÎ=tæ ¾ÏmÎ/

وقد " أشار المفسرون بأن الصحابة رضوان الله عليهم لم يفهموا من فحوى الخطـــاب حين نزلت هذه الآية غير ذلك ، أي أنهم ربطوا بين هذه الآية وبين الوقف " [٦].

---

[1] ابن قدامة ،موفق الدين عبدالله بن أحمد :المغني . مرجع سابق ، جزء ٨، ص١٨٦.

[2] القيرواني ، عبدالله بن عبدالرحمن: النوادر والزيادات . دار الغرب الإسلامي ، بيـــروت ، ١٩٩٩م ، جـــزء ١٢، ص ٦ .

[3] الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى: النجم الوهاج. مرجع سابق ، جزء ٥، ص ٤٥٣.

[4] الشوكاني، محمد بن علي: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأنهار. تحقيق محمـــود إبـــراهيم زايـــد، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٤٠٨هـــ، جزء ٣، ص٣١٣.

[5] آل عمران ، آية ٩٢ .

[6] صبري ، عكرمة سعيد : الوقف الإسلامي. مرجع سابق ، ص ٧٦ .

٢ - قال تعالى ([illegible]) [1].

قال ابن سعدي هذه الآية اشتملت على أمور عظيمة منها " الحث على الإنفاق" [2].

٣ - قال تعالى ([illegible]) [3].

قال ابن كثير " يأمر تعالى عباده بالإنفاق مما رزقهم في سبيله سبيل الخير ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم ومليكهم وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا" [4].

٤ - قال تعالى ([illegible]) [5].

" يعني بذلك جل ثناؤه : يسألك أصحابك يا محمد ، أي شيء ينفقون من أموالهم فيتصدقون به ، وعلى من ينفقونه فيما ينفقونه ويتصدقون به ؟ فقل لهم : ما أنفقتم من أموالكم وتصدقتم به ، فأنفقوه وتصدقوا به واجعلوه لآبائكم وأمهاتكم وأقربيكم ، ولليتامى منكم والمساكين وابن السبيل ، فإنكم ما تأتون من خير وتضعوه إليهم فإن الله به عليم " [6] ، "وإنما خصص الله تعالى هؤلاء الأصناف لشدة حاجتهم" [7].

---

(1) البقرة ، ٢٦٧ .

(2) ابن سعدي ، عبدالرحمن بن ناصر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٣هـ ، ص ١١٥ .

(3) البقرة ، آية ٢٥٤ .

(4) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القران العظيم. دار طيبة للنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ، جزء ١، ص١٧٣.

(5) البقرة ، آية ٢١٥ .

(6) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ، جزء ٢ ، ص١١٢.

(7) ابن سعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن . مرجع سابق، ص٩٦

٥- قال تعالى (qãZÏB#ä «!$$Î/ ¾Ï&Î!qß™u‘ur (qà)ÏÿRr&ur $£JÏB /ä3=è_ ø÷Gó¡B ûüÏÿ=ø÷Gó¡B ïnŠÏù ûïÏ%©!$$sù (qãZtB#ä

óOä3ZÏB (qà)xÿRr&ur öNçlm; Ö_ô_r& ×Î7x. ÇÐÈ) [١]

في هذه الآية دليل على أن أصل الملك لله سبحانه ، وأن الأموال التي في أيدينا ليست ملكنا في الحقيقة ، وإنما نحن فيها بمنزلة النُّوَّاب والوكلاء ، فيحث الله عباده على الإنفاق في سبيله ، قبل أن تُزال عنهم إلى من بعدهم [٢].

و فيما سبق من الآيات دلالةٌ واضحة على فضيلة الإنفاق في أوجه الخير والبر والآيات في هذا كثير وسأكتفي بالإشارة إلى مواضعها من القرآن الكريم [٣].

ثانياً : الأدلة من السنة المطهرة :-

ونبدأ بالأحاديث الدالة على وقف النبي صلى الله عليه وسلم ثم الأحاديث الدالة على وقف الصحابة رضوان الله عليهم ثم الأحاديث التي فسر العلماء معناها بالوقف .

١- عن عمرو بن الحارث ، خَتَنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخي جويرية بنت الحارث قال : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمةً ولا شيئاً ، إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة[٤]." فالنبي صلى الله عليه وسلم تصدق بمنفعة الأرض فصار حكمها حكم الوقف" [٥].

٢- ذكر ابن حجر في ترجمته لمخيريق الإسرائيلي الذي قتل في معركة أحد ، أن عبدالله بن جعفر روى عن أبي عون عن بن شهاب قال : كانت صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالاً لمخيريق ، فأوصى بها لرسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] الحديد ، آية ٧ .

[2] القرطبي، أبو عبدالله : الجامع لأحكام القران. دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ، جزء ١٨، ص٢١٣.

[3] على سبيل المثال لا الحصر: سورة البقرة آية رقم ٢٦٧،٢٧٤،٢١٥،٢١٩،٢٥٤،٢٦٢،٢٦٥. سورة ال عمران ١١٧،١٣٤. سورة النساء ٣٤،٣٨. سورة الأنفال ٣. سورة التوبة ٥٣. سورة الحج ٣٥. سورة القصص ٥٤. سورة السجدة ١٦. سورة الشورى ٤٢. سورة الفرقان ٦٧. سورة الحديد ١٠.

[4] البخاري ، محمد بن إسماعيل بن المغيرة: الجامع المسند الصحيح من أمور الرسول r وسننه وأيامه. دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢٢هـ، جزء ٤، ص٢، رقم الحديث ٢٧٣٩ .

[5] ابن جحر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري. دار الفكر، بيروت، ب.ت، جزء ٥، ص٣٦٠.

وشهد أحداً فقتل بها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مخيريق سـابق اليهـود ، وسلمان سابق الفرس ، وبلال سابق الحبشة " [١].
وقَبضَ النبي صلى الله عليه وسلم تلك الحوائط السبعة ، فتصدق بها أي وقفها [٢] وهي " المثيب والصائبة والدلال وحسنى وبرقة والأعواف ومشربة أم إبراهيم" [٣]

٣- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل سبع حيطان له بالمدينة صدقة على بني عبدالمطلب وبني هاشم [٤].
والظاهر أن هذه الحيطان السبعة التي وقفها النبي صلى الله عليه وسلم هـي أمـوال مخيريق التي وهبها للنبي صلى الله عليه وسلم .
ويدل على هذا رواية " عن محمد بن بشر بن حميد ، عن أبيه ، قال : سمعت عمر بن عبدالعزيز يقول في خلافته بخناصره : سمعت بالمدينة والناس يومئذ بها كثيـر ، من مشيخة المهاجرين والأنصار : أن حوائط النبي صلى الله عليه وسلم ، يعني السبعة التي وقف من أموال مخيريق ، وقال : إن أُصبت فأموالي لمحمد صلى الله عليه وسلم ، يضعها حيث أراه الله ، وقتل يوم أحد ، فقال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم "مخيريق خير يهود " [٥] " وتعرف هذه الحيطان بأراضي المخيريـق فـي ضـواحي المدينة المنورة " [٦] .

فهذه الأحاديث الواردة من فعل النبي صلى الله عليه وسلم "هي حجة للـذين أجـازوا الأحباس ولم يمنعوها، فهي عمل ثابت إلى يوم القيامة"[٧].

---

(1) ابن جحر، أبو الفضل أحمد بن علي: فتح الباري. مرجع سابق، جزء ٦، ص ٢٠٣.
(2) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبرى. تحقيق علي محمد عمـر، مكتبـة الخـانجي، القـاهرة، ١٤٢١هـ، جزء ١، ص٥٠١.
(3) المرصفي، سعد: أحاديث الوقف الإسلامي ودوره في بناء المجتمع. دار القبلتين، الرياض، ١٤٢٦هـ، ص٧٩.
(4) البيهقي، أبو بكر احمد بن حسين: السنن الكبرى. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ ، جزء ٦، ص١٦٠ .
(5) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبرى. مرجع سابق، جزء ١، ص ٥٠١.
(6) صبري ، عكرمة سعيد : الوقف الإسلامي. مرجع سابق، ص ٤٩ .
(7) المرصفي، سعد: أحاديث الوقف الاسلامي ودوره في بناء المجتمع. مرجع سابق، ص٨٤.

أما **أوقاف الصحابة** فهي كثيرة نبدأ بأشهرها ، ألا وهو وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

٤- حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصاب أرضاً بخيبر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها فقال : يا رسول الله : إني أصبت أرضاً بخيبر لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه فما تأمر به قال : إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها قال : فتصدق بها عمر أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث ، وتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف ولا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول"[١] وفي لفظ آخر أن عمر قال : يا رسول الله : إني استفدت مالاً وهو عندي نفيس فأردت أن أتصدق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم :" تصدق بأصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولكن ينفق ثمره فتصدق به عمر"[٢].

وفي هذا اللفظ بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أهم أحكام الوقف من أنه لا يجوز بيع الوقف ولا هبته ولا وراثته يقول ابن حجر " وهذا ظاهر أن الشرط من كلام النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف بقية الروايات ، فإن الشرط فيها ظاهر أنه من كلام عمررضي الله عنه "[٣].

وقال أيضاً "وحديث عمر هذا أصل في مشروعية الوقف "[٤]، وكذلك قال النووي أن هذا الحديث من الأدلة الشرعية على صحة أصل الوقف[٥].

٥- عن عثمان رضي الله عنه: أنه حيث حُوصر ، أشرف عليهم ، وقال : أنشدكم الله، ولا أنشدُ إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى

---

(1) البخاري ، محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري. مرجع سابق، جزء ٣، ص١٩٩، رقم الحديث ٢٧٣٧.

(2) المرجع السابق، جزء ٤، ص ١٠، رقم الحديث ٢٧٦٤.

(3) ابن جحر، أبو الفضل أحمد بن علي: فتح الباري. مرجع سابق، جزء ٥، ص ٤٠٦.

(4) المرجع السابق، جزء ٥، ص ٤٠٨.

(5) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: شرح النووي على صحيح مسلم. ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ، جزء ١١، ص٨٥.

الله عليه وسلم قال " من حفر رومة فله الجنة " فحفرتها ، ألستم تعلمون أنه قال " من جهز جيش العسرة فله الجنة " فجهزته ، قال : فصدقوه بما قال [١].

٦- عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن سعد بن عبادة رضي الله عنه أخا بني ساعده توفيت أمه وهو غائب ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ، إن أمي توفيت و أنا غائب عنها ، فهل ينفعها شيء إن تصدقت به عنها قال " نعم " قال فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عليها[٢].

ففي هذا الحديث أوقف الصحابي سعد بن عبادة رضي الله عنه بستانه المعروف بالمخراف على أمه براً بها لأنها توفيت وهو بعيد عنها، وفيه كذلك الندب إلى الإشهاد في الوقف كما عنون البخاري لهذا الحديث، حتى لا يُورث بعد موت الواقف، يقول ابن حجر" كأن البخاري أراد دفع التوهم عمن يظن أن الوقف من أعمال البر فيندب إخفاؤه فبين أنه يشرع إظهاره لأنه بصدد أن ينازع فيه ولاسيما من الورثة " [٣].

٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد وعباس بن عبدالمطلب . فقال النبي صلى الله عليه وسلم " ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله ورسوله ، وأما خالدٌ فإنكم تظلمون خالداً ، قد احتبس أدراعه وأعْتده في سبيل الله ، وأما العباس بن عبدالمطلب : فعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهي عليه صدقة ومثلها معها " [٤].

فهذه بعض الأحاديث في أوقاف الصحابة رضوان الله عليهم ، وأما حديث صدقة أبي طلحة رضي الله عنه التي تسمى (بيرحاء) ، فإن الحافظ ابن حجر استغرب من الاستدلال بشيء من قصة أبي طلحة في مسائل الوقف إلا فيما لا تخالف فيه الصدقة

---

(1) الزبيدي ، زين الدين أحمد بن أحمد ، مختصر صحيح البخاري . ط٢ ، دار المؤيد ، ١٤٢٣هـ ، ص٣٣٣، رقم الحديث ١٢٠٢.

(2) البخاري ، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري. مرجع سابق، جزء ٤، ص ٧، رقم الحديث ٢٧٥٦.

(3) ابن جرر، أبو الفضل أحمد بن علي: فتح الباري. مرجع سابق، جزء ٥، ص ٣٩١.

(4) البخاري ، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري. مرجع سابق، جزء ٢، ص ١٢٢، رقم الحديث ١٤٦٨.

الوقف ، لأن أبا طلحة رضي الله عنه ملكهم الحديقة المذكورة ولم يقفها عليهم [١]، ولكن لا مانع من الاستدلال بهذا الحديث في أوجه الصدقة عامة ومنها الوقف.
وهناك أحاديث **عامة** في الوقف ، نستكمل بها الاستدلال على مشروعية الوقف مطلقاً:
٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " [٢].
" ذكره – أي الإمام مسلم – في باب الوقف لأنه فسر العلماء الصدقة الجارية بالوقف"[٣].
٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم " إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، ومصحفاً ورثه ، أو مسجداً بناه ،أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته"[٤].
١٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم " من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده ، فإن شبعه وريَّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة "[٥].
" قال ابن المهلب وغيره : في هذا الحديث جواز وقف الخيل للمدافعة عن المسلمين ، ويستنبط منه جواز وقف غير الخيل من المنقولات ومن غير المنقولات من باب أولى"[٦] .

---

[1] ابن جحر، ابو الفضل أحمد بن علي: فتح الباري. مرجع سابق، جزء ٥، ص٣٨٨ .

[2] القشيري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح. دار التحرير الشرقية، القاهرة، ١٣٨٤هـ، رقم الحديث ١٦٣١.

[3] الصنعاني ، محمد بن إسماعيل : سبل السلام . مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، ١٤٢٠هـ، جزء٣، ص ٩٠٠ .

[4] ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة. دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١هـ، أخرجه في المقدمة برقم ٢٤٢.

[5] البخاري ، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري. مرجع سابق، جزء ٤، ص ٢٨، رقم الحديث ٢٨٥٣.

[6] ابن جحر، ابو الفضل أحمد بن علي: فتح الباري. مرجع سابق، جزء ٥، ص٢٩٨.

المبحث الثالث / حكم الوقف من حيث اللزوم وعدمه.

والمقصود بلزوم الوقف : " عدم استطاعة المتصرف أن يستبد بنقض ما صدر منه بإرادته "[١] ، وقد ذهب العلماء في لزوم الوقف إلى قولين:

القول الأول : **أن الوقف عقد لازم لا يصح الرجوع فيه** " وهذا قول الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة في رواية هي ظاهر المذهب ، وقول أبي يوسف ومحمد من الحنفية "[٢] ، قال الشوكاني " فالحق أن الوقف من القربات التي لا يجوز نقضها بعد فعلها لا للواقف ولا لغيره"[٣].

القول الثاني : **أن الوقف جائز غير لازم** ، وهو قول مشهور عن أبي حنيفة وإسماعيل بن اليسع، بمعنى أنه " يجوز الرجوع عنه – مع الكراهة – فهو تبرع غير لازم وهو بمنزلة الإعارة " [٤]وهذا يعني أنه تنطبق عليه أحكام الإعارة ، فله أن يرجع فيه متى شاء ، وأن يبطل ويورث عنه بعد مماته، وقد استثنى أبا حنيفة حالتين ذكرهما الطرابسلي:

الأولى: أن يحكم به القاضي بدعوى صحيحة وبينة بعد إنكار المدعي عليه فحينئذ يلزم لكونه مجتهداً فيه .

الثانية: أو يخرجه مخرج الوصية ، فيقول جعلتها وقفاً بعد موتي ، فيصح من الثلث[٥].

---

(1) أبا الخيل ، سليمان بن عبدالله ، الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات . جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٢٥هـ ، ص ٩٦ .

(2) المرجع السابق، ص٩٧.

(3) الشوكاني، محمد بن علي: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار. طبعة دار الحديث، القاهرة، ب.ت، جزء٦، ص١٣٦.

(4) الزحيلي ، وهبة : الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي . ط٢، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٩هـ ص ١٣٧ .

(5) الطرابلسي ، برهان الدين إبراهيم بن موسى : الإسعاف في أحكام الأوقاف. مرجع سابق ، ص ٣-٤ .

والراجح القول بلزوم الوقف، ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال عندما استشاره عمر بن الخطاب في صدقته التي بخيبر قال له " تصدق بأصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولكن ينفق ثمره، فتصدق به عمر "[١]، فهذا لفظ النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي شرط أن لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وقد ذهب ابن حجر إلى ذلك عند تعليقه على هذا الحديث فقال " وهذا ظاهر أن الشرط من كلام النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف بقية الروايات " [٢] .

المبحث الرابع/ الحكمة من مشروعية الوقف

لا يخلو كل تشريع إسلامي من حِكم عظيمة ، علِمها من علمها وجهلها من جهلها ، ذلك لأن الدين الإسلامي دين خاتم أودع الله فيه كل تشريع سمح حتى يكون تطبيقه ممكناً في أي بقعة من الأرض .

والوقف من جملة الشرائع الإسلامية الظاهر الحكمة الجلي المنفعة ، تتسامى فيه الروح الإنسانية عن الغرائز الدونية المتمثلة في الجشع والطمع وحب التملك الذي لا ينتهي إلى فضيلة الإنفاق والتبرع بدون مقابل إلا الثواب من الله .

فعندما يتغلب المرء على نفسه ويخرج شيئاً من ماله الذي لا ينازعه فيه أحد ، إلى ملك الله تعالى رغبة في ثوابه وخوفاً من عقابه ورجاءً لرحمته وعفوه ، تطمئنُ نفسه وتهدأ وتسكن السكينة قلبه ، كيف لا وهو قد تخلى عن جزء من ماله للصالح العام أو لصالح أقربائه . فهذا المعنى جزء يسير من الحكم الكثيرة للوقف التي ذكرها العلماء ومنها قول " الكمال بن الهمام ومحاسن الوقف ظاهرة ، وهي الانتفاع الدّارُّ الباقي على طبقات المحبوبين من الذرية والمحتاجين ، من الأحياء والموتى ، لما فيه من إدامة

(1) البخاري ، محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري. مرجع سابق، جزء ٤، ص ١٠، رقم الحديث ٢٧٦٤.

(2) ابن جحر، أبو الفضل أحمد بن علي: فتح الباري. مرجع سابق، جزء ٥، ص٤٠٨.

العمل الصالح " [1] ، وهذه الحكمة السابقة أكثر وضوحاً في الوقف الأهلي أو الـذُري فالأحياء يستفيدون مادياً من الوقف ، والأموات يستفيدون الأجر والمثوبة من الـذي لا تنفد خزائنه سبحانه.

ومن محاسن الوقف كذلك ما ذكره المحدث الدهلوي فقال " ومن التبرعات الوقـف وكان أهل الجاهلية لا يعرفونه فاستنبطه النبي صلى الله عليه وسلم لمصالح لا توجـد في سائر الصدقات ، فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالاً كثيراً ثم يفنى فيحتاج أولئك الفقراء تارة أخرى ، ويجيء أقوام من الفقراء فيبقون محرومين ؛ فلا أحـسن ، ولا أنفع للعامة ، من أن يكون شيء حبساً للفقراء ، وأبناء السبيل ، تـصرف علـيهم منافعه ، ويبقى أصله على ملك الواقف "[2].

ثم ذكر سببه فقال " فهو إرادة محبوب النفس في الدنيا ببر الأحباب وفـي الآخـرة بالثواب ، إذا كان بالنية من أهلها "[3]، وبهذه الجملة السابقة يكون قد أجّمَل كثيراً مـن حِكم الوقف .

ويمكننا أن نجعل للوقف أهدافاً أكثر تحديداً تتنوع بتنوع الجهة الموقوف عليها وهـي كالتالي :

١- صيانة المساجد والعناية بها وتوفير كل ما يحتاجه المسجد والقائمون عليـه مـن مؤنة ، فالمساجد بيوت الله وينبغي أن لا نحيجها إلى ما يجمعه الناس مـن الـصدقات حتى نصلح ما يحتاج إلى إصلاح ، وقد لا تتوفر هذه الصدقات في الوقت المناسب .

---

[1] الرافعي، أبي القاسم عبدالكريم بن محمد: العزيز شرح الوجيز. تحقيق علي معوض وعادل عبـدالموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ، جزء ٦، ص ٢٤٩ .

[2] الدهلوي، شاة ولي: حجة الله البالغة. تحقيق سيد سابق، دار الجيل، بيروت ، ١٤٢٦هـ، جزء ٢، ص٨٧.

[3] المرجع السابق، جزء ٢، ص ٨٧.

٢- إعالة الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل ومن في حكمهم وحفظهم من الضياع في مسالك الحياة القاسية فالوقف على هذه الأصناف يحقق المسؤولية الاجتماعية تجاههم ويقوي انتمائهم للمجتمع الخير الذي لم يتركهم نهباً لصروف الدهر .

٣- تنوير المجتمع بنشر العلم والثقافة من خلال التعليم المجاني الذي يحقق مبدأ تكافؤ الفرص ، فالمدارس الوقفية تؤدي هذه الوظيفة الاجتماعية بكل اقتدار .

٤- دعم القوى العسكرية وزيادة هيبتها في نفوس الأعداء ، ورعاية المجاهدين والشهداء ورعاية عائلاتهم ، وقد ورد معنا فيما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف سلاحه في سبيل الله وكذلك خالد بن الوليد **t** .

٥- تحسين الصحة العامة وتقديم الرعاية الطبية لأصحاب العاهات الجسدية والنفسية ولمن لا يستطيع تحمل نفقة العلاج ، وهذا هدف نبيل يسهم الوقف الصحي في تحقيقه بدرجة كبيرة .

٦-تقوية روابط الألفة والمحبة والصلة بين أفراد الأسرة ، وسد خلة المحتاج منهم وفيه أيضاً حفظ لمال السفيه الأخرق الذي لا يحسن تدبير أمره ، والمرأة الضعيفة المطلقة والأرامل الذين انقطعت بهم الأسباب فحفظ لهم الوقف الذري أو الخيري كرامتهم .

وللوقف أيضاً تأثيرٌ إيجابي في الجانب الاقتصادي فهو " قد يفضل الضريبة كأداة لإعادة توزيع الدخل القومي "[١] لأن الضريبة كما هو معلوم اقتطاع جزء معلوم من المقتدرين ثم تحويله إلى الفقراء في صورة إعانات نقدية أو خدمات مجانية ، فعندما يُوقِف الموسرين جزءاً من أموالهم ، فكأنما يدفعون الضريبة ولكن بطيب نفس؛ فهذه بعض حِكم الوقف العظيمة، وإلا فهي أكثر.

[1] صقر ، عطية عبدالحليم :اقتصاديات الوقف. ندوة إحياء دور الوقف في الدول الإسلامية ، رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة قناة السويس ، بورسعيد ، ١٩٩٨م ، ص ٣٨٤ .

المبحث الخامس/ أنواع الوقف

باستقراء الفقهاء للأوقاف الإسلامية وصيغها وجدوا أنه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام خيري وأهلي ومشترك، وذلك تبعاً للغرض منها.

وهذا التقسيم " إنما هو اصطلاح فقهي حديث قصد به التنظيم والتمييز ، وحقيقة الوقف شاملة لذلك شمول النوع لأفراده "[١] ،وجميع هذه الأنواع لها شواهدها التاريخية ، مع أن هناك خلاف كبير نشأ بين العلماء في مشروعية الوقف الذري نورده لاحقاً ، ونبدأ بتعريف الوقف الخيري " لأنه هو الأصل في الوقف بالنسبة لسائر الأنواع " [٢].

١ - الوقف الخيري :

" هو ما خصص ريعه ابتداءاً للصرف على جهة من جهات البر كالمستشفيات والملاجئ والمساجد " [٣].

وسبب تسميته خيرياً واضحة فثمرته تصرف على وجوه الخير العامة ، ويدخل في هذا النوع الوقف على المساجد وعلى مدارس العلم ودور الأيتام والفقراء والمشافي وغير ذلك .

٢ - الوقف الأهلي :-

" هو الذي وقفه الواقف على نفسه ، وذريته ، أو على من أراد من الناس ثم جعل مآله إلى جهات الخير "[٤] ، ويسمى أيضاً بالوقف الذُري والعائلي والخاص ، وقد ذهب بعض العلماء وأصحاب الاقتصاد في الوقت المعاصر إلى منع الوقف الأهلي ، لما يرونه هم من سلبيات ومساوئ تستدعي منعه ومنها[٥]:-

---

(1) الكبيسي ، محمد : مشروعية الوقف الأهلي ومدى المصلحة فيه. ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بغداد ، ١٤٠٣هـ ، ص ٢١ .

(2) صبري ، عكرمة سعيد: الوقف الإسلامي .مرجع سابق، ص ٩١ .

(3) الشافعي ، أحمد محمود :الوصية والوقف في الفقه الإسلامي. الدار الجامعية، بيروت ، ٢٠٠٠م، ص ١٥٦

(4) يكن ، زهدي : المختصر في الوقف . ب.ن ، بيروت ، ١٩٦٦م ، ص ١٠ .

(5) المرجع السابق، ص ٢١ .

١- أنه يمنع من التصرف في الأموال ، مما يؤدي إلى ركود الاقتصاد ويقضي على الملكية .

٢- أنه يورث التواكل بين أفراد المستحقين فيقعد بهم عن العمل .

٣- أنه يورث المشاحنات بين المستحقين والمتولين .

٤- أنه يحرم الورثة من بعض استحقاقاتهم بالإرث.

ولهذا وغيره ، " نص القانون المصري (١٨٠) لسنة ١٩٥٢م ، والقانون السوري لسنة ١٩٤٩م على إنهاء أو إلغاء الوقف الأهلي ، لتصفية مشكلاته المعقدة "[١]، وقد ذكر أبو زهرة أن هذا القانون لا يعارض أي نص من النصوص الشرعية فقال "وعلى ذلك يكون الوقف الأهلي غير قائم على أدلة من النصوص الدينية الصريحة ، ويكون منعه في المستقبل غير مخالف لأصل الشرع "[٢].

أما الدكتور الكبيسي فقد دافع عن الوقف الأهلي بقوة وذكر أن التطبيق العملي أثبت أن في الوقف الذري " مصلحة غالبة ، وأن ما قد يكون فيه من مفسدة مرجوحة لا تخرجه عن أصل وصفه ، إضافة إلى أن تلك المفاسد الجزئية إنما هي خارجة عن طبيعته ، عارضة له بعد وضع حكمه وحكمته "[٣]، "والواقع أنه لا سبيل للتشكيك في مشروعية الوقف الأهلي لاندراجه ضمن مفهوم الوقف بشكل عام ، والسلبيات التي توجه إلى الوقف الأهلي، ينبغي معالجتها بما يلائمها من التدابير والأحكام لا بالدعوة إلى منع الوقف الأهلي برمته " [٤].

٣- الوقف المشترك :

" هو الذي يجمع بين الوقف الأهلي والخيري ، وهو الذي تم ابتداء على الذرية وعلى جهة من جهات البر في وقت واحد ، بمعنى أن الواقف قد جمعها في وقفه " [٥].

---

(1) الزحيلي ، وهبة : الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي. مرجع سابق، ص ١٤٠ .

(2) أبو زهرة ، محمد : محاضرات في الوقف. دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ ، ص ٥٢ .

(3) الكبيسي ، محمد : مشروعية الوقف الأهلي ومدى المصلحة فيه. مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(4) سلطان العلماء ، محمد عبدالرحيم ، أبو ليل ، محمد أحمد: الوقف مفهومه وفضله. مؤتمر الأوقاف الأول جامعة أم القرى ، ١٤٢٢هـ ، جزء ١، ص ١٩١ .

(5) الصالح ، محمد أحمد : الوقف في الشريعة الإسلامية . ب.ن ، الرياض ، ١٤٢٢هـ ، ص ٥٥ .

" وقد نصت بعض القوانين المدنية المعاصرة المنظمة للأوقاف في بعض الدول الإسلامية ، على الوقف المشترك ، مثل القانون المدني السوداني في مادته ٩٠٧ ، والقانون المدني الأردني في مادته ٢٢٣ "[١] .

المبحث السادس / أركان الوقف وشروطها

ذهب الفقهاء في تحديد أركان الوقف إلى رأيين هما :

١- **رأي الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة** [٢] وهو أن للوقف أربعة أركان هي : الواقف والموقوف والموقوف عليه والصيغة .

٢- **رأي الحنفية وهو أن للوقف ركنٌ واحد هو الصيغة،** ذلك لأنها " شاملة لسائر الأركان بالإضافة إلى أن الصيغة تعتبر الركن الشرعي في الوقف "[٣]وحدد الحنفية لها ستة وعشرون لفظاً ينعقد بها الوقف [٤].

والخلاف ليس بالكبير ، إنما هو في الألفاظ ، وما يستوجب أن يطلق عليه ركن ولا ما يستحق أن يطلق عليه هذا المسمى ، " و إلا فالحنفية يقرون ضمناً ببقية الأركان "[٥] .

ولكل ركن من هذه الأركان شروط وهي كما يلي :-

أولاً : شروط الواقف :-

ونقصد بها الشروط الواجب توفرها في الشخص المحبس ، وليست الشروط التي يشترطها في وقفه ؛ وقد اختصر **النووي** الشروط التي يجب توفرها في الواقف بقوله

---

[1] فداد ، العياشي الصادق : الوقف مفهومة شروطه أنواعه . مؤتمر الأوقاف الأول ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٢هـ ، جزء ١، ص ١١٣-١١٤ .

[2] الدسوقي المالكي، محمد بن احمد بن عرفة: حاشية الدسوقي. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، جزء٥ ، ص٤٥٧.

[3] صبري ، عكرمة سعيد : الوقف الإسلامي .مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

[4] النسفي، أبي البركات عبدالله بن احمد: البحر الرائق شرح كنز الدقائق. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، جزء ٥، ص٣١٧.

[5] صبري ، عكرمة سعيد : الوقف الإسلامي . مرجع سابق، ص ١٤١ .

" ويشترط كونه صحيح العبارة أهلاً للتبرع " [١]، ولا تتحقق أهلية التبرع إلا بأن يكون الواقف " بالغاً حراً رشيداً مختاراً ، فلا يصح من صبي ولا مجنون ولا عبد ولا سفيه ولا مكره " [٢].

وقد زاد بعضهم شروطاً أخرى منها ، أن يكون الواقف مالكاً " فلا يصح وقف مال الغير " [٣]، " وأن لا يكون الواقف مديناً " [٤].

ثانياً : شروط الموقوف (العين الموقوفة) :-

"وهي كل عين معينة مملوكة تقبل النقل،من ملك شخصٍ إلى ملك آخر"[٥]

وقد ذكر الإمام **الغزالي** شروط هذا الركن فقال " وشرطه : أن يكون مملوكاً ، معيناً ، تحصل منه فائدة أو منفعة مقصودة دائمة مع بقاء الأصل "[٦] ، ونستخلص مما ذكر عدة شروط هي :-

١- أن يكون الموقوف مالاً متقوماً، من قوله (تحصل منه فائدة)

٢- أن يكون معلوماً، من قوله (معينا) .

٣- أن يكون ملكاً للواقف، من قوله (مملوكاً) .

٤- أن تكون منفعته دائمة، من قوله (مع بقاء الأصل).

وقد شرح الإمام الغزالي ذلك فقال " وقولنا ومع بقاء أصلها ، احترزنا به عن الطعام فإن منفعته في استهلاكه ، فلا يجوز وقفه "[٧] .

---

(1) النووي، ابو زكريا محي الدين بن شرف: روضة الطالبين وعمدة المفتين. دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، جزء ٤، ص ٤٧٢.

(2) الصاوي، أحمد: بلغة السالك لأقرب المسالك. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، جزء ٤، ص ١٢.

(3) الزحيلي، وهبة: الفقة الإسلامي وأدلته . ط٤، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٨هـ ، جزء ١٠، ص ٧٦٢٤ .

(4) البدوي ، إسماعيل إبراهيم: الوقف مفهومه وفضله . مؤتمر الأوقاف الأول ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٢هـ ، ص ٧٠ .

(5) الانصاري، أبي يحيى زكريا: أسنى المطالب شرح روض الطالب. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، جزء ٥، ص٥١٥.

(6) الغزالي ، أبي حامد محمد بن محمد: الوسيط في المذهب . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ ، جزء ٢، ص٣٩٦ .

(7) المرجع السابق جزء ٢، ص ٣٩٧.

ثالثاً: شروط الموقوف عليه :-

" وهو قسمان : معينٌ ، وغيره " [1] فالمعين شخصٌ أو جماعة ، - وغيره - يقصد بها غير المعين كالفقراء والمساكين و للقسم الأول شرطان:

الأول/ أن يكون هذا المعين أهلا للتملك " فلا يصح الوقف على من لا يملك كالجنين والعبد القِن والبهيمة"[2] .

الثاني/ ألا يعود الوقف على الواقف

" وهذا عند جمهور الفقهاء المالكية والشافعية في الأصح ، وأكثر الحنابلة وهو المذهب عندهم ، ومحمد بن الحسن من الحنفية "[3] .

لأن الوقف تمليك المنافع للموقوف عليه ، فلا يصح أن يملك نفسه من نفسه ، لكن للواقف أن ينتفع من وقفه في إحدى هذه الحالات[4]:-

١- أن يقف شيئاً للمسلمين ، فيدخل في جملتهم .
٢- أن يشترط الواقف في الوقف أن ينفق منه على نفسه .
٣- أن يشرط الواقف أن يأكل من الوقف أهله ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم شرط ذلك في صدقته.

أما **القسم الثاني**:"غير المعين وهو الجهة العامة، كالفقراء والمساكين "[5] ولهذا القسم شرطان أيضاً هما :

الأول : أن تكون الجهة الموقوف عليها جهة خير وبر قال البغوي " ولا يصح الوقف إلا على وجه البر والمعروف "[6] وقال ابن مفلح " ولا يصح إلا على بر " [7]،

---

(1) الأنصاري، القاضي أبي يحيى زكريا: أسنى المطالب شرح روض الطالب .مرجع سابق، جزء ٥، ص٥٢٠

(2) النووي، محي الدين بن شرف: روضة الطالبين وعمدة المفتين. مرجع سابق، جزء ٤، ص ٤٧٥

(3) الحسيني، أبو طالب علي: أحكام نظارة الوقف. رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٨هـ، ص ٦٧.

(4) الزحيلي ، وهبة : الفقه الإسلامي وأدلته. مرجع سابق، جزء ١٠، ص ٧٦٤٤ .

(5) الأنصاري، أبي يحيى زكريا: أسنى المطالب شرح روض الطالب .مرجع سابق، جزء ٥، ص٥٢٣.

(6) البغوي، الحسين بن مسعود: التهذيب في فقة الامام الشافعي. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، جزء٤ ، ص ٥١١.

(7) ابن مفلح، شمس الدين محمد بن مفلح: الفروع. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، جزء ٤ ص ٤٤٥

وقال الإمام احمد "لا اعرف الوقف إلا ما أريد به وجه الله"[١].

الثاني : أن تكون الجهة الموقوف عليها غير منقطعة لأن المقصود بالوقف دوام الانتفاع وهذا لا يوجد في الجهة المنقطعة ، وذهب إلى هذا الرأي أبو حنيفة ومحمد بن الحسن بخلاف أبو يوسف[٢] ، أما المالكية فهم يرون " أن الوقف يقع صحيحاً إذا كان منقطعاً ، اعتماداً على وجهة نظرهم في جواز الوقف المؤقت " [٣].

رابعاً : شروط الصيغة :-

" وهي ما يكون به الوقف ، أو ما يقوم مقامها في الدلالة على الوقفية عرفاً"[٤] فالوقف ينعقد " بما يدل على التسبيل والتحبيس قولاً كان أو فعلاً"[٥]، ولا يشترط القبول إذا كان الموقوف عليه ليس معيناً ، فلا يتصور منه الرفض مثل المساجد والملاجئ والفقراء [٦]، أما إذا كان معيناً فالجمهور يشترطون القبول لاستحقاق الوقف [٧].

وقد صنف الإمام الغزالي ألفاظ صيغ الوقف إلى ثلاث مراتب [٨]:-

الرتبة الأولى:- قوله وقفت البقعة أو حبستها أو سبلتها ، فالكل صريح

الرتبة الثانية: قوله حرمت هذه البقعة وأبدتها على المساكين فهذين اللفظين منهم من يقول أنها صريحة ومنهم من يقول أنها كناية .

الرتبة الثالثة: قوله تصدقت ، وهو ليس بصريح الوقف.

---

(1) العثيمين، محمد بن صالح: الشرح الممتع على زاد المستقنع. مرجع سابق ، جزء ١١ ، ص ١٩.

(2) السرخسي، ابو بكر محمد بن احمد: المبسوط.مرجع سابق ، جزء١٢، ص٤٩.

(3) صبري ، عكرمة سعيد : الوقف الإسلامي . مرجع سابق، ص ٢٤٥ .

(4) القرافي، شهاب الدين أحمد بن ادريس: الذخيرة. دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٤م، جزء ٦، ص٣١٥.

(5) عبدالمنعم ، محمود عبدالرحمن: الوقف مفهومه وفضله. مؤتمر الأوقاف الأول ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٢هـ ، ص ٣١٣ .

(6) البدوي ، إسماعيل إبراهيم : الوقف مفهومه وفضله. مرجع سابق، ص ٨٢ .

(7) سلطان العلماء ،محمد عبدالرحيم ، أبو ليل ، محمد: الوقف مفهومه وفضله. مرجع سابق، ص ٢٠٢ .

(8) الغزالي ، أبي حامد محمد بن محمد: الوسيط في المذهب. مرجع سابق، جزء ٢، ص ٣٩٩.

أما شروط الوقف ذاته أو شروط صيغة الوقف فأربعة التأبيد ، والتنجيز ، والإلــزام ، وإعلام المصرف.

أما الإمام **ابن قيِّم الجوزية** فقد قسم شروط الواقفين إلى أربعة أقسام :-

"شروط محرمة في الشرع .

وشروط مكروهة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وشروط تتضمن ترك ما هو أحب إلى الله ورسوله .

وشروط تتضمن فعل ما هو أحب إلى الله تعالى ورسوله فالأقــسام الثلاثــة الأول لا حرمة لها و اعتبار ، والقسم الرابع هو الشرط المتبــع الواجــب الاعتبــار ، وبــالله التوفيق" [(١)].

[(1)] محمد، يسري محمد:جامع الفقه.دار الوفاء، المنصورة، ١٤٢١هـــ، جزء ٤، ص٦٠١ .

الفصل الثالث
الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية
في القرن السابع الهجري

المبحث الأول: الحالة السياسية في القرن السابع الهجري

أولاً: الحالة السياسية في العراق

ثانياً: الحالة السياسية في مصر والشام

ثالثاً: الحالة السياسية في اليمن

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية في القرن السابع الهجري

أولاً: طبقات المجتمع

ثانياً: الأديان والمذاهب

ثالثاً: مظاهر الحياة العامة

المبحث الثالث: الحالة الثقافية والعلمية في القرن السابع الهجري

تمهيد

حتى نبرهن على الدور العظيم الذي لعبه الوقف الإسلامي في دعم الحركة العلمية في القرن السابع الهجري ، لابد أن نحيط القارئ بتصور واضح عن بعض ملامح ذلك القرن وعن تقلباته السياسية العجيبة التي قامت فيها دول وانهارت أخرى .

وإنه من غير الممكن أن يحاول الباحث الإحاطة بكل حادثٍ في ذلك القرن ، وإنما سنكتفي بالكلام عن مظاهر الحياة العامة في بعض حواضر العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، وما حدث من أمور عظيمة كسقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦هـ على يد هولاكو المغولي ، وغيرها من الحوادث الجليلة التي لا يمحوها الزمن مهما تقادم .

كذلك فإن الحديث سيشمل ذكر أبرز الشخصيات المؤثرة في ذلك القرن من الخلفاء والملوك والأمراء و الشخصيات ذات التأثير الثقافي من العلماء والقضاة وغيرهم من النبلاء الذين ارتبطت أسمائهم بتلك الحقبة من التاريخ.

لقد تميز القرن السابع الهجري بعدة أمور منها:

١. استمرار الحملات الصليبية على البلاد الإسلامية.
٢. ظهور الخطر المغولي وتدميره للدولة العباسية.
٣. استيلاء المماليك على الحكم في بعض الأقطار الإسلامية.
٤. انتقال الخلافة العباسية من بغداد إلى مصر.
٥. ظهور علماء أفذاذ في شتى العلوم الدينية والعربية والتاريخية والطبية كابن تيمية و النووي والقرطبي وابن منظور وابن النفيس وغيرهم.

ومن الناحية الطبيعية فقد حدث في هذا القرن زلزال عظيم في المدينة المنورة، كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول

الحالة السياسية في القرن السابع الهجري

تزامنت بداية القرن السابع الهجري مع محاولة الخلفاء العباسيين استعادة شيء من نفوذهم السياسي الذي تغلب عليه السلاطين والقواد أمثال بني بويه وبني سلجوق في القرن الرابع والخامس والسادس الهجري فكانت الخلافة في تلك العصور مجرد اسم ومنصب تشريفي لا غير والسلطة الحقيقية بيد الأمراء والسلاطين سواءً المحيطين بالخليفة في العاصمة بغداد أو السلاطين الذين استقلوا بحكم بعض المناطق.

واستمر الحال كذلك حتى زالت الدولة السلجوقية " وبعد زوالها بست وستين سنة حاول خلفاء بني العباس الاستقلال بحكم العراق فقط"[١]، أما أطراف العالم الإسلامي فقد انقطع الأمل في إخضاعها للحكم الفعلي للخلافة العباسية ، وإنما لو حصل للخليفة الدعاء في الخطبة لكان كافياً له " ولم يبق مع الخليفة منهم إلا بغداد وبعض بلاد العراق، وذلك لضعف خلافتهم واشتغالهم بالشهوات وجمع الأموال في أكثر الأوقات"[٢]، حتى أن " الموحدين لم يعترفوا بخلافة العباسيين "[٣].
وفيما يلي عرض للأحوال السياسية في عدد من حواضر العالم الإسلامي:

أولاً : الحالة السياسية في العراق .

كانت بداية دخول القرن السابع الهجري في خلافة **الناصر لدين الله** ، وذلك أنه بويع بالخلافة " في مستهل ذي القعدة سنة خمس وسبعين "[٤] وخمسمائة ، وبقي في الخلافة حتى توفي " في آخر ليلة من رمضان سنة ٦٢٢هـ" [٥] فكانت خلافته " سبعة

---

(1) الخضري بك ، محمد : الدولة العباسية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٣٠هـ ، ص ٤٠٧ .
(2) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق، جزء ٩، ص ٨٨.
(3) الصلابي ، علي محمد : تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي . ط٢، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٦هـ ، ص ٣٨٨ .
(4) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : تاريخ الخلفاء . المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣هـ ، ص ٤٩٩
(5) الخضري بك ، محمد : الدولة العباسية . مرجع سابق ، ص ٣٩١ .

وأربعين سنة "[1]،قال الذهبي " ولم تكن الخلافة لأحدٍ أطول مدة منه "[2] إلا ما كان من العبيديين فإن المستنصر بالله " بقي في الأمر بديار مصر نحواً من ستين سنة ، وكـذا بقي الأمير عبدالرحمن صاحب الأندلس خمسين سنة " [3].

" وكان العالم الإسلامي في ذلك الوقت قد مزقته الانقسامات ولم تعد فيه دولة قوية إلا الدولة الخوارزمية ، وكان الخليفة العباسي الناصر يخشى بأس هذه الدولة " [4].

لأن خوارزم شاة علاء الدين محمد بن تكش ، سار على نهج أبيه في التوسع ، فاستولى على معظم إقليم خرسان ، وبلاد ما وراء النهر " وتجبَّر وطغى ، واستبعد الملوك الكبار ، وأباد أمماً كثيرة "[5] حتى أنه أصبح يطمع في أن يخطب له على منابر بغداد ، فقصدها ، حتى إذا " وصل إلى همذان ، وقع عليهم ثلج عظيم ... فكفى الله شره ورده على عقبه " [6]،وبهذا وقعت جفوة شديدة بين الخليفة وخوارزم شاة حدت به أن يقطع الخطبة للخليفة فيما تحت يده من البلاد.

وفي هذه الأثناء كانت بداية أمر التتار " سنة ٦٠٦هـ " [7] على يد تموجين (جنكيز خان) الذي استطاع أن يوِّحد قبائل التتار تحت رايته ، وكون بهم قوة ضاربة اجتاحت العالم كما سنوضح لاحقاً، ونظراً لقربه من دولة خوارزم شاه ، كان لابد من الاحتكاك عاجلاً أو آجلاً ولكنه كان سلمياً بادئ الأمر ، إذ وفد جماعة من تجار التتار إلى بلاد الخوارزم ، فقبض عليهم والي خوارزم شاة في تلك المنطقة واتهمهم بالجاسوسية وأخذ أموالهم ، ثم أرسل جنكيز خان رسله إلى خوارزم شاة

---

(1) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام . دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، جزء ١١، ص ٨٤ .

(2) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : تاريخ الخلفاء . مرجع سابق ، ص٥٠٠ .

(3) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام ، مرجع سابق ، جزء ١١، ص٨٤.

(4) الفقي ، عصام الدين عبدالرؤوف : دراسات في تاريخ الدولة العباسية . دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٩هـ ، ص ٢٣١ .

(5) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص ٥٠٠ .

(6) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام . مرجع سابق ، جزء ١١، ص٦٦.

(7) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : تاريخ الخلفاء ، مرجع سابق ، ص ٥٠٧ .

مستنكراً ، فما كان من الأخير إلا أن أمر بقتل الرسل، " فيالها من حركة لما أهـــدرت من دماء المسلمين وأجرت بكل نقطة سيلاً من الدم "[١].

ثم إن خوارزم شاة بادر جنكيز خان بالهجوم على منطقتـــه ، فتقابـــل الفريقـــان " واقتتلوا قتالاً لم يسمع بمثله ، فبَقُوا في الحرب ثلاثة أيام بلياليها ، فقتل من الطـــائفتين مالا يعد ولم ينهزم أحدٌ منهم "[٢] ، ثم تفرقوا ورجع المسلمون إلى ديارهم واســـتعدوا لمواجهة طوفان التتار القادم ، ثم هجم التتار على بخارى ودمروها وأحرقوا المدارس والمساجد.

ثم رحلوا نحو سمرقند " وبها خمسون ألف من الخوارزمية "[٣] ،فخـــرج إلـــيهم شجعان أهل سمرقند وأهل الجلد والقوة فيها " ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمي أحد ، لما في قلوبهم من خوف هؤلاء الملاعين "[٤]، فعمل التتار لهم كميناً فقتلـــوهم " عن آخرهم شهداء رضي الله عنهم ، وكانوا سبعين ألفاً على ما قيل " [٥]. ثم إن الجند استسلموا لهم " فقتلوهم عن آخرهم "[٦]، ثم إن جنكيز خان أرسل عشرين ألف فـــارس " وقال لهم أطلبوا خوارزم شاة أين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخـــذوه "[٧] فما زالوا يلاحقونه حتى لجأ إلى قلعة له ثم توفي فيها طريداً شريداً ، بعـــد أن ملـــك " إحدى وعشرين سنة وشهور تقريباً "[٨] ، فسبحان الذي يؤتي الملك من يشاء وينزعـــه ممن يشاء .

---

(1) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : تاريخ الخلفاء . مرجع سابق ، ص ٥٢١ .

(2) ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم : الكامل في التاريخ . ط٢، دار الكتب العلمية ، بيـــروت ، ١٤١٥هـــ ، جزء ١٠، ص ٤٠٢.

(3) المرجع السابق ، جزء ١٠، ص ٤٠٥.

(4) المرجع السابق ، جزء ١٠، ص ٤٠٥.

(5) المرجع السابق ، جزء ١٠، ص ٤٠٥.

(6) المرجع السابق ، جزء ١٠، ص ٤٠٥.

(7) المرجع السابق، جزء ١٠، ص٤٠٧.

(8) المرجع السابق ، جزء ١٠، ص ٤٠٧.

ثم توفي الخليفة الناصر سنة ٦٢٢هـ وتولى الخلافة ابنه **الظاهر بأمر الله** وقد " كان نعم الخليفة جمع الخشوع مع الخضوع لربه والعدل والإحسان إلى رعيته ، ولم يزل كل يوم يزداد من الخير والإحسان "(١). قال ابن الأثير " فلو قيل إنه لم يل الخلافة بعد عمر بن عبدالعزيز مثله لكان القائل صادقاً " (٢). "ثم لم يلبث أن مات بعد تسعة أشهر ونصف رحمه الله " (٣).

وبعد وفاة الظاهر استخلف ابنه **المستنصر بالله** الذي اشتهر ببنائه للمدرسة المستنصرية التي كما قال ابن وصال " ما بني على وجه الأرض أحسن منها ، ولا أكثر منها وقوفاً "(٤) ، وأعمال هذه الخليفة تدل على أنه من المصلحين الذين نور العلم عقولهم وشرحت الحكمة صدورهم " قال ابن النجار : نشر العدل وبث المعروف ، وقرب العلماء والصلحاء ، وبني المساجد والمدارس والربط ودور الضيافة والمارستانات"(٥) ولهذه الأعمال وغيرها "اجتمعت القلوب على حبه والألسنة على مدحه "(٦) و قويت سلطته " فلم يكن معه سلطان يحكم عليه"(٧)وقد استكثر المستنصر من الجند ، حتى قيل أنه " بلغ عدَّةُ عسكره مائة ألف " (٨)، وهذا حزمٌ منه ، لأنه قد بلغه ظهور التتار ، ولكن ابنه المستعصم فرق هذا الجند وسرحه " حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد "(٩) ، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا .

---

(1) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام ، مرجع سابق ، جزء ١١، ص١٦٧.

(2) ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكريم محمد: الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، ٤٥٣/١٠ .

(3) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد : سير أعلام النبلاء . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٩هـ ، جزء ٨، ص٢٩٠.

(4) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : تاريخ الخلفاء . مرجع سابق ، ص ٥١٣ .

(5) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ، جزء ٨، ص ١٦٣.

(6) المرجع السابق ، جزء ٨، ص٤٥٣.

(7) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ، جزء ٨، ص١٦٤.

(8) المرجع السابق ، جزء ٨، ص ١٦٤.

(9) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق، جزء ٩، ص٨٣.

وبشكل عام فإن المستنصر بالله " كانت دولته جيدة التمكن ،... وكـــان يخطـــب لـــه بالأندلس والبلاد البعيدة "[١] .
ثم توفي المستنصر بالله " سنة أربعين وستمائة ، وكانت دولته سبع عشرة ســنة " [٢]، وتولى الخلافة بعده ابنه **المستعصم بالله** " الخليفة الشهيد"[٣]، الذي قدر الله أن يكـــون خاتمة خلفاء بني العباس في بغداد وذلك بعد أن قتله الطاغية هولاكو حفيـــد جنكيـــز خان موحد التتار .

سقوط الخلافة العباسية ودمار بغداد :-

" قال الموفق عبداللطيف في خبر التتار : هو حديث يأكل الأحاديـــث وخبـــر يطـــوي الأخبار ، وتاريخ ينهي التواريخ . ونازلة تُصَغِّرُ كل نازلة ، وفادحة تطبـــق الأرض ، وتملؤها بين الطول والعرض "[٤] .

من الوصف السابق لحروب هؤلاء القوم يتضح لنا مقدار الدمار والخـــراب والهـــلاك الذي أحدثه التتار في كل البلاد التي مروا عليها ، " وكأن قصدهم إفناء النوع وإبـــادة العالم ، لا قصد الملك والمال " [٥]، وقد ذكر المؤرخون بعض صفاتهم وفيهـــا دلالـــة على جهلهم وهمجيتهم المفرطة وقسوة قلوبهم ، وكان أول خروجهم سنة ست وستمائة كما ذكرنا سابقاً، وكيف أنهم شردوا خوارزم شاه ودمروا مملكته.

ثم لما كان سنة ست وخمسين وستمائة ، وصل التتار إلى بغداد وأحاطوا بها ، ولم يكن ببغداد من الجنود إلا القليل لأن الخائن الكبير الوزير ابن العلقمي الرافضي أشـــار على المستعصم أن يتقلل من الجند ، لأنه قد أضمر الشر للمسلمين وراســـل هولاكـــو

(1) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء . مرجع سابق ، جزء ٨، ص١٦٤.
(2) المرجع السابق ، جزء ٨، ص١٦٤.
(3) المرجع السابق ، جزء ٨، ص١٨٠.
(4) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر : تاريخ الخلفاء . مرجع سابق ، ص ٥١٩ .
(5) المرجع السابق ، ص ٥١٩ .

وحسَّنَ له القدوم ، فلما وصلت الجيوش الجرارة " في نحو مـــائتي ألـــف مقاتـــل " [١] همجي ، كان الخليفة ما زال يلهو وجاريته عرفه ترقص بين يديه حتى " جائها ســـهم من بعض الشبابيك فقتلها "[٢] ،فنظر كيف أن الخطر محدق و الخليفـــة لاه ، فكانـــت عاقبته أن قُتل قتلةً شنيعه – رحمه الله – فقد " كان متديناً متمسكاً بالسنة كأبيه وجـــده" [٣] ولكنه لم يكن في حزمهما.

ثم إن الوزير ابن العلقمي أول من خرج إلى التتار واستوثق من هولاكو لنفسه ، ثم رجع وأشار على الخليفة بالخروج لتقع المصالحة ومعه " سبعمائة راكب من القـــضاة والفقهاء والصوفية ورؤوس الأمراء والدولة والأعيان "[٤] ،فلما وصلوا قتلوا جميعاً ما عدا الخليفة وسبعة عشر نفساً ثم مثل الخليفة بين يدي هولاكو "فاضطرب في كلامـــه من هول ما رأى"[٥] ثم عاد إلى بغداد وأحضر من دار الخلافة أموالاً نفيسة ، فلما عاد أمر هولاكو بقتله هو وابنيه وكان قد تهيَّب قتل الخليفة ولكن ابن العلقمي هوَّن عليـــه ذلك .

بعد قتل الخليفة ، هانت كل جريمة على التتار فأطلق هولاكو لجيشه العنان ، فـــانقض الجيش المسعور قتلاً ونهباً وعاثوا في الأرض الفساد ، حتى قيل أن القتلـــى بلغـــوا " ثمانمائة ألف ، وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف ، وقيل بلغت القتلى ألفي ألف نفس "[٦] ، لذلك حُق لابن الأثير أن يقول في شأن خروج التتار إلى بلاد المسلمين أنها " الحادثـــة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيام والليالي عن مثلهـــا ، عمـــت الخلائـــق وخصت المسلمين "[٧] ، هذا و ابن الأثير لم يدرك هذه الحادثة لأن انتهى في كتابتـــه

---

(1) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص٨٣.

(2) المرجع السابق ، جزء ٩، ص٨٣.

(3) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد : سير أعلام النبلاء . مرجع سابق ،جزء ٨، ١٨١.

(4) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص٨٤.

(5) المرجع السابق ، جزء ٩، ص٨٤.

(6) المرجع السابق ، جزء ٩، ص٨٥.

(7) ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد: الكامل في التاريخ . مرجع سابق ، جزء ١٠، ص٣٩٩.

للتاريخ إلى سنة " ثمان وعشرين وستمائة " [١]، وكانت وفاته سنة ٦٣٠هـ ، وهكذا انقضى القرن السابع الهجري وبغداد لا زالت بأيدي التتار.

انتقال الخلافة إلى القاهرة:

كانت مصر تنافس بغداد على جميع الأصعدة خاصة في القرن السابع الهجري فمكانها الجغرافي وثقلها السياسي وتنوعها الاقتصادي خولها لأن تكون منافس قوي للعاصمة بغداد ، وكانت كذلك من أيام الفاطميين الذين استطاع أحد أتباعهم وهو (البساسيري) أن " يخطب فيها أي – بغداد- للمستنصر الفاطمي " [٢] قرابة السنة .

وبعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد بقي المسلمون بلا خليفة " ثلاث سنين ونصفاً"[٣].

ثم إن القاهرة اكتمل بدرها وقرت عينها بأن أصبحت داراً للخلافة بعد أن كانت تبعاً ، وذلك أن الملك الظاهر بيبرس البندقداري " وهو الأسد الضاري " [٤] كما سماه ابن كثير احتاج إلى حُجة تكسبه الشرعية لأن يحكم مصر ولا سبيل لذلك إلا بالتزكية الشرعية من خليفة عباسي يُكنُ له الشعب المسلم كل الولاء ، وكان له ذلك سنة ٦٥٩هـ في " يوم الاثنين الرابع من شعبان " [٥] فقد قلده الخليفة المستنصر بالله السلطنة في هذا العام ، والمستنصر بالله هذا " هو أخو المستنصر باني المستنصرية"[٦] و هو عم الخليفة المستعصم الذي قتله التتار ثم لم يلبث أن قُتل هذا الخليفة وقام بالخلافة بعده الحاكم بأمر الله ، وقد طالت مدة خلافته حتى نهاية القرن السابع الهجري

---

(1) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص٢٠.

(2) المرجع السابق ، جزء ٨، ص٢٠٦.

(3) المرجع السابق ، جزء ٩، ص١١٥.

(4) المرجع السابق ، جزء ٩، ص١٠٦.

(5) المرجع السابق ، جزء ٩، ص١١٥.

(6) المرجع السابق ، جزء ٩، ص١١٥.

فكانت " نيفاً وأربعين سنة " [١]. وبعد موته دفن بالقاهرة وهو أول خليفة مات بها من بني العباس [٢].

ثانياً: الحالة السياسية في مصر والشام.

لقد كانت مصر والشام في بداية دخول القرن السابع الهجري تحت سلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد ابن الأمير نجم الدين أيوب ، وهو أخو صلاح الدين فاتح القدس وقد " كان ذا عقل ودهاء وشجاعة" [٣] و مكر ومراوغة استطاع أن يستولي على ممالك أخيه صلاح الدين من أيدي أبنائه " حتى دحاهم " [٤]، فحكم الحجاز ومصر والشام واليمن وكثير من الجزيرة وديار بكر ، وأرمينية " [٥].

الحملات الصليبية على البلاد الإسلامية :

بعد الفتح العظيم للقدس على يد صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ ، كانت هذه الضربة الموجعة للصليبيين هي الوقود الأساسي الذي يعتمد عليه باباوات روما لإشعال عواطف عامة النصارى فجاءت الحملة الصليبية الثالثة والرابعة لاسترداد بيت المقدس ولكنها لم تفلح ، ثم بدأت التحضيرات للحملة الصليبية الخامسة في عهد الملك العادل سنة ٦١٤هـ بوصول الجيش المجري إلى عكا " بقيادة الملك أندريه الثاني " [٦].

وكان هدف هذه الحملة هو السيطرة على مصر لأنهم أدركوا " أنها أضحت مركز المقاومة الحقيقية في العالم الإسلامي ... بالإضافة إلى مواردها الاقتصادية والبشرية

---

(1) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : تاريخ الخلفاء . مرجع سابق ، ص ٥٣١ .

(2) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٥هـ ، جزء ٢، ص٥١.

(3) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء . مرجع سابق ، جزء ٨، ص١٢٠.

(4) المرجع السابق ، جزء ٨، ص١٢٠.

(5) الصلابي، علي محمد محمد: الأيوبيون بعد صلاح الدين. المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ ، ص ٤٧

(6) المرجع السابق، ص ١٠٣ .

الضخمة "[١] ، فكان أن توجهت الحملة إلى دمياط وبدأت المناوشات حتى سقط بـــرج السلسلة فلما علم بذلك الملك العادل " تأوه لذلك تأوهاً شديداً ودق بيده على صدره أسفاً وحزناً على المسلمين"[٢] ثم مات بعد عدة أيام فكان لذلك أن ارتبك الجيش الإســـلامي وتفرق ؛ لأن الملك الكامل ابن العادل ترك ساحة القتال لكي يبطل المؤامرة التي قادها ابن المشطوب لعزله.

فقام الفرنج باحتلال بر دمياط بغير منازع ثم حاصروا دمياط إلى أن سقطت ســـنة ٦١٦هــ " ودخلوها بالأمان فغدروا بأهلها وقتلوا "[٣] ثم إنها عـــادت إلـــى حاضـــرة الإسلام سنة "٦١٨هــ" [٤] بعد أن حاصرت الجيوش الإسلامية الصليبيين فاضطروهم إلى " المصالحة بلا معاوضة " [٥]وهكذا انتهت الحملة الصليبية الخامسة بالفشل . ثـــم تبعتها الحملة السادسة سنة ٦٢٥هــ بقيادة الإمبراطور فردريـــك الثـــاني " اســـتجابة للدعوة التي تلقاها من الملك الكامل بمنحه القدس "[٦] وقد فعل " فاســـتعظم المـــسلمون ذلك وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصـــفه " [٧]، ثـــم إن الملـــك الناصر داود فتح القدس سنة ٦٣٧هــ " بعد أن بقي في أيدي الإفـــرنج نحـــو إحـــدى عشرة سنة " [٨].

وفي عام ٦٤٧هــ وصلت الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع إلى دميـــاط واستولى عليها " بغير كلفة ولا مؤنة حصار " [٩]، وعند زحفهم نحو القـــاهرة تـــوفي

---

[1] الصلابي ، علي محمد محمد : الأيوبيون بعد صلاح الدين . مرجع سابق ، ص ٩٨ .

[2] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٨، ص٥٨٦.

[3] المرجع سابق ، جزء ٨، ص٥٩١.

[4] المرجع السابق ، جزء ٨، ص٦٠٢.

[5] المرجع السابق ، جزء ٨، ص٦٠٣.

[6] الصلابي ، علي محمد محمد : الأيوبيون بعد صلاح الدين . مرجع سابق ، ص ٢٦٢ .

[7] ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد: الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، جزء١٠، ص٤٨١.

[8] الصلابي ، علي محمد محمد : الأيوبيون بعد صلاح الدين . مرجع سابق ، ص ٣٠٣ .

[9] المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : السلوك لمعرفة دول الملوك . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هــ ، جزء ١، ص٣٣٥.

الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فأخفت زوجته شجرة الدر موته حتى عاد ابنه توران شاه وقاد المعركة وحقق تقدماً على الفرنج وبذلك انتهت هذه الحملة بالفشل.

قيام دولة المماليك :-

لم ينعم توران شاه بالنصر على الفرنج ولا بالملك ، فقد قتله مماليك أبيه " بعد شهرين من ملكه "[١] ، وبمقتل توران شاه " انقضت دولة بني أيوب" [٢]، وبدأ عصر المماليك بالملك المعز عز الدين أيبك التركماني الذي شاركته شجرة الدر السلطان بعد زواجه منها ، لأنها قد استقلت بالسلطان " مدة ثلاثة أشهر قبل المعز " [٣]، وبعد سبع سنين تقريباً قتلت شجرة الدر زوجها عز الدين أيبك من غيرتها لما علمت أنه سيتزوج " ابنة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ "[٤] . فلما علم مماليكه بقتلها أستاذهم _ عز الدين أيبك التركماني _" أقبلوا بصحبة مملوكه الأكبر سيف الدين قطز ، فقتلوها وألقوها على مزبلة غير مستورة العورة ، بعد الحجاب المنيع والمقام الرفيع " [٥].

وبعد ذلك أقاموا نور الدين علي – ابن أستاذهم – سلطاناً ولقبوه الملك المنصور ، ثم لما أقبل التتار سنة ٦٥٧هـ بعد تدميرهم بغداد ، قبض سيف الدين قطز على الملك المنصور هذا، ونفاه وأهله إلى بلاد الأشكري ، " ثم تسلطن هو وسمى نفسه بالملك المظفر ، وكان هذا من رحمه الله تعالى بالمسلمين ، فإن الله جعل علي يديه كسر التتار "[٦] .

معركة عين جالوت :-

لما كانت سنة ٦٥٨هـ وصلت جيوش التتار المغرورة بالانتصارات المتواصلة إلى عين جالوت ، وكان الملك المظفر قطز " قد بادرهم قبل أن يبادروه "[٧] لما علم

---

[1] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ٦٠.

[2] الصلابي ، علي محمد محمد : الأيوبيون بعد صلاح الدين . مرجع سابق ، ص ٣٥٨ .

[3] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ٧٨.

[4] المرجع السابق ، جزء ٩، ص ٧٨.

[5] المرجع السابق ، جزء ٩، ص ٧٨- ٧٩.

[6] المرجع السابق ، جزء ٩، ص ٩٩.

[7] المرجع سابق ، جزء ٩، ص ١٠٤.

عزمهم القدوم إلى مصر ، وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين مــن شــهر رمــضان المبارك من هذه السنة " وقع المصاف بينهم في اليوم المذكور وتقاتلا قتالاً شديداً لم ير مثله ، حتى قتل من الطائفتين جماعة كثيرة "[١] ،واختل الجيش الإســلامي ، فحمــل المظفر قطز هو وجماعة معه حملة صادقة وألقى خوذته التي على رأسه و " صــرخ صرخةً عظيمة سمعه معظم العسكر وهو يقول وا إسلاماه ثلاث مرات ، يا الله انصر عبدك قطز على التتار "[٢] ، فنصر الله جنده نصراً مؤزراً ، ونزل قطز " عن فرســه ومرغ وجهه على الأرض وقبلها وصلى ركعتين شكراً لله "[٣] .
وقتل مقدم التتار كتبغا نوين وحمل رأسه إلى القاهرة ، وفرح المسلمون فرحاً شــديداً بعد أن دب فيهم الوهن واعتقدوا أن التتار لا يهزمون، فالله الحمد .

لقد كانت آثار هذه المعركة عالمية وكبيرة جداً ، " فإن بعض المؤرخين الأوروبيين ذهبوا في تقدير أهمية عين جالوت إلى أنها لم تنقذ مصر والشام أو بــالأحرى دولــة المماليك فحسب ، بل إنها أنقذت العالم الأوروبي والمدن الأوروبية من شر لــم يكــن لأحدٍ من ملوك أوروبا وقتئذ قِبَلٌ بدفعه"[٤].

سلاطين مصر بعد معركة عين جالوت إلى نهاية القرن السابع:

لم يشفع انتصار قطز العظيم له عند أمراء المماليك ، فقد تمالأ القوم على قتله وتم لهم ذلك عند رجوعه إلى الديار المصرية بعد أن طهر دمشق من التتار ، والذي تولى ذلك الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري، فأموره عليهم " ولقبوه الملك الظاهر " [٥].

---

[1] ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف : النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القــاهرة. مطبعــة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٩هــ، جزء ١٠، ص ٣٦٥.

[2] المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : السلوك لمعرفة دول الملوك . مرجع سابق ، جزء ٧، ص ٢٢١.

[3] المرجع السابق ، جزء ٧، ص ٢٢١.

[4] سالم ، سحر السيد عبدالعزيز : دراسات في تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي . مؤســسة شــباب الجامعة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٥، ص ٢٦٣ .

[5] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ١٠٦.

وبقي في السلطة حتى توفي عام ٦٧٦هـ فكانت مدته قرابة ثماني عشرة سنة وقد " كان غازياً مجاهداً مرابطاً ، خليقاً للملك ، لولا ما كان فيه من الظلم " [(١)].
" وقام بعده في الملك ولده الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالي محمد"[(٢)] إلى أن خلع نفسه سنة ٦٧٨هـ ، وأقاموا مكانه أخوه بدر الدين سلامُش ولقب بالملك العادل ثم خلعه الأمراء كأخيه " وأقاموا بعده قلاوون الصالحي "[(٣)] ، الذي قاد المسلمين في معركة حمص ٦٨٠هـ ضد التتار هذه المعركة العظيمة التي كان عدد التتار فيها " مائة ألف فارس ، وعسكر المسلمين على النصف من ذلك أو يزيد قليلاً "[(٤)] ، وكادت الدائرة تكون على المسلمين ولكن الله سلم ونصرهم في آخر النهار .

ومن مآثر الملك المنصور قلاوون فتح مدينة طرابلس سنة ٦٨٨هـ ، بعد أن كانت بأيدي الفرنج ١٨٥سنة ، ثم كانت وفاته سنة ٦٨٩هـ ، "وأقيم بعده ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل " [(٥)].

وهو الذي " نظف السواحل من الفرنج بالكلية، ولم يُبقِ لهم بها حجر"[(٦)]، وبقي في الملك حتى قتله نائبه بيدار سنة ٦٩٣هـ ، واتفق الأمراء على تمليك بيدار وسموه الملك القاهر ثم قتلوه في اليوم الثاني وملكوا أخا الملك الأشرف واسمه " محمد الملك الناصر بن قلاوون ، وكان عمره إذ ذاك ثمان سنين وشهوراً ، وبعد سنه من ملكه خلعه الأمير زين الدين كتبغا وجلس على سرير المملكة "[(٧)] وتلقب بالملك العادل ،" فأقام إلى صفر سنة ست وتسعين ، فخُلع وتسلطن حسام الدين لاجين المنصوري"[(٨)].

---

(1) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام . مرجع سابق ، جزء ١٨، ص ٢١٧.
(2) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص ٨٣.
(3) المرجع السابق ، جزء ٢، ص ٨٤.
(4) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية ، مرجع سابق ، جزء ٩، ص ١٠٦.
(5) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص ٨٧.
(6) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ٢١٠.
(7) المرجع السابق ، جزء ٩، ص ٢٢٧.
(8) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص ٨٨.

وبقي الملك منصور لاجين السلحداري في الملك إلى أن قتل سنة ٦٩٨هـ ، " وأعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقد كان منفياً بالكرك "[١] ، وبقي في الملك حتى نهاية القرن السابع الهجري .

إن الدارس لهذه الفترة من تاريخ المماليك يجد أن المماليك لا يؤمنون بمبدأ توارث السلطة لأنهم يعتقدون " اعتقاداً راسخاً عميقاً ، بأنهم جميعاً - بحكم أحوالهم ونشأتهم وطبيعة التطور الذي مروا به – متساوون ، فلا فرق بين مملوك وآخر ، إلا بما حباه الله من صفات خاصة، كالشجاعة والذكاء مما أدى إلى كثير من الفتن والثورات والاضطرابات التي شهدها ذلك العصر ، طوال فترة حكمهم "[٢].

ثالثاً : الحالة السياسية في اليمن .

استطاع الأيوبيون بسط نفوذهم على اليمن وإعادة الخطبة للخلافة العباسية ، وذلك قبيل دخول القرن السابع الهجري بسنوات ، ثم كانت هناك العديد من الاضطرابات السياسية ، جعلت صلاح الدين الأيوبي يرسل جيشاً بقيادة " أخيه طغتكين بن أيوب "[٣] ، الذي قضى على التمرد بكل قوة ، واستمر في الحكم حتى " توفي سنة ٥٩٣هـ"[٤] ، ثم تولى الملك بعده ولده المعز إسماعيل بن طغتكين سيء السيرة الذي " توفي مقتولاً بيد الأكراد يوم الأحد الثامن عشر من شهر رجب سنة ثمانٍ وتسعين وخمسمائة "[٥]، وتولى بعده أخوه الناصر أيوب بن طغتكين الذي توفي مسموماً سنة ٦١١هـ ، تبع ذلك حملة أيوبية بقيادة الملك المسعود ابن الملك الكامل ، استطاع أن يخمد نار

---

(1) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص ٨٨.

(2) النباهين ، علي سالم : نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر . دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٨١م ، ص ١٢٨ .

(3) خواجي ، مجدي بن محمد : محمد الهمداني (شاعر الدولة الرسولية) . مؤسسة الرسالة ؛ بيروت ، ١٤٢٢هـ ، ص٥ .

(4) المرجع السابق ، ص ٧ .

(5) الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية . تحقيق عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤٣٠هـ ، جزء ١، ص ٦٣.

الاضطرابات ويعيد الاستقرار لليمن ، وعندما تم له ذلك قفل راجعاً إلى مصر ٦٢٠هـ ، وأناب عنه نور الدين عمر بن علي بن رسول (مؤسس الدولة الرسولية).

قيام الدولة الرسولية :-

بعد وفاة الملك المسعود سنة ٦٢٦هـ ، شرع عمر بن علي بن رسول "بإجراءات استقلال اليمن عن سلطة بني أيوب "[١] ، ولكنه لم يعلن ذلك ، وأبقى الخطبة والعُملة للأيوبيين ، وعندما أحس أنه رتب أوضاع البلاد لصالحه أعلن استقلاله عن الأيوبيين سنة ٦٣٠هـ ، وأضفى على حكمه الشرعية عندما وصله التشريف بالسلطة من الخليفة العباسي المستنصر بالله ، " وألبسه – رسول الخليفة – الخِلعة الشريفية الخليفية على المنبر"[٢]،واستمر الملك المنصور عمر بن رسول في حكم اليمن حتى قتل سنة ٦٤٧هـ ، بعد أن أسس للرسوليين دولة عظيمة ، أرسى قواعدها ومد نفوذها إلى بلاد الحجاز "[٣] ، وتولى بعده ابنه المظفر يوسف ، الذي بلغت الدولة الرسولية في عهده " أوج قوتها ، فامتد نفوذها من ظفار الحبوظي إلى مكة المكرمة حيث استرجعها من الأشراف ... كما ساد الهدوء والاستقرار في فترة حكمه " [٤].

التي دامت قرابة " ستا وأربعين سنة "[٥] ، فكانت وفاته سنة ٦٩٤هـ ، ثم حدث نزاع بين ابنيه الأشرف عمر والمؤيد ، انتهى " بهزيمة المؤيد ، وأسرهِ مع ولديه المظفر والظافر "[٦] ، وبقي الأشرف عمر في الحكم حتى توفي سنة ٦٩٦هـ ، فتم الأمر

---

[1] عثمان ، قائد حميد : الرسوليون موطنهم ونسبهم وبواكير دولتهم . ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية ، جامعة عدن ، الجمهورية اليمنية ، ١٤٢٢هـ ، ص ٢٢ .

[2] الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ، جزء ١، ص ٨٩.

[3] خواجي ، مجدي محمد : محمد الهمداني (شاعر الدولة الرسولية) ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

[4] السنيدي ، عبدالعزيز بن راشد : المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية. مرجع سابق ، ص ٢٦ .

[5] الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ، جزء ١، ص ٣٢٧.

[6] السنيدي ، عبدالعزيز بن راشد : المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية . مرجع سابق ، ص ٢٨ .

لأخيه المؤيد وبقي حاكماً حتى توفي سنة ٧٢١هـ " بعد أن حكم حوالي ستاً وعشرين سنة "[١] .

إن الدولة الرسولية تعتبر " من الدول القليلة التي حفظت لليمن وحدته قرابة ٢٥٠ عاماً حيث يعد حكمها أطول حكم مركزي عرفته اليمن "[٢] وفي ذلك يقول" العلامة محمد الأكوع كان العصر الرسولي من أنضر عصور تاريخ اليمن فقد شهد توحيد اليمن الطبيعي بأكمله "[٣] .

المبحث الثاني / الحالة الاجتماعية في القرن السابع الهجري.

عاش الناس في القرن السابع الهجري تقلبات سياسية كبيرة وكثيرة، وشهدوا وصول عرقيات مختلفة إلى الحكم ، وإن كان من شيء يجمع هذه العرقيات الحاكمة فهي أنها غير عربية ، مما أدى إلى انعكاس هذه الأوضاع على أوجه الحياة الاجتماعية التي كانت مضطربة بسبب حوادث القتل والخلع التي تجري على الأمراء والسلاطين وكذلك الأخطار الخارجية المتعاقبة والمتزامنة في بعض الأوقات مثل خروج التتار من المشرق وخروج الفرنج من المغرب ، والأخطار الداخلية من بعض الفرق الضالة التي تمد يد العون للأعداء عند دخولهم للبلاد الإسلامية .

ويمكن تقسيم الموضوع كالتالي :

أولاً : طبقات المجتمع .

على مر الزمن والمجتمعات تنقسم في غالبها إلى طبقتين لكل منها سماته، **الطبقة الأولى الخاصة**: وتضم الخليفة والملوك والسلاطين والأمراء والوزراء و قادة الجيش

---

(1) السنيدي ، عبدالعزيز بن راشد : المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية . مرجع سابق ، ص ٣٠ .

(2) عثمان ، قائد حميد : الرسوليون موطنهم ونسبهم وبواكير دولتهم . مرجع سابق ، ص ١٥ .

(3) شكري ، محمد سعيد : في التأريخ السياسي للدولة الرسولية . ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية . جامعة عدن الجمهورية اليمنية . ١٤٢٢هـ ، ص ٣٦ .

والعلماء والقضاة وشيوخ القبائل وأصحاب الأموال من التجار الكبار ، وتتدرج السلطة بأيدي هؤلاء كلٌ حسب مكانته في الدولة.

فالخليفة يفترض أن يكون هو صاحب الأمر والنهي ولكن دوره في هذا القرن وما قبله ، ينحصر في مباركة من يتولى السلطة بخلعةٍ سوداء عباسية موشـاةٍ بالـذهب ، تقطع الطريق على من يحاول التشكيك في شرعية سـلطان ذلـك الزمـان ، بـل إن السلطان أصبح يخلع الخليفة الذي لا يروق له ، كما فعل الملك الناصر عندما صـرف الخلافة عن الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي إلى الواثق بالله إبراهيم .

أما السلاطين فإنهم أصحاب القرار والسلطة الحقيقية ، وقد يتحكم قادة العسكر بمصير هؤلاء السلاطين خاصة إذا كانوا صغاراً في السن.

أما طبقة العلماء الكبار فإنهم يتمتعون بنفوذ قوي يخشاه الملوك نتيجة محبة وطاعة الناس لهم ، في مجتمع متدين محافظ ، كما هو الحال مع الشيخ العز بـن عبدالـسلام والنووي وابن تيمية الذي كان لهم صولات وجولات مع سلاطين عـصرهم ، ولا أدل على ذلك من قول الظاهر بيبرس عندما بلغه خبر موت العز بن عبدالسلام حيث قال " لم يستقر ملكي إلا الساعة ، لأنه لو أمر الناس في ما أراد لبادروا إلى امتثال أمره"[1].

وغالباً ما توصف الطبقة الخاصة بأنها ترفل فـي النعـيم العظـيم مـن المـأكول والمشروب وأنواع اللباس الفاخر والمراكب العظيمة الذي تظهر أبهـة الملـك وقـوة السلطان ، وكل ذلك من المكوس الجائرة والضرائب المكلفة التي لم ينزل الله بها مـن سلطان ؛ غير أنه لا يمكننا وصف جميع جميع الأمراء والولاة بذلك فهناك من الملوك والعلماء من لم يلتفت إلى شي من ذلك إنما كان همه الجهاد ورد كيد الأعداء .

الطبقة الثانية العامة:

وهم عامة الشعب من المزراعين والصناع والجنود وأصـحاب التجـارات الـصغيرة وأرباب الحرف والنساء والأطفال والرقيق ، وهم كذلك طبقات:

---

(1) الصلابي ، علي محمد محمد : الأيوبيون بعد صلاح الدين . مرجع سابق ، ص ٤٣٣ .

أ- **الجند** :

وهم " طبقة محاربة يملكون القوة وبواسطتهم يتم فرض النظام والسلم والحرب "[١] وهم جند مختلط من العرب والترك والجركس والروم والأكراد والتركمان وغالبيتهم من الترك المماليك ، حيث درج سلاطين ذلك العصر على شراء أكبر عدد منهم لتقوية جيشه.

ولكل جيش تنظيم عسكري معين يرأسه عدة أمراء وتحت كل أمير كتيبة من الجند، أما القيادة العامة فتكون بيد " الأتابك " وهو مقدم العساكر ، الذي يعتبر بمثابة وزير الدفاع حالياً ، يليه أمراء الجيش ولكل واحد إمرةُ مائة فارس ، وتقدمة ألف فارس ، يليهم أمراء الطبلخاناه[٢] ولكل واحد إمرة أربعين فارس إلى سبعين ، يليهم أمراء العشرات ولكل واحد إمرة عشرون فارساً ، يلهم جند الحلقة (المشاة أو الراجلة) وتحت كل واحد أربعين نفر[٣].

وللجند لبس معين وصفه السيوطي فقال " قال الصلاح الصفدي كان الجند يلبسون فيما تقدم كلّوتات[٤] صفر مضربة بكلبندات[٥] بغير شاشات ، وشعورهم مضفرة دابيق في أكياس حرير ملونة ، وفي خواصرهم موضع الحائص بنود ملونة ، وأكمام أقبيتهم ضيقية وأخفافهم برغالي ، ومن فوق قماشهم بحلق وإبزيم [٦] وجلواز كبير ، يسع نصف ويبة أو أكثر " [٧].

---

[1] سعيد ، شايف عبده : الحياة الاجتماعية في عهد الدولة الرسولية . ندوة الحياة العلمية والفكرية في عهد الدولة الرسولية ، جامعة عدن ، الجمهورية اليمنية ، ١٤٢٢هـ، ص ٥٢ .

[2] والطبلخاناه : هي طبول متعددة وما يتبعها من آلات موسيقية من أبواق ومزامير وشبابات وكوسات ، وتدق الطبلخاناه خلف الملك إذا ركب في المواكب ونحوها.

[3] السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص ١٠٠.

[4] الكلوتة : غطاء الرأس تلبس وحدها أو بعمامة ، وهو مما استحدثه سلاطين الأيوبيين بمصر .

[5] الكلبند : جزء من غطاء الرأس .

[6] الأبزيم : ما يكون في رأس المنطقة وما أشبهه ، وهو ذو لسان يدخل فيه الطرف الآخر .

[7] السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص ٨٧.

وقد يشارك الجند في تنظيم حركة المرور ومثال ذلك عندما " أمر العادل أيام الجُمع بوضع سلال على أفواه الطرق إلى الجامع الأموي لئلا تصل الخيول إلى قريب الجامع صيانة للمسلمين عن الأذى بهم ، ولئلا يضيقوا على المارين إلى الصلاة " [١].

ب- المزارعون وأهل الماشية :

وهم يشكلون أكثرية السكان ، فأهل القرى والضياع القريبة من المدن يشتغلون بالزراعة ، وأهل البادية يشتغلون بالرعي ، وهذه الطبقة " هم الذين عليهم الكد والكدح ولم يكن الواحد منهم يصل إلى ثمرة عمله كله ، لما كان ينوبهم من مظالم ومكوس مختلفة تؤدُّهم أحياناً كثيرة "[٢] .

وقد يحصل لهم مجاعات تهلك الحرث والنسل نتيجة غلاء الأسعار كما حصل بالشام سنة ٦٦٠هـ وكذلك بمصر سنة ٦٩٥هـ " ففي مستهل هذه السنة كان الغلاء شديداً جداً ، وقد تفانى الناس إلا القليل ... والأقوات في غاية القلة والغلاء، والموت عمال ، فمات بها في شهر صفر مائة ألف ونحو من ثلاثين ألفاً "[٣] حتى ذكر ابن كثير أن الناس أكلوا الحمير والبغال والكلاب والخيول وكل شيء يلوح .

ولم تكن هذه الطبقة بعيدة عن ساحات الحروب ، فالسلطان عند اقتراب العدو قد يعلن التعبئة والنفير العام أو ما يشبه التجنيد الإلزامي كما حدث سنة ٦٩٩هـ عندما " نُودي في البلد أن يعلق الناس الأسلحة بالدكاكين ، وأن يتعلم الناس الرمي فعُملت الإماجات[٤] في أماكن كثيرة من البلد ، وعلقت الأسلحة بالأسواق ، ورسم قاضي القضاة ابن جماعة بعمل الإماجات في المدارس وأن يتعلم الفقهاء الرمي " [٥].

---

[1] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية ، مرجع سابق ، جزء ٨، ص ٥٧١.
[2] موسى ، محمد يوسف : ابن تيمية . العصر الحديث ، ط٢، بيروت ، ١٤٠٨هـ ، ص ٣٥ .
[3] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ٢٣٢.
[4] الإماجات : أماكن التدريب .
[5] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ٢٥٥.

وفي بعض الأوقات لا يوجّه القتال ضد الأعداء فقط ، فقد يكون نتيجة فتن داخلية كما حدث سنة ٦٧٨هـ حيث " قتلت قبائل الأعراب بعضها قتالاً شديداً "[١] .

ج- الصناع وأرباب الحرف :

يُولي الحكام هذه الفئة الكثير من الاهتمام ، نظراً لحاجة كل بلد للاكتفاء الذاتي الصناعي خاصة وقت الأزمات والحروب ، غير ما يفرض عليهم من ضرائب للدولة ، وبلغ من اهتمام الملك الناصر محمد بن قلاوون بهذه الفئة أن أرسل نائبه لاستعراض " أهل الأسواق بين يديه ، وجعل على كل سوق مقدماً وحوله أهل سوقه "[٢] ، وهو ما يسمى الآن شيخ الصنعة أو الطائفة .

د- الرقيق :

كان الرقيق منتشر في ذلك العصر بسبب كثرة الحروب ، ولا شك في أن الرقيق هم الطبقة الأدنى في أغلب المجتمعات خاصة المستخدمون في خدمة البيوت والمزارع أو بعض الصناعات ، ولكن هذه القاعدة ليست مطردة فهناك مماليك جرى عليهم البيع والشراء ثم أصبحوا ملوكاً يتحكمون في الأحرار ، وهل دولة المماليك بدءً من المعز أيبك التركماني إلا أكبر دليل على ذلك .

والملاحظ أن هذه الظاهرة لا تقتصر على مصر والشام فقط ، فقد كانت سائغة في ذلك العصر حتى في الهند فقد " كان قطب الدين أيبك أول سلاطين المماليك في الهند مملوكاً عند سيده شهاب الدين " [٣].

---

[1] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ١٧٤.

[2] المرجع السابق ، جزء ٩، ص ٢٥٥.

[3] الفقي ، عصام الدين عبدالرؤوف : بلاد الهند في العصر الإسلامي . دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٣٢٦هـ، ص ٣٦٦ .

ثانياً : الأديان والمذاهب :

أ. المذاهب الإسلامية.

أدى اتساع رقعة العالم الإسلامي ودخول شعوب متعددة في الدين الإسلامي ، واختلاف فهم الأئمة المجتهدين للنصوص الشرعية ، إضافةً للأهواء الشخصية والأحقاد القومية ، إلى ظهور الكثير من الطوائف والمذاهب الإسلامية المعتدلة والمنحرفة ، بعضها نتيجة طبيعية لاختلاف طريقة الاستدلال بالنص الشرعي ، وهذا الاختلاف مقبول ، كما هو الاختلاف بين المذاهب الإسلامية المشهورة ، الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وكذلك الظاهري، والبعض الآخر غير مقبول كالمذاهب التي ترجع إلى نزعة شعوبية كما هو الحال في المذهب الشيعي الإسماعيلي الذي تغذية نزعة شعوبية فارسية حاقدة تتحسر على أمجاد الكياسرة التي دمرها عرب الصحراء المسلمون.

وما خيانة " الوزير ابن العلقمي الرافضي قبحه الله "[١] بخافية على أحد ، فهو الذي حسَّن لهولاكو القدوم على بغداد وقتل الخليفة .

وهناك شواهد في ذلك القرن على خيانة بعض أبناء هذه الطائفة للمسلمين في أوقات الحروب وظهور الكفار ، فقد ذكر ابن كثير أنه بعد معركة عين جالوت وخروج التتار من دمشق " قتلت العامة وسط الجامع شيخاً رافضياً كان مصانعاً للتتار على أموال الناس يقال له الفخر محمد بن يوسف بن محمد الكنجي ، كان خبيث الطوية مشرقياً ممالئاً على أموال المسلمين قبحه الله " [٢].

ومن الطوائف أيضاً الصوفية التي كانت منتشرة بشكل واسع ، حتى أن بعض السلاطين كان كفنه عبارة عن قطع وخرق جمعها من شيوخ المتصوفة ، وبعضهم كان يقيم الموالد النبوية العظيمة ويرقص معهم بنفسه ، كالملك المظفر أبو سعيد كوكبري. [٣]

---

[1] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ٩٦.

[2] المرجع سابق ، جزء ٩، ص ١٠٤.

[3] المرجع سابق ، جزء ٩، ص ١٨.

ويتدرج الصوفية ما بين معتدل ومبتدع حاله يدعو للعجب ومنهم يوسف الأقميني الذي توفي سنة ٦٥٧هـ الذي " كان يلبس ثياباً طوالاً تحف على الأرض ، ويبول في ثيابه ، ورأسه مكشوف ... وكان كثير من العوام وغيرهم يعتقدون صلاحه وولايته "[١] ، وأخر يسمى سعيد الشاغوري توفي سنة ٦٨٠هـ " لم يكن ممن يحافظ على الصلوات ولا يصوم مع الناس .. وكان يجلس على النجاسات والقذر وكان العوام يغالون في محبته واعتقاده " [٢].

ب. أهل الذمة.

عدالة الإسلام وسماحته أتاحت لأتباع الأديان الأخرى حرية اعتقاد ما يريدون مع أنهم يقيمون بين ظهراني المسلمين ، ومع ذلك فلا يحق لنا إجبارهم على اعتناق الإسلام ، بل إن الإسلام أمرنا بالعدل فيهم ، قال تعالى {ïÏ‰$$kš‰r'¯»tƒ šú ïÏ%©!$# (#qãZtB#uä (#qçRqä. šú üÏBº§qs% ¬! uä!#y‰pkà

3' qß¡ø)É9$$Î/ (Ÿwur öNà6¨ZtBÌôftƒ ãb$t«oYx© BQöqs% #’n?tã žwr& (#qä9Ï‰÷ès? 4 (#qä9Ï‰ôã$# uqèd Ü>tø%r& 3“uqø)G=Ï9

(#qà)¨?$#ur ©!$# 4 ¨bÎ) ©!$# 7Ž Î6yz $yJÎ/ šcqè=yJ÷ès? Ç ÑÈ } [٣]، وبما أنهم في دولة الإسلام فمن حقهم أن يحميهم المسلمون من الأعداء كما يحمون أنفسهم ، مقابل جزية يدفعونها لبيت المال .

وفي القرن السابع الهجري كان أتباع الديانة اليهودية و النصرانية يشكلون جزءاً من المجتمع الإسلامي يحظى بكافة حقوقه الإنسانية والدينية، على النقيض مما فعله النصارى مع مسلمي الأندلس عندما " إنتدبَ ملك قشتالة ، الكردينال خمينين لملاحقة الموريسكين [٤] ، إذْ أساء معاملتهم وانتهك حرماتهم وحملهم على التنصر القسري ، وحظر عليهم كل مالهم من حقوق " [٥]، كما أن هناك مواقف غير مشرفة لأهل الذمة

---

[1] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ١٠٠.

[2] المرجع السابق ، جزء ٩، ص ١٨٥.

[3] سورة المائدة ، آية ٨ .

[4] الموريسكين: هم المسلمون المدجنون الباقون تحت ظل دولة قشتالة وأراغون الموحدة .

[5] زغروت ، فتحي : النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي . دار الأندلس الجديدة للنشر ، القاهرة ، ١٤٣٠هـ ، ص ٤٩٥ .

في أوقات الأزمات والحروب كما في سنة ٦٥٨هـ عند ما احتل كتبغا نوين أمير هولاكو دمشق بغير قتال ، فذهبت طائفة من النصارى إلى هولاكو بهدايا عظيمة ورجعوا " بفرمان من جهته "[١] ، وأصبحوا يسبون الإسلام وأهله ويقولون " ظهر الدين الصحيح دين المسيح "[٢]. وأخذوا يرشون الخمر على أبواب المسلمين ووجوه الناس وثيابهم ، فنعكس ذلك عليهم بعد خروج التتار .

" ومن أبرز المهن التي عمل بها أهل الذمة – ولاسيما النصارى – مهنة الطب ، فقد برعوا في تشخيص الأمراض ، ووصف العلاج الناجع لها ونقلوا الكتب الطبية من اللغة اليونانية إلى العربية "[٣].

ثالثاً : مظاهر الحياة الاجتماعية

أ- الأعياد والمواسم.

اعتاد المسلمون الاحتفال بالمواسم الدينية وما زالوا، خاصة عيد الفطر والأضحى ، " فقد كان أهالي صنعاء من السادة يأمرون عبيدهم بكنس ساحات الأبواب المطلة على مصلى العيد ، ورشها بالماء وفرشها بالحصر المنقوشة بالألوان الزاهية الجميلة ، وطرح الأزهار الطيبة عليها"[٤].

وفي رمضان يخضبون " محاريب المساجد بالطيب "[٥] ، أما المولد النبوي فقد كان الملك المظفر أبو سعيد كوكبري يحتفل به احتفالاً هائلاً ، " حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد أنه كان يمد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس مشوي ، وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة ألف زبدية ، وثلاثين ألف صحن حلوى " [٦].

---

(1) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ١٠٢.

(2) المرجع السابق ، جزء ٩، ص ١٠٢.

(3) الفقي ، عصام الدين عبدالرؤوف : دراسات في تاريخ الدولة العباسية . مرجع سابق، ص ١٤٥ .

(4) خواجي ، مجدي محمد : محمد بن حمير الهمداني شاعر الدولة الرسولية . مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(5) المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(6) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ١٨.

ب - الاحتفالات.

تعددت الاحتفالات وتنوعت لتشمل افتتاح المدارس وحفلات الختان والزواجات الملكية واستقبال الملوك والقادة المنتصرين أو الحجاج .

في سنة ٦٢٨هـ تم افتتاح مدرسة إقبال الشرابي ، " وكان يوماً مشهوداً، اجتمع فيه جميع المدرسين والمفتيين ببغداد ، وعمل بصحنها قباب الحلوى فحمل منها إلى جميع المدارس والربط " [١].

وفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة اكتمل بناء المستنصرية التي " لم يبن مدرسة قبلها مثلها "[٢] و عمل لها احتفال كبير جداً حضره الخليفة والأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء والصوفية والشعراء " وعمل سماط عظيم بها، أكل منه الحاضرون ، وحمل منه إلى سائر دروب بغداد من بيوتات الخواص والعوام ، وخلع على جميع المدرسين بها والحاضرين فيها "[٣] و عُمل حفل خطابي أنشد فيه الشعراء.

أما الحجاج فقد كانت لهم مراسم استقبال حافلة في أغلب الأقطار الإسلامية ، ففي بغداد مثلاً سنة ثلاثين وستمائة " فتحت دار الضيافة للحجيج حين قدموا من حججهم ، وأجريت عليهم النفقات والكساوي "[٤] .

أما حفلات الختان فقد كانت غير مستغربة ، يجتمع لها الناس ويحتفلون بها، و مثال ذلك ما حدث في ذي القعدة سنة ٦٦٣هـ عندما " ختن الظاهر ولده الملك السعيد ، وختن معه جماعة من أولاد الأمراء وكان يوماً مشهوداً "[٥]، ، " وفي يوم عيد الفطر ختن السلطان_ الظاهر _ ولده خضراً الذي سماه باسم شيخه ، وختن معه جماعة من أولاد الأمراء ، وكان وقتاً هائلاً "[٦] .

---

[1] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ١٠.

[2] المرجع السابق ، جزء ٩، ص ٢١.

[3] المرجع سابق ، جزء ٩، ص ٢١.

[4] المرجع السابق ، جزء ٩، ص ١٦.

[5] المرجع السابق ، جزء ٩، ص ١٣٠.

[6] المرجع السابق ، جزء ٩، ص ١٥١.

كما أنه لا يخلو ذلك الوقت من بعض مظاهر الترف التي ترافق الزواجات الملكية، ومنها زواج الملك السعيد ابن الظاهر بيبرس على بنت قلاوون الذي " احتفل به السلطان احتفالاً عظيماً ، وركب الجيش في الميدان خمسة أيام يلعبون ويتطاردون"[١]، وخلع الظاهر على أهل مصر وحدها ألف وثلاثمائة خلعة ، وأرسل كذلك إلى الشام بالخلع الهائلة " ومد السلطان سماطاً عظيماً حضره الخاص والعام ، والشارد والوارد وكان وقتاً مشهوداً "[٢].

وكان السلطان إذا دخل أحد الأمصار التي يملكها يدخلها في " أبهة عظيمة وهيبة هائلة " وتدق له البشائر فرحاً بقدومه خاصةً إذا كان منتصراً [٣].

المبحث الثالث / الحالة الثقافية والعلمية في القرن السابع الهجري

ازدهرت الناحية الثقافية والعلمية في القرن السابع ازدهاراً كبيراً جداً ، وراج فيه سوق العلم والعلماء ، وقامت " نهضة علمية كبيرة رغم المصائب والأحداث التي نزلت بالناس في ذلك الزمان "[٤] ،وازدانت سماؤه بأعلام كالنجوم ما زالت أسمائهم حاضرة تجادل عن أهلها في مجالس العلم ؛ نعم لقد كانت هناك " رغبة جامحة في التعليم والتعلم ، ونشاط ليس له مثيل في ميدان الكتابة والتأليف لدرجة أننا ما زلنا عاجزين حتى الآن عن نشر مئات الموسوعات المخطوطة التي ألفت في عصر دولة المماليك"[٥].

وهذا الازدهار المعرفي الثقافي نتيجة لاهتمام القادة والأثرياء ومن في حكمهم بالعلم، فقد " اشتهر عن سلاطين بني أيوب وملوكهم حبهم للعلم والعلماء "[٦] ، وتبعهم

---

(1) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ١٥٧.

(2) المرجع السابق ، جزء ٩، ص ١٥٧ .

(3) المرجع السابق ، جزء ٩، ص ١٣٧ .

(4) العلي ، إبراهيم محمد : شيخ الإسلام ابن تيمية. دار القلم ، دمشق ، ١٤٢١هـ، ص ٣٠ .

(5) النباهين ، علي سالم : نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك . مرجع سابق ، ص ١٢١ .

(6) صبرة ، عفاف سيد محمد : المدارس في العصر الأيوبي . ندوة المدارس في مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص ١٣٩ .

في ذلك المماليك في مصر والشام والرسوليين في اليمن الذي كان لهم الباع الطويـــل في نشر العلم في اليمن فكانت فترة حكمهم " من أحفل فترات التاريخ بالعلماء والفقهاء و الكرماء والأمجاد"[(١)]،" ويكفي أن بعض الحكام والسلاطين أنفسهم كانوا على جانـــب كبير من الفقه والعلم "[(٢)] ومنهم الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول الذي كـــان " مشتغلاً بالعلم متضلعاً من العلوم " [(٣)].

لقد أصبحت ثقافة وقف المدارس والكتب والربط والزوايا والمارستانات سائدة في ذلك الزمان خاصة عند الحكام والأمراء والموسرين ، كما سنوضح في الفـــصل التـــالي ، وهذا انعكس إيجاباً على الحركة العلمية فأضحت وقد أنتجت إنتاجاً كثيراً ضخماً " في جميع العلوم الإسلامية أمهاتها وفروعها ، وقد بقي لنا اليوم جمهرة المؤلفات في هـــذه الناحية باختلاف أنواعها وضروبها ، فنحن نفيد منها أجل الفوائـــد ، إذ تعتبـــر مـــن مراجعنا الأصيلة الأولى "[(٤)] سواءً في العلوم الشرعية أو علوم اللغة العربية وآدابها أو العلوم الدنيوية من الطب و الفلسفة أو علم النبات .

لقد برزت في القرن السابع الهجري أسماء عظيمة وشخصيات علمية بارزة يعـــد نتاجهم العلمي غالباً من المصادر الرئيسة في كل فنٍ كتبوه ، وسنذكر بعـــضهم علـــى سبيل المثال لا الحصر.

أولاً:أبرز علماء القرن السابع الهجري.

عبدالعزيز بن عبدالسلام الملقب بعز الدين و " سلطان العلماء ، وفحل النجباء ، المقدم في عصره على سائر الأقران، بحر العلوم والمعارف"[(٥)] الآمر بالمعروف والنـــاهي عن المنكر " يهين الملوك فمن دونهم " [(٦)].

---

(1) سعيد ، شايف عبده : الحياة الاجتماعية في عهد الدولة الرسولية . مرجع سابق، ص٥١.

(2) خواجي ، مجدي محمد : محمد بن حمير الهمداني شاعر الدولة الرسولية . مرجع سابق ، ص٢٥ .

(3) الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ،جزء ١، ص ٣٢٩-٣٣٠ .

(4) موسى ، محمد يوسف : ابن تيمية . مرجع سابق ، ص ٤٩ .

(5) الصلابي : علي محمد : الأيوبيون بعد صلاح الدين . مرجع سابق ، ص ٣٦٤.

(6) المرجع السابق، ص٣٦٤.

وشيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح محمد ابن دقيق العيد تلميذ العــز بــن عبدالــسلام " الحافظ الزاهد الورع الناسك المجتهد المطلق ذو الخبرة التامة بعلوم الــشريعة "[١] و القرافي أحمد بن عبدالرحمن " عالم زمانه ، أحد الأعلام ، انتهت إليه رئاسة المالكيــة في عصره "[٢] صاحب كتاب الذخيرة .

وشهاب الدين أبو شامة " المؤرخ الذي برع في فنون العلــم ، وقيــل : بلــغ رتبــة الاجتهاد"[٣].

وشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية " الشيخ السيد الإمام العالم العلامة ، الأوحد البارع ، الحافظ ، الزاهد ، الورع ، القدوة الكامل العــارف ، تقي الدين ، شيخ الإسلام و مفتي الأنام ، سيد العلماء، قدوة الأئمة الفــضلاء، أوحــد العلماء العالمين آخر المجتهدين، قال المحدث الكبير أبو الحجاج المزي " ابن تيمية لم ير مثله منذ أربعمائة سنة "[٤].

والإمام الحافظ تقي الدين عبدالغني المقدسي الحنبلي " الإمام الحافظ الكبير الــصادق العابد الأثري " [٥]، وعلم الدين السخاوي الذي قال فيه الذهبي " ما علمت أحــداً فــي الإسلام حمل عنه القراءات أكثر مما حمل عنه " [٦]، وأبو عبدالله القرطبــي صــاحب التفسير ومحي الدين النووي صاحب التصانيف المشهورة " كان أوحد زمانه في الورع

---

(1) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ٣٧٢.

(2) الصلابي : علي محمد : الأيوبيون بعد صلاح الدين . مرجع سابق ، ص ٣٦٦ .

(3) المرجع السابق ، ص ٣٧٢ .

(4) موسى ، محمد يوسف : ابن تيمية . مرجع سابق ، ص ٤١ .

(5) الذهبي ، محمد بن أحمد : سير أعلام النبلاء . مرجع سابق ،جزء ١٣، ص١٢٥

(6) المرجع السابق، جزء ١٧، ص٤١٠.

والعبادة والتقلل وخشونة العيش والأمر بالمعروف "[١] وقصته مشهورة مع الملك الظاهر عندما ذكَّره بأنه كان عبداً " عند الأمير بندقدار"[٢] .

وجمال الدين ابن منظور صاحب لسان العرب والمحدث الكبير شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي صاحب كتاب سير أعلام النبلاء وعثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب.

كما أن هناك علماء كبار في المغرب والأندلس برز منهم في اللغة : العلامة عمر بن محمد الأزدي الإشبيلي " أبو علي الشلوبين – قال ولده إنه سمي بالشلوبين لأنه كان أشقر أزرق ، وكان إمام العربية بالمشرق والمغرب دون مدافع "[٣]. ومن الشعراء محمد بن إدريس بن القاسم " ويعرف بمرج الكحل ، وكان من أعظم شعراء عصره"[٤]، والرحالة المعروف محمد بن أحمد ابن جبير الأندلسي.

" ومن أبرع وألمع كتاب الأندلس في عصر الانهيار ، أبو المطرف أحمد بن عبدالله بن الحسين بن عميرة المخزومي " [٥]، ومن المؤرخين " أعظم أقطاب الرواية والتاريخ في هذه الفترة ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن الأبار .. أعظم شخصية في الأدب الأندلسي في القرن السابع الهجري "[٦] و هو صاحب كتاب (التكملة لكتاب الصلة) وكتاب الصلة هذا لابن بشكوال القرطبي.

---

[1] الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام ، مرجع سابق ، جزء ١٣، ص١٧٧.

[2] السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص٨٣.

[3] عنان ، محمد عبدالله : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ ، ص ٦٨٦ .

[4] عنان ، محمد عبدالله : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس . مرجع سابق، ص ٦٩٢ .

[5] المرجع السابق ، ص ٧٠٠ .

[6] المرجع السابق ، ص ٧٠٦ .

ومن أعظم الأطباء في ذلك القرن أبو الحسن علي ابن النفيس ،وابن أبـــي أصـــيبعة صاحب كتاب طبقات الأطباء ومن " أعظم النباتيين المسلمين في سائر العصور أبـــو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن الرومية "[١] و كذلك تلميذه ابن البيطار الذي ولد في الأندلس وتوفي بدمشق سنة ٦٤٦هـــ ومن الفلاسفة العلامة اليهودي موســـى بـــن ميمون الطبيب المشهور ، وقبله ابن رشد الذي توفي قبيل دخول القرن السابع بخمسة أعوام ، وغيرهم الكثير من الأعلام الذين لا يتسع المقام لذكرهم، وذكر من أثنى عليهم من العلماء .

ثانياً: حواضر العلم في ذلك القرن: منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قام الـــصحابة والتابعون رضوان الله عليهم بمهمة تبليغ هذا الدين ونشر علوم الشريعة فتفرقوا فـــي الديار يؤدون أمانة تبيين دين الله الخاتم ، وأصبحت المدينة المنورة بحكـــم أن أغلـــب الصحابة كانوا فيها هي مركز العلم في زمن الخلفاء الراشدين.

وبعد انقضاء الخلاف الراشدة انتقل العلم إلى الشام زمن خلافة بني أمية ، ثم تمركـــز العلم في بغداد حين اتخذها العباسيون عاصمة لهم ، وبقيت قروناً كذلك ، حتى أفسدها التتار في منتصف القرن السابع الهجري .

ثم شاء الله أن تكون مصر هي دار الخلافة " وصارت محل سكن العلماء ، ومحـــط رحال الفضلاء ، وهذا سر من أسرار الله أودعه في الخلافة النبوية حيث مـــا كانـــت يكون معها الإيمان والكتاب "[٢] ، وهذا لا يعني أن باقي مدن الإسلام ليس فيها شـــيءٌ من العلم فدمشق كانت كذلك مركزاً من مراكز العلم والعلماء وكذلك حلـــب والقـــدس واليمن وبلاد الأندلس والحجاز ، وأما بغداد والري وبخارى ونيسابور وخرسان فقـــد ضعف أمرها بعد استيلاء التتار عليها .

---

[1] عنان ، محمد عبدالله : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس . مرجع سابق، ص ٧١٥ .

[2] السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص٧٥.

لقد كان هناك نشاط علمي كبير تعج به هذه الحواضر نتيجة كثرة المدارس والمكتبات والمارستانات ولا ننسي حلقات العلم والوعظ في المساجد التي تعتبر نشاط ثقافي اجتماعي، ومنها مجلس الشيخ شمس الدين يوسف ابن الأمير حسام الدين (سبط ابن الجوزي)، فقد كان له " مجلس كل يوم سبت بكرة النهار .. وقد كان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع ويتركون البساتين في الصيف حتى يسمعوا ميعاده "[١].

وكما ازدهر العلم الشرعي فقد رافقه ازدهار للعلوم الدنيوية ومنها علم الحساب لدرجة أن بعضهم كان له مكتب للحساب ومنهم " الشيخ جمال الدين الإسكندري الحاسب بدمشق ، كان له مكتب تحت منارة كيروز ، وقد انتفع به خلق كثير ، وكان شيخ الحساب في وقته رحمه الله "[٢].

وإجمالاً " نستطيع أن نقرر بأن هذا العصر كان عصراً مجيداً من ناحية الثورة العلمية التي جمعت فيه علوم الدين واللغة والتاريخ وعلوم الحياة أيضاً ، حتى أنه يعتبر بحق عصر المؤلفات المطولة والموسوعات الجامعة " [٣].

---

[1] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية ، مرجع سابق ، جزء ٩، ص٧٧.

[2] المرجع السابق ، جزء ٩، ص١٨٦.

[3] موسى ، محمد يوسف : ابن تيمية . مرجع سابق ، ص ٦٣-٦٤ .

الفصل الرابع
إسهام الوقف في دعم الحركة العلمية في القرن السابع الهجري

المبحث الأول : إسهام الوقف في دعم المساجد والخوانق والأربطة .

المطلب الأول: إسهام الوقف في بناء المساجد ورعايتها.

المطلب الثاني: إسهام الوقف في إنشاء الخوانق ورعايتها.

المطلب الثالث: إسهام الوقف في إنشاء الأربطة ورعايتها.

المبحث الثاني : إسهام الوقف في دعم المدارس وطلاب العلم .

- علاقة المدارس بالوقف
- تصميم المدارس في القرن السابع الهجري
- أنواع المدارس
- مدارس القرن السابع الهجري في دمشق ومصر واليمن

المبحث الثالث : إسهام الوقف في دعم المكتبات .

- المكتبات المستقلة
- مكتبات الجوامع والمدارس
- مكتبات الربط والترب

المبحث الرابع : إسهام الوقف في مجال الرعاية الصحية .

- بيمارستانات القرن السابع الهجري
- مدارس الطب المستقلة
- المدارس الطبية والمراكز الملحقة
- الحمامات

تمهيد

تميز القرن السابع الهجري بنشاط علمي عظيم في عُلومِ الشرعية والطب والفلسفة والتاريخ والأدب والعلوم التطبيقية ، وقد كان ميدان هذا التميز هو المساجد والمدارس والمكتبات التي كانت منتشرة في ذلك القرن وما كان لهذه المؤسسات الدينية والتعليمية أن تقوم بدورها لولا الوقف الذي أمَّن لها التمويل اللازم للقيام بنشاطها بصفة مستمرة.

ولم ينحصر الوقف الإسلامي على المجال الديني والتعليمي فقط بل امتد ليشمل المجال الصحي، والاجتماعي، والاقتصادي، والحربي ، وترك الشارع الحكيم الخيار مفتوح للواقف حتى يتسنى له الوقف على ما يناسب ذلك الزمن أو تلك البقعة فتنوعت الجهات الموقوف عليها تنوعاً عجيباً تعددت شواهده عبر التاريخ الإسلامي .

فأدى هذا التنوع إلى تكامل بين الفريضة الشرعية ألا وهي الزكاة المخصصة لأصناف محددة وبين الصدقة التطوعية المتمثلة في الوقف الذي يحوي العديد من صور التكافل الاجتماعي الراقي المحقق للأمن الاجتماعي الذي بدوره شجّع الرحالة للتنقل بين الأقطار فبرز في نهاية القرن السابع بعض الرحالة كابن جبير الذي استفاد من الخوانق الموقوفة على أبناء السبيل .

لقد كثرت الأحباس في عهد الدولة الأيوبية و دولة المماليك " واتسع نطاقها وكانت تلك الكثرة سبباً في أن صار للأوقاف ثلاثة دواوين : ديوان لأحباس المساجد ، وديوان لأحباس الحرمين الشريفين وجهات البر الأخرى المختلفة ، وديوان للأوقاف الأهلية"[١]، وقد ذكر المقريزي هذه الدواوين الثلاثة عند حديثه عن الدولة التركية التي يقصد بها دولة المماليك.

---

[1] أبو زهرة ، محمد : محاضرات في الوقف . مرجع سابق ، ص ١٧ .

ولا بد أن تَكوّن هذه البيئة العلمية المزدهرة في القرن السابع الهجري هو نتاج كثرة الأوقاف المرسومة لخدمة العلم وطلابه ، فالقرن السابع الهجري نموذج مثـــالي مـــن التاريخ الإسلامي ينبغي دراسته لتوضيح إسهامات الوقف في دعم الحركة العلميـــة ، فهو بحق العصر الذهبي للوقف ، كما ذكر أحد الباحثين فقال " إن عـــصر ســـلاطين المماليك يمثل العصر الذهبي لنظام الأوقاف " (١).

وفي هذا الفصل سيتضح حقيقة هذه العبارة فقد أحصى الباحث مـــا يقـــارب ٤١٠ منشأة وقفية، مابين مساجد و خوانق وأربطة ومدارس ومكتبات وبيمارستانات، مع أن هذا الرقم اقل بكثير مما هو قائم في ذلك القرن، ومع ذلك فإن هذا العدد يبـــين مـــدى انتشار ثقافة الوقف في ذلك القرن ، ومدى اعتماد تلك المؤسسات على الوقف باعتباره الركيزة الأساسية في تمويل أنشطتها.

---

(1) أمين ، محمد محمد : ازدهار الأوقاف في عصر سلاطين المماليك . مؤتمر الأوقاف الأول ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٢هـــ ،جزء ٣ ، ص ٢٤١.

المبحث الأول

إسهام الوقف في دعم المساجد و الخوانق والأربطة

المطلب الأول : إسهام الوقف في بناء المساجد ورعايتها .

المسجد هو شعار المسلمين الظاهر الذي يعرفون به وهو بيت عبادة لله تعالى، يشع بالعلم والإيمان منذ بزوغ فجر الإسلام ، يرتاده المؤمنون ويجتمع فيه المسلمون ليؤدوا فرائض الله ، قال تعالى { [illegible]

[illegible]

[illegible] .[١]

ولمكانته العظمى في الإسلام كان " أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم حين هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة أن أقام مسجد قباء ثم أقيم المسجد النبوي الشريف "[٢] و هكذا دأب المسلمون على خطى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد أينما حلُّوا استجابة لقول الحق سبحانه { [illegible]

[illegible]

[illegible] [٣]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم " من بني مسجداً لله ، ولو كان كمفحص قطاة ، بنى الله له بيتاً في الجنة " [٤].

فانتشرت المساجد في كل أنحاء العالم قديماً وحديثاً ، يقول القلقشندي في شأن المساجد أنها " أكثر من أن تحصى وأعز من أن تستقصى "[٥] ، وسبب هذا الانتشار

---

[1] سورة النور ، الآيتان : ٣٦ ، ٣٧ .

[2] صبري : عكرمة سعيد : الوقف الإسلامي . مرجع سابق . ص ٤٣١ .

[3] سورة التوبة ، آية ١٨ .

[4] ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة. مرجع سابق، جزء ٢، ص٦٨، رقم الحديث ٧٣٠ .

[5] القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي:صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. طبعة القـاهرة ، ١٩٢٢م ، جـزء٢ ، ص٣٦٥.

ارتباط المسجد بالفريضة العظمى والركن الثاني من أركان الإسلام وهي الصلوات الخمس وغيرها من الشعائر التي لا ينفك المسلم عنها كصلاة الجمعة والخسوف والجنازة.

لذلك" تعتبر المساجد في مقدمة المؤسسات الوقفية "(١) لأن غالب المحسنين إذا أراد أن يوقف عقاراً فإن أول خيارته بناء مسجد أو ما ينفع المسجد ، وهذا توجهٌ سليم هذا الذي جعل المسجد في الرتبة الأولى عند الواقفين لمكانة المسجد الكبيرة في المجتمع المسلم ومنها :

١- يعمل المجسد على " زيادة التثقيف الديني لدى المسلم ، مما يبني في سلوكه المعاملة الحسنة "(٢) .

٢- يقوم المسجد بدور تعليمي وتربوي كبير ينافس المؤسسات التعليمية المستقلة ،بل إن مخرجات المسجد التعليمية تفوق مخرجات التعليم النظامي بمراحل ، والعلة في ذلك أن طالب العلم في المسجد راغب غير راهب ، فالمسجد هو اللبنة الأولى للتعليم والتدريس خاصة في العصور المتقدمة فقد أسس إلى جانب المساجد كتّاب" خصص لتعليم القراءة والكتابة والقرآن وشيء من علوم العربية والرياضة، وكان الكتّاب يشبه المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر" (٣).

" وقد بلغت الكتاتيب التي تم تمويلها بأموال الوقف عدداً كبيراً فمثلاً عد ابن حوقل منها ثلاثمائة كتاباً في مدينة واحدة من مدن صقلية ... وذكر أن الكُتَّاب الواحد كان يتسع للمئات أو الآلاف من الطلبة "(٤) .

---

[1] منصور ، سليم هاني : الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر . رسالة دكتوراه منشورة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٥هـ، ص ١٥٣ .

[2] الهيتي ، عبد الستار إبراهيم : الوقف ودوره في التنمية . وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ،١٤١٩هـ ، ص ١٢٥ .

[3] السباعي ، مصطفى : من روائع حضارتنا . دار الوراق، الرياض، ١٤٢٠هـ ، ص ٢٠٦.

[4] مدني ، غازي عبيد ، السيد ، عبد الملك أحمد : الوقف الإسلامي والدور الذي لعبة في النمو التعليمي . منظمة المؤتمر الإسلامي جدة ، الدورة الثالثة عشرة . ص ٥ .

٣- يعمل المسجد على خلق وسط اجتماعي متراحم ومتقارب تسوده الألفة والمحبة، يعطف الكبير فيه على الصغير والغني على الفقير لا فرق بين أبيض ولا أسود إلا بالتقوى .

٤- يؤدي المسجد في الإسلام "دوراً خطيراً في التوجيه والإرشاد والدعوة وإصلاح البشر وتربيتهم، وتقوية الشعور الديني وتدريب المصلين من المؤمنين على الأعمال الجماعية التي يدعو إليها الإسلام"[١].

فهو ليس مكان للعبادة فحسب ، بل معهد للتعليم ودار للقضاء وثكنة للمجاهدين ومركز اجتماعي و منبر سياسي ، فإذا " عرفنا ذلك كله أدركنا الرسالة العلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية التي يضطلع بها المسجد في المجتمع الإسلامي على مر العصور.... يقول الفيلسوف الفرنسي رينان إنني لم أدخل مسجداً من مساجد المسلمين من غير أن أهتز خاشعاً وأن أشعر بشيء من الحسرة على أنني لم أكن مسلماً "[٢].

" لقد كان المسجد مصدر الإشعاع الروحي والعلمي للأمة فكان بمثابة الجامعة التي خرجت كل المفكرين والعباقرة في شتى المجالات والذين قادوا مسيرة التطور الحضاري في العالم كله "[٣] .

وقد أجّمل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وظيفة المسجد فقال عند حديثه عن المسجد النبوي " ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم ، والخطب ، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمور دينهم ودنياهم"[٤].

---

[1] اللميلم ، عبدالعزيز محمد : رسالة المسجد في الإسلام .ب.ن ، ١٤٠٧هـ، ص ٣٠٦ .

[2] المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .

[3] العقاد ، عباس محمود : العرب والحضارة الأوروبية . دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ٢٥ .

[4] ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم : مجموع الفتاوى. تحقيق أنور الباز و عامر الجزار، دار الوفاء، القاهرة، ١٤٢٦هـ، جزء ٣٥، ص٣٩.

ولما كانت رسالة ودور المسجد في الإسلام بهذا الحجم كان بناء المساجد والوقف عليها من أجل القرب التي يتقرب بها العبد إلى خالقه عز وجل ولا خلاف بين العلماء في ذلك كما حكى القرطبي فقال"لا خلاف في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر، وإن اختلفوا في تحبيس غيرها"[١]

فـ " الأصل في نظام الأوقاف هو ارتباطه بدور العبادة للصرف عليها والقيام بإدارتها ورعاية القائمين على أمر الشعائر فيها " [٢]، " ونظراً لحرمة المسجد ، ولاعتبار الحبس قربة ، منع الفقهاء التحبيس على المساجد من قبل غير المسلمين ، قال عبدالرحمن بن القاسم إن حبس ذميٌ داراً على مسجد رُدَّت"[٣].

إن المسجد بذاته منشأة وقفية مؤبدة لا يجوز الرجوع عنها البتة ، لأنها خرجت من ملك البشر وأصبحت بيتاً من بيوت الله لا حظ فيه للدنيا وأهوائها ، ولسمو هدف المسجد كان منزهاً من أن يستغل لتحقيق دخل مادي وإن كان سيصرف على من يقوم بخدمة المسجد ، لذلك فإن الأصل فيمن يقوم بخدمة المسجد أن يكون عمله تطوعاً بلا مقابل إلا الأجر من الله ، فإذا حصل للمسجد وقف يُنفق على مصارفه ، اكتملت رسالة المسجد وازدادت منافعه وتوهج نوره في المجتمع المحيط به.

مصارف الوقف على المساجد

يمكن تقسيم مصارف الوقف على المساجد إلى قسمين: ما يرصد لتوفير العناصر البشرية وما يرصد لتوفير العناصر المادية .

أ- ما يرصد لتوفير العناصر البشرية.

كالإنفاق على إمام المسجد والمؤذن والخطيب والمقرئ والواعظ والفراش والبواب والخادم وكذلك الإنفاق على المدرسين والفقهاء أصحاب حلقات العلم في المسجد "

---

[1] القرطبي، أبو عبدالله : الجامع لأحكام القران. مرجع سابق، جزء ١٩، ص٢٢.

[2] أمين ، محمد محمد : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر . دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص ١٧٩ .

[3] أبو الأجفان ، محمد : بحث الوقف على المسجد في المغرب والأندلس . المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي ، جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، ١٤٠٥هـ ، ص ٣١٩ .

ويؤكد ذلك ما جاء عن ابن أيبك في الدر الفاخر قوله فجميع هذه الأماكن مشحونة بالأئمة والخطباء ، والفقهاء ، والمدرسين ، والمحدثين ، والطلبة ، والمؤذنين ، والقوام والفقراء ، والمساكين ، وكل من هؤلاء له المقرر من سائر ما يحتاج إليه مما أوقف عليهم من البلاد ، والضياع ، والأملاك ، والحوانيت ، ولهذه الأوقاف مباشرين وعمال وغير ذلك " [١].

كم ذكر ابن شداد أنه يوجد في الجامع الأموي " ثلاثة وسبعون متصدراً "[٢] لإقراء القرآن في الوقت الذي وضع فيه كتابه الأعلاق الخطيرة وذلك في القرن السابع الهجري .

وقد تتعدى شروط الواقفين على المساجد الوظائف السابقة المشهورة إلى وظائف تناسب تلك الأزمنة كوظيفة الميقاتي الذي ينبه إلى أوقات الصلاة والإمساك وسائر العبادات، ذكر السيوطي أن السلطان حسام الدين لاجين المنصوري عندما جدد أوقافاً لجامع أحمد بن طولون رتب فيه دروساً للتفسير والحديث " والفقه على المذاهب الأربعة والقراءات والطب والميقات حتى جعل من جملة ذلك وقفاً على الديكة تكون في سطح الجامع في مكان مخصوص بها لأنها تعين المؤقّتين وتوقظهم في السحر فلما قرئ كتاب الوقف على السلطان أعجبه كل ما فيه إلا أمر الديكة ، فقال : أبطلوا هذا لا تضحكوا الناس علينا فأبطل "[٣].

والملاحظ في النص السابق أنه يوجد في المسجد درس للطب ، وهذا دليل أن المسلمين يقدرون العلوم الدنيوية ولا يهملونها حتى في أطهر البقاع ، حتى أن أحمد بن طولون نفسه عمل في مؤخرة مسجده هذا خزانة شراب فيها بعض الأشربة والأدوية .

---

[1] مشهور ، نعمت عبد اللطيف : أثر الوقف في تنمية المجتمع . مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي ، جامعة الأزهر ، ١٩٩٧م ، ص ٧٩ .

[2] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٣٧٥هـ ، ص ٨١ .

[3] السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص١٩٤.

ب- ما يرصد لتوفير العناصر المادية.

ومنه ما ينفق على صيانة المسجد إذا اتسخت حيطانه وتشعثت فسيفسائه واحتاج إلى ترميم بعض أجزائه ، كما يشمل الإنفاق توفير الماء والفرش والبُسط والقناديل والزيت اللازم لها وشموع الإضاءة؛ وفي وقتنا الحاضر يصرف ريع الوقف على الكهرباء والماء والتكييف وغيرها.

ويدخل في العناصر المادية كذلك وقف الكتب والمصاحف فقد وقف بعض الصالحين قديماً مصاحف وشرطوا لقارئها مرتباً من الوقف ومن ذلك مصحف أسماء الذي وقفه أخوها الحكم بن عبدالعزيز بن مروان بجامع عمرو بن العاص رضي الله عنه " فجعله في المسجد الجامع وأجرى على الذي يقرأ فيه ثلاث دنانير في كل شهر "[١].

ومصحف الظاهر بيبرس الذي رتبه في الجامع الأموي " يقرأ بعد صلاة الصبح تحت قبَّة النسر وأجرى على القارئ فيه في كل شهر شيئاً معلوماً" [٢].

إذاً فمهمَّة الأوقاف الخاصة بالمساجد " محصورة في أمرين هامين هي[٣]:

١- صيانة أملاك الوقف والعمل على تنمية مواردها .

٢- العناية ببيوت الله ونشر الدين والثقافة الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم.

لكن الملاحظ الآن أن كثيراً من المساجد والجوامع باتت بلا أوقاف، فالمحسن يقوم ببناء المسجد وملحقاته ثم تنتهي مهمته عند ذلك ليسلم الراية لوزارة الأوقاف التي تتكفل برواتب الأئمة والخطباء وتتكلف بمصروفات المسجد من الماء والكهرباء.

وبرأي أن في هذا تراجع لدور الوقف الذي طالما عزز رسالة المسجد عبر القرون ، لذلك فقد كان من توصيات مؤتمر رسالة المسجد الذي غقد بمكة المكرمة فيما يتصل

---

[1] المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار . مرجع سابق ، جزء ٤، ص١٨.

[2] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم : الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق ، ص ٨٠ .

[3] الضحيان، عبدالرحمن بن إبراهيم: الأوقاف الإسلامية. دار المآثر، المدينة المنورة ، ١٤٢١هـ، ص ٧٢

بموضوع (تمويل المساجد) في البند الرابع ما نصه " أن تكون مصادر تمويل المساجد : الأوقاف التي يقفها المسلمون على المساجد " [١].

فالمؤسسة الوقفية تعتبر " أهم مورد مالي رصد لحياة المسجد ليستمر بكل ما يتعلق بالشؤون الإسلامية،....فهذه المؤسسة كانت وما تزال أهم مورد لشؤون الدين وللتعليم الإسلامي على الإطلاق " [٢].

" وتأتي أهمية الوقف على المساجد عامة في تزويد المسجد بكل ما يحتاجه لكي يؤدي رسالته التربوية في المجتمع من خلال الدور التربوي الذي يقوم به...ولقد فطن المسلمون عبر العصور لهذا الدور فتوالت الأوقاف على المساجد في جميع الدول العربية والإسلامية ، فالمسجد يحتل أكبر نسبة من الأوقاف مقارنة بالمجالات الأخرى"[٣].

وفيما يلي سنذكر طرفاً من جوامع ومساجد القرن السابع الهجري التي كانت منتشرة في أنحاء العالم الإسلامي وكان الوقف هو المعين الأول لها في أداء رسالتها العظمى .

أولاً/ الأوقاف على الجوامع والمساجد في دمشق

١ - الجامع الأموي .

ويسمى جامع دمشق ، وجامع بني أمية أو الجامع المعمور ومشهور أن الذي بناه هو الخليفة الوليد بن عبدالملك ، وما يهمنا هو الأوقاف والإصلاحات التي تجددت له في القرن السابع الهجري ، وذلك ابتداءً من أيام الملك العادل الأيوبي ، يقول ابن شداد في سنة ست وستمائة شُرع في " تبليط الصحن الخارجي بتولي الصاحب صفي الدين

---

[1] مؤتمر رسالة المسجد ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٣٩٥هـ ، ص ٣٢٧، ملحق كتاب رسالة المسجد في الإسلام .

[2] بنعبد الله ، محمد بن عبدالعزيز : الوقف في الفكر الإسلامي . وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ١٤١٦هـ ، جزء ٢، ص ٥٧.

[3] البيتي ، حسن عمر : المقاصد التربوية للوقف .النهار للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ، ص ٩٠-٩١.

عبدالله بن علي "[١] المعروف بابن شكر ، وفي سنة سبع وستمائة تم " تبليط الأروقة الجوانية"[٢].

و" في الأيام المعظمية جددت المقصورة التاجية المعروفة بابن سنان قديماً وجُدد من الرخام القائم بجدرانه ما كان متزايلاً "[٣].

و في " الأيام الأشرفية ... أُمر بترميم الحنايا التي بقبليته ، وجددت بعض المقاصير "[٤].

وفي " الأيام الصالحية النجمية احترقت المئذنة الشرقية بجامع دمشق فأمر السلطان بعمارتها في أوائل سنة سبع وأربعين وستمائة ... وجدد المرحوم جمال الدين ابن يغمور في أيامه بركه الكلاسة ، وبلَّط دهليزها وأرض البركة والسقايات بباب الجامع "[٥].

وفي أيام الظاهر بيبرس طاف بالجامع " فرأى الحائط القلبي قد اتسخ رخامه ، وتشعثت الفسيفساء . فأمر بإصلاحها ، وغسل الأساطين وتذهيب رؤوسها" [٦].

ثم قام الظاهر بيبرس ونائبه الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بإصلاحات مهمة جداً أعادت أوضاع أحباس الجامع الأموي إلى نصابها، إذ " نظر في وقوفه ، وما يصرف منها لأرباب الرواتب ممن كان منهم مستغنياً ، وليس به انتفاع في علم أبطله . ومن كان منهم ذا حاجة ، ولم يكن لديه علم رتب له على بيت المال ما يقوم به وصرف ما كان مقرراً لمن أبطله في مصالح الجامع ، وفيمن للمسلمين انتفاع بعلمه"[٧].

---

(1) ابن شداد ، محمد بن علي بن إبراهيم : الأعلاق الخطيرة. مرجع سابق ، ص ٧٧ .

(2) المرجع سابق ، ص ٧٧ .

(3) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(4) المرجع السابق ،ص ٧٧.

(5) المرجع السابق ،ص ٧٨.

(6) المرجع السابق ،ص ٧٩-٨٠ .

(7) المرجع السابق ،ص ٨٠.

ومن خلال النص السابق يتضح أنه كان للجامع الأموي أوقاف كثيرة على الجانب التعليمي، تصرف على شكل مرتبات للعلماء والمدرسين بالجامع.

ثم قام الظاهر بالبحث عن كتب أوقاف الجامع القديمة وأمر بأن ينفذ ما شرطه الواقفون لا ما يريده النظّار " فتطلب كتب وفقه – وكانت قد أهمل النظر فيها – وأجرى الوقوف على شرط واقفيها . وإنما كان المتولي للنظر فيها يفعل فيها بمقتضى رأيه في منعه وإعطائه " (١).

ويبدو أن الإخلال بأمانة (نظارة الوقف) أمر يتكرر حدوثه منذ القدم إذا تركت الأوقاف بأيدي الأفراد ولم يكن عليها رقيب من الدولة ، فالواجب أن تُحصر الأوقاف الخيرية خاصة القديمة ، ثم يكون لها حسابات سنوية مكشوفة للعامة بكل شفافية وبذلك نضمن مصداقية نُظّار الأوقاف.

وبعد ما أجرى الظاهر بيبرس الوقوف على شروط واقفيها ، حملت إليه كتب الوقف" بعدما شق على الباحث عنها وجودها ، فوجدها قد تمزق القديم منها ... فأمر بإحياء خطوطها وإثباتها عند سائر القضاة ، واجتهد فيها حسبما اقتضته آرائه السعيدة وأفعاله الرشيدة .. وكانت سائر الوقوف المرصدة على ما وقفت عليه مضافة إلى وقف الجامع ، وكانت لا تصرف في أربابها ، وإنما تصرف في مرتّب الجامع ، فأفردها عنه ، و ولاها من يصرفها على شرط من وقفها " (٢).

٢ - جامع التوبة.

" إنشاء الملك الأشرف أبي الفتح موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر في شهور سنة اثنين وثلاثين وستمائة "(٣) وإنما سمي بجامع التوبة لأنه كان " يعرف قديماً بخان الزنجاري، وكان به كل مكروه من القيان وغيره " (٤).

---

(1) ابن شداد ، محمد بن علي بن إبراهيم : الأعلاق الخطيرة. مرجع سابق ، ص ٨٠.

(2) المرجع السابق ،ص ٨١.

(3) المرجع سابق ، ص ٨٧ .

(4) المرجع السابق ، ص ٨٧ .

يقول ابن شداد " ولي خطابته ونظره الشيخ بدر الدين يحيى ابن الشيخ الإمام عز الدين بن عبدالسلام ، وجدد به ربعاً[١]وقفه عليه ، وجدد قبلته ومحرابه وذهبه وبيض أساطينه البرانية وأروقته "[٢].

٣- جامع جراح .

" أنشأه جامعاً الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل في سنة إحدى وثلاثين وستمائة "[٣].

وقد كان مسجداً فحوله الملك الأشرف جامعاً " ووقف على الجامع والمسجد – مسجد آخر بدار السعادة – قرية من أعمال مرج دمشق تعرف بالزعيزعية وشرط فيها للخطيب بالجامع في كل شهر عشرين درهماً ، وللإمام بالمسجد في كل شهر خمسين درهماً وللمؤذن والقيم ثلاثين درهماً ولعشرة قراء في الشهر لكل منهم عشرة دراهم"[٤].

٤ - جامع الجبل.

المشهور بجامع الحنابلة وقد " أنشأه بالاشتراك رجل يقال له الشيخ أبو داود محاسن الفامي حتى بلغ البناء مقدار قامة فنفذ ما كان معه فأرسل الملك المظفر كوكبوري.. مالاً جزيلاً لتتميمه فكمل .. ووقف عليه وقفاً"[٥] و أول من شرع في بناءه الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامه المقدسي وهو أول من ولي الخطابة فيه .

المساجد

ذكر ابن شداد ٦٦٠ مسجداً في دمشق وحدها، منها ما له أوقاف ومنها ما ليس له أوقاف، ومصارف أوقاف هذه المساجد التي ذكرها _ بعد الاستقراء _ تتحصر فيما يلي:

- مرتب الإمام
- مرتب المؤذن

---

(1) الرَّبْعُ: الدار بعينها حيث كانت، وجمعها رِبَاعٌ ورُبُوعٌ والرَّبْعُ أيضاً المحلة. مختار الصحاح للرازي، ص٩٧.

(2) ابن شداد ، محمد بن علي بن إبراهيم : الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق ، ص ٨٨ .

(3) النعيمي ، عبدالقادر بن محمد : الدارس في تاريخ المدارس . مرجع سابق ، جزء ٢، ص٣٢٤.

(4) المرجع السابق، جزء ٢، ص ٣٢٤.

(5) المرجع السابق، جزء ٢، ص ٣٣٥.

- ما ينفق على صيانة قنوات الماء، التي تخدم المسجد.

وسنذكر أسماء **المساجد ذات الأوقاف** إجمالاً، كما أوردها ابن شداد[١] والنعيمي[٢]:
(مسجد السقطيّين، مسجد في درب المدنيين ، مسجد بناه الأمير الحسن ابـن الأميـر يوسف ، مسجد ابن طغان ، مسجد عند دار ابن الخياط الكاتب، مسجد ابـن حفـاظ ، مسجد الديوان ، مسجد القلانسيين ، مسجد في الدرب السـوسي ، مسـجد فـي درب محرز ، مسجد ابن العميد ،مسجد عند دار ابن ريش ، مسـجد الجلاديـن ، مسـجد واثلة t ، مسجد ابن أبي العود ، مسجد الرطابين ، مسجد بناه معالي المزيّن ، مسجد عند درب البزوريين ، مسجد بقرب درب القرشيين ، مسجد الكف ، مسجد فـي درب فندق البيع، مسجد في زقاق البروزيّين ، مسجد الزينبي ، مسجد ابن العرباض مسجد ابن عنقود، مسجد الطبَّاخين ، مسجد داخل درب الجبن ، مسجد الحـدادين ، مسـجد سوق اللؤلؤ ،مسجد سوق الطير ، مسجد في درب الحبالين ، مسجد عنـد رأس درب التميمي ، مسجد دار البطيخ ، مسجد الإجابة ، مسجد بني علان ، مسجد السـكاكين ، مسجد الناشئ ، مسجد السلالين ، مسجد عند باب المدينة ، مسجد فـي درب كنيسـة مريم ، مسجد الثلاج ، مسجد عند دار أبي محمد القلانسي ، مسجد عقيـل ، مسـجد درب الحجر ، مسجد في درب كيسان ، مسجد ملاصق لباب كيسان مسجد في سُويقة الباب الشرقي ، مسجد ابن باقي، مسجد في درب ابن خلاد ، مسجد الحراقلة ، مسجد في درب كشكشة ، مسجد النيبطون ، مسجد في درب الداراني ، مسجد أبي الصرف ، مسجد أبو المواهب ابن الشيرازي، مسجد عند رأس المربعة ، مسجد الظلم ، مسـجد في مربعة القز ، مسجد ابن عمير ، مسجد عند الشلاحة ، مسجد في رأس سوق الغزل العتيق ، مسجد ابن عوف ،مسجد في درب حُمَيد بن دُرَّة ، مسجد عند درب النقاشة ، مسجد الجبنيق ، مسجد في شآمي سوق الطير ، مسجد الأذرعي ، مسجد ابـن خمـار ،مسجد خوجا يعقوب ، مسجد عند دار ابن الشحَّاذة ، مسجد سوق الصفارين ، مسـجد نميس ، مسجد بن عبدان ، مسجد بناه ابن العكبري ، مسـجد فـي درب الهاشـمي ،

---

[1] ابن شداد ، محمد بن علي بن إبراهيم : الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق ، ص ٩٢- ١٥٨.

[2] النعيمي ، عبدالقادر بن محمد : الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق، جزء ٢، ص ٢٣٣ – ٢٨٧.

مسجد فوق نهر التفليسي ، مسجد باب الجابية ، مسجد عند اصطبل العمارة ، مسجد شجاع ، مسجد العُنّابَة ، مسجد الجوزة ، مسجد زقاق السقاية ، مسجد أبي صالح ، مسجد النقّاش ، مسجد الجوزة ، مسجد أم البنين ، مسجد جناح الدولة ، مسجد إسماعيل الحاجي ، مسجد عند عين القصّارين ، مسجد الأرزة ، مسجد زمرد خاتون الكبير ، مسجد القدم ، مسجد شبل الدولة العمادي)

ثم قال بعد ذكره لهذه المساجد "فهذا ما عُرف من مساجدها ، والذي وقفت عليه من مشاهدها وكثرتها تدل على اهتمام أهلها بالدين وكثرة المصلين فيها والمتعبدين" [١] ، ولا غرابة فقد كانت دمشق ولا زالت حاضرة من حواضر العلم والإيمان.

ثانياً/ الأوقاف على الجوامع والمساجد في مصر .

انتشرت الجوامع في مصر كما هي الحال في الشام ، وخاصة في عهد دولة المماليك كما يقول المقريزي " فلما كانت الدولة التركية حدث بالقاهرة والقرافة ومصر وما بين ذلك عدة جوامع أقيمت فيها الجمعة و ما برح الأمر يزداد حتى بلغ عدد المواضع التي تقام بها الجمعة .... زيادة على مائة موضع " [٢].

ويسانده قول السيوطي " فلما كانت الدولة التركية أحدثت عدة جوامع ،فبُني في زمن الظاهر بيبرس جامع الحسينية في سنة تسع وستين-وستمائة- ، فلعلها بمصر والقاهرة أكثر من مائتي جامع " [٣].

وفيما يلي ذكرٌ لبعض جوامع ومساجد مصر التي تم تجديدها بأموال الوقف في القرن السابع الهجري، وكذلك المساجد التي أحدثت في ذلك القرن:

---

[1] ابن شداد ، محمد بن علي بن إبراهيم : الأعلاق الخطيرة . مرجع السابق ، ص ١٥٦ .

[2] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار . مرجع سابق ، جزء ٤، ص ٢.

[3] السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص ١٨٥.

١ - جامع عمرو بن العاص .

يقال له الجامع العتيق و " تاج الجوامع ... وهو أول مسجد أسس بديار مصر في الملة الإسلامية " (١).

ولا ريب أن جامعاً بهذه المكانة تتجدد له أوقاف وإصلاحات في كل فترة من الزمن ، ومن ذلك أنه لما تولى تاج الدين ابن بنت الأعز الشافعي " قضاء القضاة بالديار المصرية ونظر الأحباس في ولايته الثانية أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري كشف الجامع بنفسه ، فوجد مؤخره قد مال إلى بحرية ووجد سوره البحري قد مال وانقلب علوه عن سمت سفله، فقام بإصلاحات كثيرة فيه، وأنفق المصروف على ذلك من مال الأحباس " (٢).

ثم إن مال الأحباس لم يكفه ، فخاطب الظاهر بيبرس في عمارة الجامع " فرسم بعمارة الجامع، فهدم الجدار البحري وهو الجدار الذي فيه اللوح الأخضر، وحط اللوح و أُزيلت العمد والقواصر العشر، وعمر الجدار المذكور و أُعيدت العمد و القواصر كما كانت، و زيد في العمد أربعة قرن، وفصّل اللوح الأخضر أجزاء وجدده و ذهبه و كتب عليه اسم السلطان الملك الظاهر" (٣)

"وجُلِيت العُمُد كلها وبيض الجامع بأسره ، وذلك في رجب سنة ست وستين وستمائة"(٤).

وبعد إحدى وعشرين سنة من تجديد الظاهر بيبرس للجامع المذكور، أمر السلطان الملك المنصور قلاوون الأمير عزالدين الأفرم ، بعمارة جامع عمرو بن العاص "فحضر الأفرم الى الجامع، ورسم على مباشري الأحباس، وكشف المساجد لغرض كان في نفسه، وبيض الجامع وجرد نصف العمد التي فيه، فصار العمود نصفه الأسفل

(1) المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق . جزء ٤، ص ٤.

(2) المرجع السابق ، جزء ٤، ص ١٤.

(3) المرجع السابق ، جزء ٤، ص ١٤.

(4) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص ١٨٩.

أبيض وباقيه على حاله، ودهن واجهة غرفة الساعات بالسيلقون، وأجرى المــاء مــن البئر التي بزقاق الأقفال إلى فسقية الجامع"[١]

وقد تعرضت أحباس هذا الجامع والجامع الأزهر لبعض النقص والنهب، الذي أضر بهما ، جراء تعدي المتنفذين عليها حتى " شكا قاضي القضاة تقي الدين أبــو القاســم عبدالرحمن بن عبدالوهاب بن بنت الأعز للسلطان الملك المنصور قلاوون سوء حــال جامع عمرو بمصر وسوء حال الجامع الأزهر بالقاهرة ، وأن الأحباس علــى أســوأ الأحوال" [٢].

وقد ذكر السيوطي أنه كان يوقد في الجامع العتيق-جامع عمرو بن العــاص- " كــل ليلة ثمانية عشر ألف فتيلة وأن المطلق برسمه خاصة لوقود كل ليلة أحد عشر قنطاراً زيتاً طيباً " [٣]، وهذه الكمية الكبيرة، تدل على ما كان لهذا الجامع من أوقاف كثيــرة، تزداد مع مرور الزمن.

٢ - جامع أحمد بن طولون .

" بناه الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بنائه القطائع "[٤] فلما انتهى منــه ، لــم يجتمع الناس للصلاة فيه وظنوه إنما بني من مال حرام ، فخطب فيه وحلف أنه إنمــا بناه من كنز " وجده فوق الجبل في الموضع المعروف بتنور فرعون " [٥].

فصلى فيه الناس وعمروه بذكر الله ؛ ثم إن الجامع أصبح خراباً لا ساكن فيه زمن الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، الذي قتله الأمير بيدار وواطئه على ذلــك الأميــر حسام الدين لاجين المنصوري الذي هرب وقت قتل الأشرف إلى هذا الجامع واختبــأ فيه ، وعاهد الله إن نجاه من هذه المحنة ليعمرنَّه.

---

(1) المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق . جزء ٤، ص١٥.

(2) المرجع السابق ، جزء ٤، ص ١٤.

(3) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة. مرجع سابق ، جزء ٢، ص ١٩٠.

(4) المرجع السابق ، جزء ٢، ص ١٩١.

(5) المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق ، جزء ٤، ص ٣٦.

فلما تسلطن سنة ست وتسعين وستمائة وفّى بعهده ؛ فوكل إلى الأمير علم الــدين سنجر الدواداري عمارة الجامع " وجعل إليه شراء الأوقاف على الجامع الطولوني" [١] فقام بذلك، ثم " بلطه وبيضه ورتب فيه دروساً ، لإلقاء الفقه على المــذاهب الأربعــة التي عمل أهل مصر عليها الآن ودرساً يلقى فيه تفسير القرآن الكريم ودرساً لحــديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ودرساً للطب ، وقرر للخطيب معلوماً وجعل إماماً راتبــاً ومؤذنين وفراشين وقومة وعمل بجواره مكتباً لإقراء أيتام المسلمين كتــاب الله عــز وجل وغير ذلك من أنواع القربات ووجوه البر "[٢].

٣ - الجامع الأزهر .

هو أول مسجد أسس بالقاهرة المعزية " أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلي "[٣] مــولى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله " وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلاثمائة "[٤]، ثم إن الخطبة انقطعت من الجامع أيام السلطان صــلاح الــدين الأيوبي لأن قاضي القضاة الذي ولاه صلاح الدين شافعي المذهب " فعمــل بمقتــضى مذهبه ، وهو امتناع إقامة خطبتين في بلد واحــد .. فأبطــل الخطبــة مــن الجــامع الأزهر "[٥].

فلما ولي الظاهر بيبرس أعاد الخطبة فيه وجدده ، وأمر أن تعاد إلى الجامع الأزهر أوقافه المغصوبة والمنهوبة، التي استولي عليها البعض، عندما يمر وقت طويل علــى وفاة الواقف وتضيع كتب الوقف، فعند ذلك تكون الفرصة مواتية لــضعاف النفــوس للاستيلاء على الأوقاف، "فرسم الظاهر بيبرس بالنظر في أمره وانتــزع لــه أشــياء مغصوبة كان شيء منها في أيدي جماعة وأحاط أموره حتى جمع له شيئاً صالحاً "[٦].

---

[1] السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة ، مرجع سابق ، جزء ٢، ص ١٩٤.

[2] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق ، جزء ٤، ص ٤١.

[3] المرجع السابق ، جزء ٤، ص ٤٩.

[4] المرجع السابق ، جزء ٤، ص ٤٩.

[5] السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص ١٩٦.

[6] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق ، جزء ٤، ص ٥٢.

وقد أسهم الوقف في دعم دور الجامع الأزهر التعليمي في القرن السابع الهجري، فقد كان يصرف منه على حلقات العلم التي تعقد بالجامع سواءً كانت في تعليم القرآن الكريم أو الحديث النبوي أو الفقه، يقول المقريزي عن الجامع الأزهر، " وعمل الأمير بيلبك الخازندار فيه مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله ورتب في هذه المقصورة محدثاً يُسمع الحديث النبوي والرقائق ووقف على ذلك الأوقاف الدارة ورتب به سبعة لقراءة القرآن ورتب به مدرساً أثابه الله على ذلك"[١].

٤ - الجامع الذي بمنشأة المهراني .

عمره الملك الظاهر بيبرس " ووقف عليه... في شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وستمائة وجعل النظر فيه لأولاده وذريته ثم من بعدهم لقاضي القضاة الحنفي "[٢].

٥ - جامع الظاهر .

أنشأة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وكَمُلَ بناؤه سنة سبع وستين وستمائة ثم " نزل إلى الجامع وشاهده فرآه في غاية ما يكون من الحسن ... ورتب به خطيباً حنفي المذهب ووقف عليه حكر ما بقي من أرض الميدان ونزل السلطان إليه ورتب أوقافه ونظر في أموره "[٣].

٦ - المسجد الذي بجوار دير البعل .

يقول المقريزي لما كانت سنة خمس وسبعين وستمائة " خرج جماعة من المسلمين إلى دير البعل فرأوا آثار محاريب بجوار الدير فعرفوا الصاحب بهاء الدين بن حنا ذلك ،فسير المهندسين لكشف ما ذكروا فعادوا إليه وأخبروه أنها آثار مسجد فشاور الملك الظاهر بيبرس وعمره مسجداً بجانب الدير وهو عامر إلى الآن – ما زال الكلام

---

[1] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق ، جزء ٤، ص ٥٢.

[2] المرجع السابق ، جزء ٤، ص ٨٩.

[3] المرجع السابق ، جزء ٤، ص ٩٢.

للمقريزي - ، وبتُ به ، وهو من أحسن مشترفات مصر وله وقف جيد ومرتب يقوم به نصارى الدير " [١].

٧- **المسجد المعروف بمعبد موسى .**

بناه القائد جوهر الصقلي ، فلما كانت ستين وستمائة " ظهر بالمسجد حجر مكتوب عليه هذا معبد موسى بن عمران عليه السلام فجددت عمارته وصار يعرف بمعبد موسى من حينئذ ، ووقف عليه ربع بجانبه وهو باق إلى وقتنا هذا "[٢].

ومما سبق يتضح أن الملك الظاهر بيبرس خاصة ، كان ذا فضل في بناء المساجد وتجديدها والقيام بأمور الأحباس أتم القيام ، كما سبق وأوردنا عن أعماله في الجامع الأموي وغيره من المساجد ، وفي مقدمتها الأماكن المقدسة ، فقد " عمر الحرم النبوي وقبة الصخرة ببيت المقدس وزاد في أوقاف الخليل عليه السلام "[٣] .

ثالثاً/ الأوقاف على الجوامع والمساجد في اليمن : تميزت فترة حكم الرسوليين لليمن بنشاط علمي كبير " لا مثيل له في تاريخ اليمن على الإطلاق " [٤] واكبه اهتمام بالمساجد وأوقافها ، وقد كثرت الأوقاف في اليمن وتنوعت حسب المنطقة ، " فالملاحظ أن كثيراً من الأوقاف في المخاليف الشمالية من اليمن محبسة على قراءة القرآن في مساجد معينة مشهورة كما هو الحال في الجامع الكبير بصنعاء .. بينما نجد أن غالب أوقاف المخاليف الجنوبية ، وكذلك في تهامة ومخلاف حضرموت موقوفة على قراء القرآن للأولياء والصالحين "[٥] .

---

[1] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق ، جزء ٤، ص ٢٦٤.

[2] المرجع سابق ، جزء ٤، ص ٢٦٩.

[3] المرجع السابق ، جزء ٤، ص ٩٧.

[4] الأكوع ، القاضي إسماعيل بن علي : كيف أدى الوقف دوره خلال التاريخ . ندوة أهمية الأوقاف الإسلامية في عالم اليوم المنعقدة بلندن ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، عمان ، ١٤١٧هـ، ص ٢٢٤ .

[5] المرجع السابق ،ص ٢٢١ .

ومن الأوقاف المشهورة باليمن (الوقف الكبير) و " هو الأوقاف الخاصة بالمساجد والجوامع عامة لإقامتها والعناية بها وبنظافتها وتجديد فراشها وتسريجها وإمداد مرافقها بالمياه ، وعلى القائمين بخدمتها والمؤذنين بها وأئمة الصلاة وخطبائها " [١].

و قد ذكر الخزرجي عدداً من المساجد في اليمن، ومن خلال تحليل تلك النصوص يمكننا تحديد بعض مصارف أوقاف المساجد اليمنية في القرن السابع الهجري، فيما يلي:

١. مرتب الإمام.
٢. مرتب المؤذن.
٣. مرتب القيّم ، الذي يدير شؤون المسجد ويهتم بنظافته.
٤. مرتب خطيب الجمعة.
٥. مرتب للشيخ الذي يدرِّس ، ومرتب كذلك لطلبته.
٦. مرتب للمعلم الذي يُعلم الأيتام.

وفيما يلي ذكرٌ لبعض **مساجد اليمن وجوامعها** في القرن السابع الهجري:

١ - الجامع الذي بذي عدينه.

بناه الملك المظفر يوسف بن عمر ، و " رتب فيه إماماً وخطيباً ومؤذنين وقيمين ، ووقف عليه ما يقوم بكفايتهم الجميع "[٢].

٢ - الجامع المظفري .

بناه الملك المظفر يوسف بن عمر " في مدينة المهجم ، رتب فيه مدرساً ودَرَسَةً ،وإماماً ، وخطيباً ، ومؤذناً ، وقيماً ، ومعلماً ، وأيتاماً ، ووقف عليهم وقفاً جيداً يقوم بكفايتهم " [٣].

---

[1] الأكوع ، القاضي إسماعيل بن علي : كيف أدى الوقف دوره خلال التاريخ . مرجع سابق ،ص ٢٢١ .

[2] الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق، جزء١، ص ٣٢٨.

[3] المرجع السابق، جزء١، ص ٣٢٨ – ٣٢٩ .

٣ - الجامع الذي في وسط المحالب.

بناه الملك المظفر يوسف بن عمر و " رتب فيه إماماً وخطيباً ، ومؤذناً ومعلماً ، وأيتاماً ووقف عليهم ما يقوم بكفايتهم " [(١)].

٤ - جامع المنسكية .

" وهو جامع أحدثه السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر ، وجعل فيه مدرساً ودَرَسَةً " [(٢)].

٥ - المسجد الجديد بتعز.

بناه الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول "ورتب فيه إماماً ومؤذناً وقيماً ووقف عليه ما يقوم بكفاية الكل منهم "[(٣)].

٦ - المسجد الذي في جبل صبر.

ابتنته هو وعدة مدارس " الجهة الكريمة جهة دار الدملؤة ابنة مولانا السلطان الملك المظفر... وأوقفت على الجميع أوقافاً تقوم بكفاية الكل"[(٤)].

٧ - مسجد عباس.

بناه الأمير الكبير شجاع الدين عباس بن عبدالجليل التغلبي في قرية السلامة ، وله مسجد آخر " في قرية أبيات حسين ، ومدرسة في بلدة ذخر ، في موضع يعرف بالحبيل... وله في كل موضع من هذه المواضع وقف جيد يقوم بكفاية المرتبين فيه"[(٥)].

رابعاً/ الأوقاف على الجوامع في تونس :

شهد المغرب الإسلامي في القرن السابع الهجري انقسامات جديدة في الدولة الموحدية ، ومنها الدولة الحفصية في تونس التي انفصلت عن الدولة الموحدية سنة ٦٢٦هـ على يد الأمير أبو زكريا بن عبدالواحد الحفصي الذي " فتح أبواب أفريقية للهجرة

---

(1) الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ، جزء١، ص ٣٢٩ .

(2) المرجع السابق ، جزء١، ص ٤٣٦.

(3) المرجع سابق ، جزء١، ص ٣٢٨.

(4) المرجع السابق ، جزء١، ص ٤٩٠.

(5) المرجع السابق ، جزء١، ص ١٩٨ .

الأندلسية "[١] مما أحدث نشاطاً علمياً أفاد أهل تونس ، يذكر ابن خلدون أن السلطان محمد المستنصر رتب في جامع التوفيق " دروساً في العلم عهد بها لبعض مشيخة أهل الأندلس الوافدين في زمنه على تونس "[٢]، وسنذكر الآن جامعين من جوامع تونس في القرن السابع الهجري أيام الدولة الحفصية :

١ - جامع التوفيق.

أسسته " الأميرة عطف زوجة الأمير أبي زكريا ، وأم السلطان محمد المستنصر ثاني ملوك بني حفص في سنة ٦٥٠هـ "[٣]وقد كانت نصرانية فأسلمت عن طيب نفس ، ويسمى أيضاً " جامع الهواء لحسن مناخه وارتفاع موقعه... والتاريخ يفيد أنه كانت لهذا الجامع ومدرسته أوقاف واسعة " [٤].

٢ - جامع باب البحر.

" أسسه الدعي أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة المسيلي في حدود سنة ٦٨١هـ (١٢٨٢م) على عهد السلطان الحفصي أبي إسحاق إبراهيم بن أبي زكريا " [٥] وإنما سماه دعياً لأنه كان سيء السيرة " غير أنه رفع النزول عن أهل تونس ، وبني جامعاً للخطبة "[٦] وهو جامعنا هذا .

وقد كانت لهذا الجامع أوقاف جيدة جعلت " جراية إمام هذا الجامع أوسع جرايات جوامع تونس بعد جامع الزيتونة " [٧].

---

(1) الصلابي ، علي محمد : تاريخ دولة الموحدين والمرابطين . مرجع سابق ، ص ٥١٠ .

(2) الخوجة ، محمد : تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد. ط٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥م، ص ١٢٢.

(3) المرجع السابق ، ، ص ١٢١.

(4) المرجع السابق ، ص ١٢٢.

(5) المرجع السابق ، ص ١٢٤.

(6) المرجع السابق ، ص ١٢٤.

(7) المرجع السابق ، ص ١٢٥.

المطلب الثاني / إسهام الوقف في إنشاء الخوانق ورعايتها :-

" الخوانك جمع خانكاه وهي كلمة فارسية معناها بيت وقيل أصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك والخوانك حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة من سني الهجرة وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى"[١].

" وتبنى على هيئة مسجد بدون مئذنة ، يحيط بها عدد من الغرف ، مخصصة لاستقبال الفقراء و عابري السبيل لإقامتهم بها وقد رتب فيها العلماء والمشايخ دروساً في مختلف العلوم و خصوصاً القرآن والسنة والفقه الإسلامي " [٢].

فهي غالباً مخصصة للصوفية ينقطعون فيها للعبادة وتلاوة القرآن وترديد الأذكار ، ويقومون بأعمال معينة شرطها الواقفون ينالون بها أرزاقهم، ومن ذلك خانقاه سعيد السعداء بمصر والخانقاه الصلاحية بالقدس اللتين وقفهما صلاح الدين الأيوبي على " فقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة .. ورتب للصوفية في كل يوم طعاماً ولحماً وخبزاً وبني لهم حماماً بجوارهم "[٣].

هذا وقد ذكر الشيخ عكرمة صبري أن الخانقاه الصلاحية بالقدس " لا تزال طقوس العبادة قائمة في الخانقاة وتقام الصلوات الخمس فيها ، ويرفع الآذان على مئذنة مسجدها وقد جرى مؤخراً ترميم لخلوة صلاح الدين وللمسجد الكبير داخل الخانقاة"[٤].

ولا تقتصر الخوانق على الصوفية فقط بل يتعدى نفعها إلى الفقراء والمحتاجين وعابري السبيل الذين لا يجدون ملجأ في البلاد التي يمرون عليها ، " كل ذلك مجاناً اعتماداً على ما أوقف من وقوف على مثل هذه الخدمات " [٥].

---

[1] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق ، جزء٤، ص ٢٧١ .

[2] حجار ، طارق بن عبدالله : المدارس الوقفية في المدينة المنورة . مؤتمر الأوقاف الأول ،جامعة أم القرى ، ١٤٢٢هـ ، جزء٣، ص ١٠٢ .

[3] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق ، جزء٤، ص ٢٧٣ .

[4] صبري ، عكرمة سعيد ، الوقف الإسلامي . مرجع سابق ، ص ٤٣٩ .

[5] السيد ، عبدالملك أحمد : الدور الاجتماعي للوقف . ط٢، وقائع الحلقة الدراسية لتثمير ممتلكات الاوقاف، البنك الإسلامي للتنمية ، جدة ، ١٤١٥هـ ، ص ٢٣٠.

إذا فالخانقاة تؤدي دوراً اجتماعياً مهماً بالإضافة إلى وظيفتها الدينيــة والعلميــة ، ويمكن إجمال الفوائد التي قدمتها الخوانق إلى الحضارة الإسلامية فيما يلي [١]:

١- لقد ساعدت هذه المنشأة على تعليم القرآن الكريم والسنة والعلوم الأخرى لروادها وبالتالي تعميق الفكر الديني .

٢- كما ساهمت في تشجيع المتصوفة والدراويش والمحتاجين ، ودفعت شبح الجــوع والعرى عن كثير من طبقات الشعب وهو إسهام في حل المشاكل الاجتماعية

٣- كانت الخانقاة مدرسة يتعلم فيها الناس روح الجهاد في سبيل الله والتــضحية فــي سبيل الدين والوطن .

٤- ساهمت الأوقاف الإسلامية التي كانت توقف على الخوانق فــي إنعــاش الحيــاة الاقتصادية .

٥- اغتنت حركة الثقافة الإسلامية عن طريق الندوات والمناقشات والمجادلات التــي يعقدها المتصوفة ورجال الدين بالخوانق والمدارس.

٦- ساهمت في تطوير الحركة العلمية عن طريق مساهمتها فــي تأســيس المــدارس وتشجيع طلبة العلم على ريادتها ، وبما كان يلقيه الشيوخ من دروس على روادها فــي علوم اللغة والفقه والحساب إلى جانب علوم الدين والكلام والفلسفة .

وهذا ذكرٌ لبعض خوانق دمشق في القرن السابع الهجري كما ذكرها ابــن شــداد[٢] والنعيمي[٣]:

أولاً : خوانق دمشق :

١- الخانقاه السمساطية : منسوبة لأبي القاسم السميساطي وبها قبره.

٢- الخانقاه الأندلسية المشهورة : المعروفة بأبي عبدالله محمد بن أحمد بــن يوســف الأندلسي ، قبالة السميساطية .

---

(1) شعث ، شوقي : الخانقاة (الخانكاة) في التراث الحضاري الإسلامي . موقع المبدعون العرب ،٢٠٠٦م، ص ٦ ، www.arabiancreativity (بتصرف)

(2) ابن شداد ، محمد بن علي بن إبراهيم : الأعلاق الخطيرة . مرجع السابق ، ص ١٩١ – ١٩٤.

(3) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس. مرجع سابق. جزء ٢، ص ١١٠ – ١٣٩.

٣- الخانقاه الشومانية : أنشأها ظهير الدين شومان ، أحد مماليك بني أيوب.

٤- الخانقاه الحسامية : منسوبة لأم حسام الدين عمر بن لاجين.

٥- الخانقاه القصاعية : إنشاء خاتون خلطجي : وهي بنت ست الشام أخت السلطان الملك الناصر ، خارج دمشق بالشرق القبلي.

٦- الخانقاه الشبلية : أنشأها شبل الدولة كافور المعظمي بسفح جبل قاسيون.

٧- خانقاة القصر . المطلة على الميدان ، إنشاء شمس الملوك.

٨- خانقاة خاتون خارج البلد إنشاء خاتون بنت معين الدين أنر زوجة نور الدين الشهيد.

٩- الخانقاه الطواويسية : منسوبة لدقاق أو لابنه، وقد احترقت سنة ست وعشرين وستمائة إثر بعض الحروب الداخلية ثم عُمرت بعد ذلك .

١٠- خانقاه الطاحون : خارج البلد منسوبة للسلطان نور الدين محمود بن زنكي بالوادي.

١١- الخانقاه المجاهدية : منسوبة لمجاهد الدين إبراهيم أخي زين الدين أحمد أمير خازندار الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل كانت على الشرف القلبي، وقرر فيها عشرين صوفياً .

١٢- الخانقاه الدويرية : المعروفة بدويرة حمد بدرب السلسلة بباب البريد.

١٣- الخانقاه الناصرية : منسوبة للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان ، خلف قيسارية الصرف ، كانت داره لما كان والياً بدمشق.

١٤- الخانقاه النجمية : بنواحي باب البريد أنشأها نجم الدين أيوب ، والد صلاح الدين ، بدرب قطيطة.

١٥- خانقاه تعرف بالشباشي – وفي كتاب الدارس الخانقاه الشنباشية – بحارة البلاط.

١٦- الخانقاه الأسدية : بدرب الوزيري.

١٧- الخانقاه الإسكافية : أنشأها شرف الدين محمد بن الإسكاف ، على نهر يزيد بسفح جبل قاسيون.

١٨- خانقاه أنشأها الملك الناصر ، صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز محمد بن غازي بجبل قاسيون مجاورة لتربته على نهر يزيد.

١٩- الخانقاه العزية : على نهر ثورا – في الدارس نهر تورا – أنشأها الأمير عز الدين أيدمر الظاهري نائب السلطنة بالشام.

٢٠- الخانقاه الروزنهارية : بالبرج المستجد خارج باب الفراديس الأول والتربة به ، منسوبة إلى الشيخ أبو الحسن الروزنهاري ، الذي توفي سنة عشرين وستمائة.

٢١- الخانقاه الشهابية : داخل باب الفرج غربي العادلية الكبرى وشمالي المعينية واللاقية.

قال ابن كثير " أيدكين بن عبدالله الأمير الكبير علاء الدين الشهابي ، واقف الخانقاه الشهابية داخل باب الفرج ... وكان لها شباك إلى الطريق"[١].

٢٢- الخانقاه النجيبية : ويقال لها النجيبية البرانية وخانقاه القصر لكونها بحارته ، وهي مطلة على الميدان إنشاء النجيبي جمال الدين أقوش الصالحي النجمي [٢].

قال ابن كثير " وفي العشر الأول من ذي القعدة – سنة سبع وسبعين وستمائة – فتحت المدرسة النجيبية .. وفتحت الخانقاه النجيبية ، وقد كانتا وأوقافهما تحت الحوطة" [٣].

ثانياً : خوانق حلب ومصر واليمن.

أ. حلب [٤]:

١- خانقاه إنشاء الأمير مجد الدين أبي بكر محمد بن الداية.

٢- خانقاه أنشأها الأمير شهاب الدين طغرل بك الأتابك ، خارج باب أربعين بالجُبَيل.

٣- خانقاه أنشأتها الكامليّة زوجة علاء الدين بن أبي الرجاء.

ب. مصر:

الخانقاه البندقدارية : " بالقرب من الصليبية ، كان موضعها يعرف قديماً بدويرة مسعود – يقول المقريزي - وهي الآن تجاه مدرسة الفارقانية وحمام الفارقاني أنشأها الأمير

---

[1] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء٩، ص١٦٧ .

[2] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس. مرجع سابق. جزء ٢، ص١٣٤.

[3] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء٩، ص١٦٦.

[4] ابن شداد ، محمد بن علي : الأعلاق الخطيرة . تحقيق دومينيك سورديل ، المعهد الفرنسي ، دمشق ، ١٩٥٣م ، ص ٩٦ .

علاء الدين ايدكن البندقداري الصالحي النجمي ، وجعلها مسجداً لله تعـــالى وخانقـــاه ، ورتب فيها صوفية وقراء في سنة ثلاث وثمانين وستمائة " [١].

ج. اليمن:

خانقاه أنشأها الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رســـول ، الـــذي توفي سنة أربع وتسعين وستمائة ، بناها في مدينة حيس " ورتب فيها إماماً ومؤذنـــاً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن وجعل طعاماً للواردين في كل يوم ، مد من حـــب ، بمد أهل اليمن ومد أهل اليمن يزيد على حمل الجمل الضخم الشديد ، خارجـــاً عـــن اللحم والتمر ، ووقف وقفاً كثيراً ، ويقال : أن وقف الخانقاه المذكورة التي في مدينـــة حيس في كل سنة ألف مد من الطعام " [٢].

المطلب الثالث/ إسهام الوقف في إنشاء الأربطة ورعايتها :

" الرُبط جمع رباط وهو دار يسكنها أهل طريق الله "[٣]، " وهي عبارة عـــن معاهـــد موقوفة على الفقراء والمحتاجين ، وتأتي بمعنى الزاوية "[٤]والملاحظ وجـــود تـــشابه كبير بين وظيفة الخانقاه والرباط فالجميع موقوف على الصوفية وعلى الفقراء ، بيد أن الخوانق مختصة أكثر بالصوفية بينما الربط ينزلها الغرباء والفقراء وإن كـــانوا غيـــر متصوفة.

ذكر النعيمي تعريف الخانقاه فقال " والخانكاه بالكاف ، وهي بالعجمية دار الصوفية ، ولم يتعرضوا للفرق بينها وبين الزاوية والرباط ، وهو المكان المسبل للأفعال الصالحة والعبادة "[٥].

---

[1] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار . مرجع سابق ، جزء ٤، ص٢٨٢.

[2] الخزرجي ، علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ، جزء ١، ص٣٢٨.

[3] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق ، جزء ٤، ص٢٩٢.

[4] صبري ، عكرمة سعيد : الوقف الإسلامي . مرجع سابق ، ص ٤٣٨ .

[5] النعيمي ، عبدالقادر بن محمد : الدارس في تاريخ المدارس . مرجع سابق ، جزء ٢، ص١٥٢.

أما المقريزي فقد ذكر تعريفاً آخر غير الذي ذكره سابقاً فقال " والرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم ولكل قوم دار والرباط دارهم وقد شابهوا أهل الصفة في ذلك فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ووضع الرباط لهذا المعنى " [١].

وقد تحدث عن تطور مفهوم الرباط وهو أن أصلها المكان الذي تربط فيه الخيول ويأوي إليه الجند " ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن ورائهم رباط ، فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد " [٢].

ثم ذكر شرائط سكان الرباط – أي صفاتهم – بعبارات غاية في الروعة فقال " قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق ، وترك الاكتساب اكتفاءً بكفالة مسبب الأسباب ، وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات، ومواصلة الليل والنهار بالعبادة متعوضاً بها عن كل عادة، والاشتغال بحفظ الأوقات وملازمة الأوراد، وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطاً مجاهداً " [٣].
" وبمرور الزمن ... أضافت تلك الربط إلى وظيفتها العسكرية ، وظيفة التدريس والتأليف من قبل العلماء والفقهاء المرابطين فيها " [٤].

لقد " وفرت هذه المنشآت من خلال أوقافها وأماكن وجودها وطبيعة تكوينها التي تتنوع وتختلف من حيث دورها وعملها ، عناصر أساسية ليس في الخدمة الاجتماعية فحسب ، بل في العمل الديني والدعوي" [٥].

---

(1) المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق ، جزء ٤، ص٢٩٣.

(2) المرجع السابق ، جزء ٤، ص٢٩٢.

(3) المرجع السابق ، جزء ٤، ص٢٩٣.

(4) الصالح ، محمد بن أحمد : الوقف في الشريعة الإسلامية . مرجع سابق ، ص ١٧٤ .

(5) منصور ، سليم هاني : الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر . مرجع سابق ، ص١٥٤ .

وهذا ذكرٌ لبعض أربطة دمشق في القرن السابع الهجري كما ذكرها ابن شداد[١] والنعيمي[٢]:-

أولاً : أربطة دمشق :

١- رباط أبي البيان ، بناه بحارة درب الحجر.

٢- رباط زهرة خاتون ، بقرب حمام جاروخ بجوار دار الأمير مسعود.

٣- رباط طمان ، من أمراء بني سلجوق ، تحت القلعة.

٤- رباط جاروخ ، منسوب لجاروخ التركماني.

٥- رباط الغرس خليل ، كان والياً بدمشق.

٦- رباط المهراني ، بدرب المهراني.

٧- رباط البخاري ، عند باب الجابية.

٨- رباط السقلاطوني ، وسماه النعيمي رباط السفلاطوني.

٩- رباط صفية، قال البرزالي في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة من تاريخه في ترجمة بنت قاضي القضاة عبدالله بن عطاء الحنفي : إنها كانت شيخة رباط صفية بالقلعة، جوار بيتنا بالقرب من المدرسة الظاهرية.

١٠- رباط الفلكي.

١١- رباط بنت السلار ، داخل باب السلامة.

١٢- رباط عذراء خاتون ، داخل باب النصر.

١٣- رباط بدر الدين عمر.

١٤- رباط الحبيشة بمحلة قصر المثقفين، في كتاب الدارس رباط الحبشة بمحلة قصر الثقفيين.

١٥- رباط أسد الدين شيركوه ، قبالة داره بدرب زرعة.

١٦- رباط القصاعين.

١٧- رباط بنت الدقين ، داخل المدرسة الفلكية.

---

[1] ابن شداد ، محمد بن علي بن إبراهيم : الأعلاق الخطيرة . مرجع السابق ، ص ١٩٥ – ١٩٦.

[2] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس. مرجع سابق. جزء ٢، ص ١٥٠ – ١٥٢.

١٨- رباط وجيه الدين ابن سويد ، بجبل الصالحية، وفي كتاب الدارس سماه النعيمي الرباط التكريتي.

قال ابن كثير " وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب ابن سويد التكريتي التاجر الكبير بين التجار، ابن سويد ذو الأموال الكثيرة كان معظماً عند الدولة ... ودفن برباطه وتربته بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون " [١].

١٩- رباط بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل.

٢٠- الرباط الفقاعي ، بسفح قاسيون ذكره البرزالي في سنة خمس وثلاثين وستمائة.

ثانياً : أربطة مصر.

١- رباط الصاحب: " أنشأه الصاحب فخر الدين أبو عبدالله محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن سليم بن حنا ووقف عليه بعد موته عقاراً بمدينة مصر وشرط أن يسكنه عشرة من الفقراء المجردين غير المتأهلين وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وستين وستمائة ويستأدي ريع وقفه من لا يقوم بمصالحه "[٢] .

٢- رباط الفخري: هذا الرباط خارج باب الفتوح فيما بينه وبين باب النصر ، بناه الأمير عز الدين أيبك الفخري أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس [٣].

٣- رباط البغدادية: بنته الست الجليلة تذكار باي خاتون ابنه الملك الظاهر بيبرس في سنة أربع وثمانين وستمائة للشيخة الصالحة زينب ابنة أبي البركات المعروفة ببنت البغدادية [٤].

فهذا الرباط خاص بالنساء ، وكل من يلي مشيخته من النساء يسمونها البغدادية ، وقد كان ملجأ للنساء المطلقات والمعنفات لما كان فيه من الضبط والاحتراز والمحافظة على العبادات .

---

[1] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل ابن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ١٤٨.

[2] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق ، جزء ٤، ص٢٩٣.

[3] المرجع السابق ، جزء ٤، ص٢٩٣.

[4] المرجع السابق ، جزء ٤، ص٢٩٣.

٤- رباط الست كليلة: وقفه الأمير علاء الدين البراباه على الست كليلة المدعوة دولاي ابنة عبدالله التتارية وجعله مسجداً ورباطاً ورتب فيه إماماً ومؤذناً وذلك في ثالث عشر شوال سنة أربع وتسعين وستمائة[١] .

٥- الرباط المعروف برواق ابن سليمان: هذا الرواق بحارة الهلالية خارج باب زويلة عرف بأحمد بن سليمان البطائحي الرفاعي شيخ الفقراء الأحمدية الرفاعية بديار مصر ، كان عبداً صالحاً له قبول عظيم من أمراء الدولة وغيرهم[٢].

٦- رباط داود بن إبراهيم: هذا الرباط بخط بركة الفيل بني في سنة ثلاث وستين وستمائة[٣].

٧- رباط ابن أبي منصور: هذا الرباط بقرافة مصر عرف بالشيخ صفي الدين الحسين بن علي بن أبي المنصور الصوفي المالكي كان من بيت وزارة فتجرد وسلك طريق أهل الله ، توفي برباطه هذا يوم الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة [٤].

٨- رباط الآثار: عمره الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد ولد الصاحب بهاء الدين علي بن حنا ، وقد مات قبل أن يتم عمارته فأوصى أن يكمل من ريع بستان له فإذا كملت عمارته يوقف عليه ، وإنما سمي برباط الآثار لأن فيه قطعة خشب وحديد يقال أن ذلك من آثار الرسول صلى الله عليه وسلم ، اشترها الصاحب من بني إبراهيم أهل ينبع بتسعين ألف درهم [٥].

ثالثاً : أربطة مكة المكرمة.

١- رباط ابن غنايم: ولعل سبب اشتهاره بذلك أن الواقف وكَّل ابن غنايم في وقف رباطه هذا ، وواقف هذا الرباط هو الملك العادل ملك الجبال والغور والهند بهاء الدين

---

[1] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق ، جزء ٤، ص٢٩٤.

[2] المرجع السابق ، جزء ٤، ص٢٩٤.

[3] المرجع السابق ، جزء ٤، ص٢٩٤.

[4] المرجع السابق ، جزء ٤، ص٢٩٥.

[5] المرجع السابق ، جزء ٤، ص٢٩٥.

محمد بن أبي علي سنة ٦٠٠هـ على الصوفية الرجال العرب والعجم ، على أن يكون عدد الساكنين فيه عشرة لا غير [١].

٢- رباط أبي عزيز: كانت دار أبي عزيز بأسفل مكة ، وهو ما يعرف اليوم بحي المسفلة ، وقفها أمير مكة الشريف قتادة بن إدريس الحسيني ، وقد وقفه على الفقراء الغرباء المتأهلين من العرب دون العجم [٢].

٣- رباط الموفق: جمال الدين علي بن عبدالوهاب الإسكندري ، وقفه على فقراء العرب الغرباء ذوي الحاجات المتجردين ، ليس للمتأهلين فيه حظ ولا نصيب في سنة أربع وستمائة [٣].

٤- رباط بيت المؤذنين: بسوق الليل ، و واقفه هو واقف رباط الخوزي على شرطه ، وتاريخ وقفه سنة سبع عشرة وستمائة [٤].

٥- رباط الخوزي: بزيادة باب إبراهيم ، يقول الفاسي: وقفه الأمير قرامر بن محمد بن قرامر الأقدري الفارسي على الصوفية الغرباء والمتجردين ، كذا في الحجر الذي على بابه ، وتاريخه فيما أظن – لا زال الكلام للفاسي – سنة سبع عشرة وستمائة [٥].

٦- رباط التميمي: (رباط المروة) على يسار الذاهب إليها ، وقفه الشيخ أبو العباس ويقال أبو جعفر أحمد بن إبراهيم التميمي الفنجيري ، وقفه على الفقراء من أهل الخير والدين والفضل من العرب والعجم المتأهلين وغيرهم في العشر الأوسط من شوال سنة عشرين وستمائة [٦].

---

[1] شافعي ، حسين عبدالعزيز : الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي . مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤٢٦هـ، ص ٨٦-٨٨ .

[2] المرجع السابق ، ص ٨٨ .

[3] الفاسي ، أبو الطيب تقي الدين محمد : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، جزء ١، ص٤٣٦.

[4] المرجع السابق ، جزء ١، ص٤٣٥.

[5] المرجع السابق ، جزء ١، ص٤٣٢.

[6] المرجع السابق ، جزء ١، ص٤٣٤.

٧- رباط البانياس: على يسار الذاهب إلى الصفا ، وتاريخه سـنة خمـس وعـشرين وستمائة ، وقفه الأمير فخر الدين أياز بن عبدالله البانياسي على الفقـراء المعـروفين بالتدين والصلاح [١].

٨- رباط شجاع الدين الطغتكيني: والذي يظهر أنه كان يقع بالصفا ملتـصقاً بالميـل الأخضر الثاني قبالة منارة باب بني شيبة ، وقد وقف رباطه سنة ٦٢٨هـ ، واشترط في وقفه أن يكون على فقراء المسلمين الغرباء ، طلباً لثواب الله [٢].

٩- رباط الشرابي: واقفه الأمير إقبال بن عبدالله الشرابي ، والذي تولى عمارته وكيل الواقف الشهاب ريحان سنة ٦٤١هـ ، وقد كان هذا الرباط موجوداً إلى عهد قريب ، فقد أزيل في التوسعة السعودية للمسجد الحرام[٣].وقد ذكر الطبري أنه يقع " عند بـاب بني شيبة " [٤].

١٠- رباط غزي: وقفه علي بن محمد المصري على الفقراء والمساكين المجردين من أي جنس كان من المسلمين، سنة اثنتين وعشرين وستمائة[٥].

١١- رباط كلالة: واقفه الشيخ أبي القاسم بن كلالة الطيبي، بالمسعى قـرب الربـاط العباسي ، و تاريخه سنة أربع وأربعين وستمائة [٦].

١٢- رباط الساحة: وقد كان موجوداً في أثناء القرن السابع الهجري، ووقفه جماعـة من النسوة ، منهن والدة الشيخ قطب الدين القـسطلاني علـى الفقـراء والغريبـات المتدينات [٧].

---

[1] الفاسي ، أبو الطيب تقي الدين محمد : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . مرجع سابق ، جزء ١، ص٤٣٣.

[2] شافعي ، حسين عبدالعزيز : الأربطة في مكة المكرمة . مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

[3] المرجع السابق ، ص ١٠٨-١١١ .

[4] الطبري ، علي بن عبدالقادر : الأرج المسكي في التاريخ المكي . المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، ١٤١٦هـ، ص ٧٧ .

[5] الفاسي ، أبو الطيب تقي الدين محمد : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . مرجع سابق ، جزء ١، ص٤٣٥.

[6] المرجع السابق، جزء ١، ص٤٣٤.

[7] المرجع السابق ، جزء ١، ص٤٣٥.

رابعاً : أربطة حلب[١] :

١- رباط أنشأه الأمير سيف الدين علي بن علم الدين سليمان بن جندر بالرحبة الكبيرة وكانت داراً تعرف ببدر الدين محمود بن الشكريّ.

٢- رباط يعرف بالخدام تحت القلعة لم يتصل بي ذكر بانيه.

٣- رباط قريب من مدرسة النِفّريّ يعرف بإقامة عبد الولي البعلبكي.

المبحث الثاني/ إسهام الوقف في دعم المدارس وطلاب العلم في القرن السابع الهجري.

ظهرت المدرسة كمؤسسة تعليمية مستقلة نتيجة تطور طبيعي لنظام التعليم في المسجد والكتّاب ونتيجة للتراكم المعرفي الذي يستلزم إنشاء محاضن تعليمية أكثر تخصصية فكلما زاد اتساع المعلومات كلما احتجنا إلى المدارس المتخصصة أكثر ، والمدارس الإسلامية منذ نشأتها قامت لتعزز دور المسجد التعليمي الذي يؤدي أدواراً أخرى أكثر أهمية ، فجاءت المدرسة لتقوم بهذا الدور بشكل منظم ودقيق .

"لقد بدأ إنشاء هذه المدارس بعد أن استقرت حركة الفتوحات الإسلامية نسبياً ، وبعد أن تضاعف إقبال طلاب العلم على حلقات المساجد ، وأخذ التخصص العلمي الدقيق يظهر بين ا لدارسين والباحثين "[٢] .

والمشهور أن أول ظهور للمدارس في الإسلام كان في القرن الخامس الهجري ، عندما بنى نظام الملك مدرسته المعروفة بالنظامية سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقد حكى السيوطي إنكار الحافظ الذهبي لهذا بقوله " قد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك "[٣] بيد أن "ما قام به نظام الملك من إنشاء للمدارس النظامية

---

[1] ابن شداد ، محمد بن علي : الأعلاق الخطيرة . تحقيق دومينيك سورديل . مرجع سابق ، ص ٩٦ .

[2] الدسوقي ، محمد : الوقف ودوره في تنمية المجتمع الإسلامي . وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٢١هـ ، جزء ٢، ص١٨.

[3] السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص١٩٨.

يعتبر عملاً رائعاً ورائداً في تاريخ التربية والتعليم كما يعتبر بداية تدخل الدولة في شؤون التعليم .. بعد ما كان التعليم حتى ذلك الوقت متروكا للجهد الخاص "[١].
ثم انتشر بناء المدارس في العالم الإسلامي على أيدي الخلفاء والسلاطين و التجار والعلماء وغيرهم " إذ كان التسابق نحو إنشائها وإقامتها ظاهرة واضحة للعيان ، حتى أن القرى النائية لم تخلو منها ، فما بالك بالمدن الكبيرة التي كانت تعج بالمدارس المتنوعة "[٢].

وكان أوج هذا الانتشار في القرن السابع الهجري الذي يمكن وصف ما حدث به من بناء للمدارس بالثورة التي ساهم فيها قطاع عريض من طبقات المجتمع وما سنورده لاحقاً يؤكد هذه الحقيقة .

فالعصر المملوكي " كان بحق العصر الذهبي في انتشار التعليم نتيجة هذا الإقبال الكبير على إنشاء المدارس ، والذي اشترك فيه السلاطين والأمراء والأغنياء على حد سواء ، حتى كثرت المدارس وتعددت بشكل كبير لفت أنظار مؤرخي العصر المملوكي فسجلت أقلامهم هذه الميزة الفريدة التي امتاز بها العصر المملوكي " [٣].

"إن كثيراً من المدارس أسست بدافع التقوى والرغبة في نشر علوم الدين، ولكن إلى جانب ذلك كانت هناك اعتبارات تدعيم الحكم من قبل حكام غرباء هم المماليك خاصة فأنشأوا المدارس بقصد تدعيم مركزهم عند الناس " [٤].

---

[1] الأنصاري ، ناجي محمد حسن : التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأولى إلى عام ١٤١٢هـ ، ١٤١٤هـ ، ص ٢١٢ .

[2] ساعاتي ، يحيى محمود : الوقف وبنية المكتبة العربية .مرجع سابق ، ص ١٦ .

[3] الحجي ، حياة ناصر : السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده . مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٣هـ ، ص ١٠٦ .

[4] العسلي ، كامل جميل : بحث مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس . ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بغداد ، ١٤٠٣هـ ، ص ٩٥ .

"وبالرغم من زيادة عدد المدارس في العصر المملوكي، فإنه لم توجد سياسة تعليمية للدولة أو للسلاطين ، وكانت الدوافع الدينية والسياسية ، هي الدافع لإنشاء المدارس والمكاتب ، ولذلك كان للأوقاف أهمية خاصة بالنسبة للتعليم سواء كان بالمدارس أو بالمكاتب التي عرفت باسم " كتاب السبيل " فالأوقاف هي التي ثبتت أركان المدرسة ، ودعمت نظامها "(١).

"ولم تكن المدارس مجرد أبنية تقام ، أو مجموعة من الطلاب يتلقون العلوم فيها على مدرسين في زمان ومكان محددين بل كان أكثرها في شكل مؤسسات علمية راقية لها نظمها الخاصة التي تسير عليها وتقاليدها التي ترعاها ، ومواردها المالية التي تعتمد عليها في أداء رسالتها "(٢).

علاقة المدارس بالوقف

ترتكز المدرسة الإسلامية قديماً على الوقف في تمويل أغلب أنشطتها ، وتعتمد عليه في تقديم خدماتها التعليمية والتربوية المجانية ، فلم يكن طالب العلم مكلفاً بدفع شيء مقابل سكنه وإعاشته بل كان العكس فهوالذي يتلقى الإعانة التي تكفيه هم دنياه ، حتى يكون خالِّيَ البال إلا من طلب العلم .

ولم يقتصر نفع الوقف على الطالب دون شيخه ، بل لقد أجزل الواقفون الأعطيات والمرتبات لأهل العلم المتفرغين للتدريس والتعليم، حتى أصبح هناك نوع من التنافس للحصول على مشيخة أو نظارة مدرسة ما ، لما فيها من المكانة الاجتماعية والكفاية المادية ، وبالطبع فإن هناك ثلة من العلماء الربانيين المشهورين الذين تولوا مشيخة بعض المدارس ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، ولما يعلمون من أن الكسب من الأوقاف من أطيب الحلال .

---

(1) أمين ، محمد محمد : بحث الأوقاف ونظام التعليم في العصور الوسطى الإسلامية . ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي والإسلامي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بغداد ، ١٤٠٣هـ ، ص ١٥٣ .

(2) ساعاتي ، يحيى محمود : الوقف وبنية المكتبة العربية . مرجع سابق ، ص ١٧ .

فالوقف يخلق بيئة علمية خصبة ، تحفز المعلم والطالب للعمل بكامل الطاقة الإنتاجية العلمية ، وحسبك أن تعلم أن زمرة من العلماء المبرزين في علوم الشريعة وغيرها ، كانوا يعيشون في أكناف هذه المدارس العامرة.

فابن كثير مثلاً يقول في حديثه عن المدرسة النجيبية " وبها إقامتنا ، جعلها الله داراً تعقبها دار القرار في الفوز العظيم "[١]، أما أبو شامة شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي الذي توفي سنة خمس وستين وستمائة، صاحب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية فيقول عن المدرسة العادلية الكبرى "وهي المأوى وبها المثوى ، وفيها قدر الله سبحانه وتعالى جمع هذا الكتاب ، فلا أقفر الله ذلك المنزل ولا أقوى آمين "[٢] ، ويقصد كتاب الروضتين.

كذلك فإن والد شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالحليم ابن تيمية، كان يسكن دار الحديث السكرية، والحافظ المزي كان يسكن دار الحديث الشقيشقية، كما حكى ابن كثير.

ولتكتمل عناصر البيئة العلمية المحفزة أجازت الشريعة الإسلامية وقف المنقول من الكتب وغيرها ، فلا تكاد تخلو مدرسة من خزانة للكتب للإطلاع والبحث.

وبالجمّلة فإن نظام الوقف الإسلامي بمزاياه المتعددة ، وفّر عدة عوامل لنجاح العملية التعليمية خاصةً في القرن السابع الهجري ، ينادي بها التربويون اليوم ، منها :

١- وقف الأراضي والمساحات اللازمة لإقامة المنشآت التعليمية .
٢- وقف العقارات والمباني والدور الحاضنة للعملية التعليمية .
٣- وقف الأراضي الزراعية أو الدكاكين والحوانيت التي تدر دخلاً يأخذ منه الطلبة والمدرسين معاليمهم .

---

[1] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص١٢٨.

[2] أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. مطبعة وادي النيل، القاهرة، ١٢٨٧هـ، جزء ١، ص٢١٤.

٤- وقف الكتب وما يلزم لطالب العلم " فالواقفين يوفرون المال والمكان والطعام والملبس والحبر والورق والكتاب "[١] .
٥- وقف البيمارستانات لعلاج مرضى المدرسة ، عملاً بمقولة (العقل السليم في الجسم السليم) .
٦- توفير الوقف المأكل والمشرب لرواد المدرسة ، حتى وصل الحال قديماً إلى توفير علف دابة الشيخ التي تمثل وسيلة النقل .
٧- وقف الحمامات ليعتني الطلاب بنظافتهم الشخصية ، فلقد كان هناك وظيفة في المدرسة المستنصرية تسمى " الحمامي وهو الشخص الذي يشرف على حمام المدرسة ويعده لاستحمام الطلاب ، أما المزين فهو الشخص الذي يقوم بتزيين الطلاب وحلاقة شعرهم ومن المرجح أنه كان له محل خاص في المدرسة "[٢].

تصميم المدارس في القرن السابع الهجري

لقد أسهم بناء المدارس في تطوير فن العمارة الإسلامية ، فقد حرص الواقفون على أن تتزين مدارسهم بأقصى درجات الجمال المعماري لكي تعبر عن قوة نفوذ صاحبها أو عن مدى حبه للعلم والعلماء ، " فقد كانت المدارس تبنى من الحجر الجيد وكانت تحفاً معمارية تجلى فيها جمال الهندسة العربية الإسلامية ، ولما كانت أكثر المدارس من بناء المماليك فقد انعكس فيها طرازهم في البناء الذي كان يتميز بكثافة الزخرفة والتزيين ، وخصوصاً فوق الأبواب العالية وعلى الواجهة الأمامية "[٣].

أما **أقسام المدرسة** فهي إجمالاً عبارة عن :

١- الإيوان.

وهو اسم للمكان " الذي يراد به قاعة المحاضرات في التعبير الحديث ، ولما كانت المدرسة لا تخلو منه فهو أبرز مرافقها وأهمها " [٤].

---

[1] الضحيان ، عبدالرحمن بن إبراهيم : الأوقاف الإسلامية ودورها الحضاري . مرجع سابق ، ص ٩٣ .

[2] أمين ، حسين : المدرسة المستنصرية . وزارة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٠م ، ص ٩٩ .

[3] العسلي ، كامل جميل : مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس . مرجع سابق ، ص ٩٩ .

[4] صبرة ، عفاف سيد محمد : بحث المدارس في العصر الأيوبي . مرجع سابق ، ص ١٦٥ .

٢- بيت الصلاة.

" كان للمدرسة الإسلامية وظيفتان متلازمتان الدراسة والصلاة ، بحيث لا تخلو مدرسة إسلامية من بيت للصلاة "[١].

٣- المئذنة.

ولم تكن كل المدارس بها مآذن ، خاصة في الشام والعراق ، أما القاهرة فقد كان البناه " يشعرون أن المئذنة توكيد لصفة الجماعة بالمدارس" [٢]، فكان يوجد في بعض مدارس القاهرة مآذن.

٤- البهو.

" كان البهو ضرورة في بناء المدرسة الأيوبية وقد راعى الصناع أن يكون بهواً مكشوفاً فسيحاً مربعاً أو مستطيلاً " [٣].

٥- مساكن الطلاب.

" وكانت عبارة عن غرف صغيرة الحجم ، بعضها من طابق واحد ومعظمها من طابقين وعددها يتفاوت من مدرسة لأخرى "[٤].

٦- المكتبة.

فمن المعلوم أن غالب المدارس فيها خزائن للكتب ، يطالعها الطلاب ومدرسيهم .

" ويمكن للمرء أن يجزم أن مدرسة واحدة في بقاع العالم الإسلامي القديم ما كانت تخلو من مكتبة تابعة لها بغض النظر عن حجمها وموقعها "[٥].

٧- مبنى لدراسة الطب.

خاصةً في المدارس الكبرى كالمستنصرية فقد كان فيها " مدرسة لدراسة العلوم الطبية وكان من واجبات الطبيب المشرف عليها علاج المرضى من طلاب المدرسة المستنصرية إلى جانب قيامه بتدريس الطب "[٦].

---

[1] فكري ، أحمد : مساجد القاهرة ومدارسها .دار المعارف، القاهرة ،١٩٦٥م، جزء ٢، ص٨٦.

[2] المرجع السابق ، ص ١١٨ .

[3] المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

[4] المرجع السابق ، ص ١٢١ .

[5] ساعاتي ، يحيى محمود ، الوقف وبنية المكتبة العربية . مرجع سابق ، ص ٧٧ .

[6] أمين ، حسين : المدرسة المستنصرية . مرجع سابق ، ص ٥٦ .

٨- حمام.

" كانت المستنصرية مدرسة داخلية وكان بها حمام للطلبة يستحمون به بدليل قول ابن العبري:وبنى لهم داخل المدرسة حماماً خاصاً للفقهاء" [١].

٩- الضريح أو القبة.

" يلاحظ أن معظم المدارس كانت تضم ضريحاً أو أكثر وأن موضع هذا الضريح وبناءه لا يقتطع جزءاً هاماً من بناء المدرسة وإنما روعي أن ينحصر في ركن من الأركان "[٢].

أنواع المدارس

يمكننا تقسيم المدارس الإسلامية القديمة إلى سبعة أنواع حسب العلم الذي يدرس في أروقتها ، وقد رتب النعيمي هذه الأنواع حسب ما يرى أنه الأفضل فقال " وهو أني أذكر دور القرآن ، ثم دور الحديث ، ثم مدارس الأئمة الأربعة ، لكني أبدأ بمدارس أئمتنا الشافعية ثم الحنفية ثم المالكية ثم ا لحنابلة ، ثم أذكر مدارس الطب "[٣]، أما عز الدين ابن شداد صاحب كتاب الأعلاق الخطيرة فابتدأ بذكر المدارس الحنفية.

وأنواع المدارس كالتالي :

١- دور القرآن الكريم.

وهي خاصة بتعليم القرآن الكريم والقراءات ، مثل دار القرآن الكريم الجزرية بدمشق والدلامية والرشائية والصابونية وغيرها [٤].

٢- دور الحديث الشريف.

وهي دور مستقلة لتدريس الحديث الشريف ، كدار الحديث الأشرفية بدمشق ، ودار الحديث البهائية والحمصية والسكرية وغيرها [٥].

---

[1] أمين ، حسين : المدرسة المستنصرية . مرجع سابق ، ص ٣٨ .

[2] صبرة ، عفاف سيد محمد : المدارس في العصر الأيوبي . مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

[3] النعيمي ، عبدالقادر بن محمد : الدارس في تاريخ المدارس . مرجع سابق ، جزء ١، ص ٥.

[4] المرجع السابق ، جزء ١، ص ٨ – ٩.

[5] المرجع السابق ، جزء ١، ص ٤٥.

٣ - دور القرآن والحديث معاً.

وهي التي يدرس فيها الحديث النبوي إلى جانب القرآن الكريم ، كدار القرآن والحديث التكنزية والمعبدية بدمشق [١].

٤ - المدارس الفقهية.

وهي المخصصة لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة المشهورة ، وهي كـذلك عـدة أنواع :-

أ- مدارس أحادية ، تدرس مذهباً واحداً فقط ، كالمدرسة الأتابكية بدمشق[٢].

ب- مدارس ثنائية ، وهي التي تدرس مذهبين معاً ، كالمدرسة الأسدية فهي موقوفة " على الفريقين الحنفية والشافعية "[٣].

ج- مدارس ثلاثية ، تدرس ثلاثة مذاهب دون الرابع ، كالمدرسة الفخرية بدمشق التي كان بها ثلاثة دروس للحنفية والمالكية والحنابلة .

د- مدارس رباعية ، تدرس المذاهب الأربعة ، " كالمدرسة الصالحية بمصر " [٤].

٥ - مدارس نحويـة. لتدريس النحو وعلوم العربية ، كالمدرسة النحوية بالقدس التـي أنشأها الملك المعظم عيسى ،" وخصصها للاشتغال بالعربية"[٥].

٦ - مدارس الطب. ومنشؤها غالباً أطباء ، مثل : المدرسـة الداخوريـة والدنيـسرية واللبودية بدمشق [٦].

٧ - مدارس جامعة. وهي التي تجمع العلوم السابقة فـي مبنـىً واحـد ، كالمدرسـة المستنصرية ببغداد .

---

(1) النعيمي ، عبدالقادر بن محمد : الدارس في تاريخ المدارس . مرجع سابق ، جزء ١، ص ٩١.

(2) المرجع السابق ، جزء ١، ص ٩٦.

(3) المرجع السابق ، جزء ١، ص ٣٦٢.

(4) الحجيلان ، أحمد بن عبدالله : التعليم العالي إدارة وتنظيماً . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القـرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٣ .

(5) عبد المهدي ، عبدالجليل حسن : المدارس في بيت المقدس . مكتبة الأقـصى ، عمـان ، ١٩٨١م ، جـزء ١، ص ٣٥١.

(6) النعيمي ، عبدالقادر بن محمد : الدارس في تاريخ المدارس . مرجع سابق ، جزء ١، ص ١٠٦.

مدارس القرن السابع الهجري

فيما يلي سأذكر مستعيناً بالله جمعاً من المدارس المنتشرة في بعض أنحاء العالم الإسلامي في ذلك الوقت معتمداً على المراجع الأصيلة بادئاً بمدينة دمشق.

أولاً : مدارس دمشق :

أ– دور القرآن الكريم:

١ - **دار القرآن الكريم الوجيهية** . أنشأها الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن المنجا التنوخي[١] ، رئيس الدماشقة ، كان صدراً محترماً ديناً محباً للأخيار صاحب أملاك ومتاجر وبر وأوقاف أنشأ دار للقرآن الكريم بدمشق ورباطاً بالقدس الشريف[٢] ولد سنة ثلاثين ستمائة وتوفي سنة إحدى وسبعمائة[٣]

ب– دور الحديث الشريف.

١ - **دار الحديث الأشرفية** . أنشأها الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل ، سنة ثلاثين وستمائة وافتتحها في ليلة النصف من شعبان ، ووقف عليها الملك الأشرف الأوقاف ، و جعل بها نعل النبي صلى الله عليه وسلم ، ودرس بها الشيخ تقي الدين بن الصلاح ، وسمع الملك الأشرف صحيح البخاري في هذه السنة على الزبيدي[٤].

٢ - **دار الحديث الأشرفية البرانية.** المقدسية بسفح جبل قاسيون على حافة نهر يزيد ، بناء الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل ، باني دار الحديث الأشرفية المتقدمة، جعلها للشيخ الحافظ ابن الحافظ جمال الدين عبدالله بن تقي الدين عبدالغني المقدسي ، وقرر له معلوماً . فمات قبل فراغها[٥] ، أما الوقف على هذه الدار فهو

---

[1] النعيمي ، عبدالقادر بن محمد : الدارس في تاريخ المدارس . مرجع سابق، جزء١ ، ص١٣.

[2] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص١٧ .

[3] الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام ، مرجع سابق ، جزء ٧، ص٩٠.

[4] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص١٥.

[5] المرجع السابق ، جزء١ ، ص٤٩.

" خمسة ضياع بالبقاع وهي : الدير والدوير والمنصورة والتليل والشبرقية وبيت ابن النابلسي المعروف بابن الكشك والجنينة وحكر حارة الجوبان "[١].

٣- دار الحديث الدوادارية[٢]. قال ابن كثير في سنة ثمان وتسعين وستمائة: وفيها وقف الأمير علم الدين سنجر الدوادار رواقه داخل باب الفرج دار حديث ومدرسة وولي مشيختها الشيخ علاء الدين بن العطار[٣]، وقال الذهبي في العبر سنة تسع وتسعين وستمائة : الأمير الكبير علم الدين سنجر التركي كان من نجباء الترك وشجعانهم وعلمائهم ، وله معجم كبير وأوقاف بدمشق والقدس [٤].

٤- دار الحديث السامرية. أوقفها الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد ابن علي بن جعفر البغدادي السامري ، وكانت داره التي يسكن فيها فدفن بها بعد أن وقفها دار حديث وخانقاه ، توفي سنة ست وتسعين وستمائة [٥].

٥- دار الحديث السكرية. يقول النعيمي : لم أقف لواقفها على ترجمة ، ولكن الشيخ الإمام العالم الفقيه شهاب الدين عبدالحليم ابن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبدالسلام ابن تيمية والد شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ، درس بها وولي مشيختها ، وبها كان مسكنه ، وقد توفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة ، فلا ريب إذاً في أنها من مدارس القرن السابع الهجري ، كما أن شيخ الإسلام ابن تيمية درس بها سنة ثلاث وثمانين وستمائة [٦]

٦- دار الحديث الشقيشقية. أنشأها ابن الشقيشقة المحدث نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العز مظفر بن عقيل الشيباني ، المتوفي سنة ست وخمسين وستمائة ، يقول

---

(1) الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية . تحقيق محمد أحمد دهمان ، مكتب الدراسات الإسلامية في دمشق ، دمشق ، ١٣٦٨هـ ، جزء ١ ، ص ١٠١.

(2) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص١٢٤.

(3) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص٢٤٥ .

(4) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام ، مرجع سابق ، جزء ٥، ص١٣٥.

(5) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٥٤.

(6) المرجع السابق ، جزء١ ، ص٥٦.

ابن كثير : له سماع حديث ، ووقف داره بدرب البانياس دار الحديث ، وهي التي كان يسكنها شيخنا المزي الحافظ قبل انتقاله إلى دار الحديث الأشرفية [١].

٧- **دار الحديث العروِيّة.** بمشهد ابن عروة بالجانب الشرقي من صحن الجامع الأموي ، أنشأها شرف الدين محمد بن عروة الموصلي ، يقول ابن كثير عن المشهد : بني فيه البركة ووقف على الحديث دروساً ووقف خزائن كتبه فيه وقال الصلاح الصفدي عن مشهد ابن عروة : عمل له المحراب والخزانتين ووقف فيهما كتباً وجعله دار حديث توفي رحمه الله تعالى سنة عشرين وستمائة [٢].

٨- **دار الحديث الفاضلية.** واقفها القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن الفرج بن أحمد القاضي ، صاحب العبارة والفصاحة والبلاغة والبراعة يقول النعيمي: والوقف على دار الحديث هذه مزرعة برتايا لصيق أرض حمورية يفصل بينها نهر، ولعل أول من درَّس بها التقي اليلداني ، الذي توفي سنة خمس وخمسين وستمائة[٣] ، يقول ابن كثير : وأكثر كتبه ومجاميعه التي بخطه موقوفة بخزانة الفاضلية من الكلاسة ، وقد رأى في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله ما أنا رجل جيد ؟ قال : بلى أنت رجل جيد [٤].

٩- **دار الحديث القلانسية.** أنشأها الصاحب عز الدين أبو ليلى حمزة ابن مؤيد الدين التميمي ابن القلانسي أحد رؤساء دمشق الكبار ، ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، ولها وصف في كتاب القلائد الجوهرية لابن طولون [٥].

١٠- **دار الحديث الكروسية.** واقفها محمد بن عقيل بن كروس جمال الدين ، محتسب دمشق ،كان كيساً متواضعاً ، توفي سنة إحدى وأربعين وستمائة [٦].

---

(1) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص١٠١ .

(2) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٦١.

(3) المرجع السابق ، جزء١ ، ص٦٧.

(4) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص٨٠ .

(5) الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص٨٦.

(6) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٧٣.

١١- **دار الحديث النورية.** بناها الملك العادل أبوالقاسم محمود بن أبي سعيد زنكي بن آق سنقر التركي الشهيد وهو أول من بنى داراً للحديث وقيل بل واقفتها عصمة التـــي قيل أنها كانت زوجة صلاح الدين ، وهو خلاف المعروف.

ووقفها قليل ، فلما كانت سنة إحدى عشرة وستمائة بني الأشرف دار حديث غربهـــا وشرط أن يؤخذ من وقفها ألف درهم فتضاف إلى وقفها فانـــصلح حالهـــا [١]. تـــولى مشيختها الحافظ الكبير ثقة الدين أبو القاسم على بن الحسن بـــن عـــساكر ، صـــاحب التصانيف الجليلة منها تاريخ دمشق في ثمانين مجلد [٢].

١٢- **دار الحديث النفيسية.** واقفها إسماعيل بن محمد بـــن عبدالواحـــد بـــن صـــدقة الحراني ثم الدمشقي [٣]، قال تلميذه ابن كثير : "سمع الحديث ووقف داره دار حديث ، توفي سنة ست وتسعين وستمائة"[٤] ، وهي "واقعة في سوق الحرير... وقلبت دوراً بيد أربابها" [٥]، ويقصد الحصيني أن هذه المدرسة أُخذت وأصبحت بيوتاً يسكنها أربابها.

١٣- **دار الحديث الناصرية.** وبها رباط ، وتُسمى الناصرية البرانية، كلاهمـــا إنـــشاء الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز[٦]، قال ابن كثير : وفيها – يعني سنة أربع وخمسين وستمائة - أمر الناصر بعمارة الرباط الناصري بـــسفح قاســـيون وذلك عقيب فراغ الناصرية الجوانية بدمشق ، والناصرية البرانية من أغرب الأمكنـــة في البنيان المحكم والجوانية من أحسن المدارس [٧]، "وهذه الدار من محاسن دمـــشق ولكنها خربت لخراب محلتها ، وهي مركبة على نهر يزيد ينـــزل إليهـــا فـــي عـــدة دُرج"[٨].

---

[١] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٨ ، ص٥٧٣ .

[٢] الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام ، مرجع سابق ، جزء ١١، ص٣٧٠.

[٣] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٨٤.

[٤] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص٢٤٠ .

[٥] الحصيني ، محمد أديب آل تقي الدين : منتخبات التواريخ لدمشق ، دار الآفاق الجديد ، بيـــروت ،١٣٩٩هـــــ ،جزء ١، ص٩٤١.

[٦] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٨٥.

[٧] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص٧٦ .

[٨] الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص٩٤.

١٤ - **دار الحديث الضيائية.** ويقال لها دار السنة ، واقفها محمد بن عبدالواحد المقدسي الحافظ الكبير ضياء الدين أبو عبدالله محدث عصره ووحيد دهره[١]، قال ابن كثير : وقف كتباً كثيرة عظيمة لخزانة المدرسة الضيائية التي وقفها على أصحابهم من أهل الحديث والفقهاء ، وقد وقفت عليها أوقاف أخر كثيرة بعد ذلك ، والوقف على هذه المدرسة غالب دكاكين السوق الفوقاني وحوانيت وجنينة في النيرب وأرض بسبقا ويؤخذ لأهلها ثلث قمح ضياع، وقف دار الحديث الأشرفية بالجبل وهي الدير والدوير والمنصورة والتليل والشبرقية [٢].

١٥ - **دار الحديث العالمة.** أوقفتها الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت الشيخ الناصح الحلبي وكانت فاضلة لها تصانيف ، توفيت سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، والوقف عليها البستان بجسر البط والغيضة ، وحكر ابن صبح عند الشامية البرانية ، ذكرها ابن طولون فقد ذكرها في دور الحديث[٣] ، أمَّا النعيمي فقد ذكرها في المدارس وسماها المدرسة العالمة[٤].

ج – المدارس الفقهية :

وسنبدأ بذكر المدارس الشافعية :

١ - **المدرسة الأتابكية.** أنشأتها خاتون بنت السلطان الملك عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود ابن أتابك زنكي بن آق سنقر ، وفي ليلة وفاتها كان وقف مدرستها وتربتها بالجبل ودفنت بها رحمها الله تعالى وتقبل منها ، وذلك سنة أربعين وستمائة[٥]، وهذه المدرسة تشتمل على حرم على معزبة لطيفة بشباك غربي يطل على طريق غير نافذ آخذ إلى نهر يزيد وباب قبالة هذا الشباك من الغرب لتربة الواقفة ،

---

(1) الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص ٧٦.

(2) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص٥٢ .

(3) الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص ٨٤.

(4) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء٢ ، ص٨٧.

(5) المرجع السابق ، جزء١ ، ص٩٦.

ولهذا الحرم ثلاثة أبواب أوسطها كبير ، قدامها صحن لطيف، يُصعدُ مـن بـاب فـي غريبه إلى مأذنة لها[١].

٢ - المدرسة الأسدية. أنشأها أسد الدين شيركوه الكبير ، علـى الفـريقين الـشافعية والحنفية ، وممن درس بها الشيخ تاج الدين ابن الوزان الذي توفي سنة خمس وأربعين وستمائة ، وقد ذكرها ابن شداد في المدارس المشتركة[٢] أما النعيمي فقد ذكرها فـي المدارس الشافعية وكررها في المدارس الحنفية [٣].

٣ - المدرسة الأصفهانية. بحارة الغرباء وبالقرب من درب الشعارين، بناها رجل من أصفهان، درس بها جمال الدين عبدالكافي ، المتوفي سنة تسع وثمانين وستمائة [٤].

٤ - المدرسة الإقبالية. داخل باب الفرج وباب الفراديس بينهما ، قـال ابـن شـداد : أنشأها خواجا إقبال خادم الشهيد نور الدين[٥]، أما ابن كثير فقال : إقبال الخادم جمـال الدين أحد خدام الملك صلاح الدين، واقف الإقباليتين الشافعية والحنفية ، وكانتا دارين فجعلهما مدرستين ، ووقف عليهما وقفاً ، الكبيرة للشافعية والصغيرة للحنفية، وعليهـا ثلث الوقف [٦].

٥ - المدرسة الأكزية. بانيها أكز حاجب نور الدين محمود ، وقد رسم على عتبة بابها ما صورته بعد البسملة: وقف هذه المدرسة على أصحاب الإمام أبي عبدالله محمد بـن إدريس الشافعي رضي الله عنه الأمير أسد الدين أكز في ست وثمـانين وخمـسمائة ، وتمت عمارتها في أيام الملك الناصر صلاح الدين و الدنيا ، ومنقذ البيت المقدس مـن أيدي المشركين ، أبي المظفر يوسف بن أيوب محي الدولة أمير المـؤمنين ، الـدكان التي شرقيها وقف عليها ، والثلث من طاحون اللوان ، سنة سبع وثمانين وخمسمائة.

---

(1) الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص ١٢١.

(2) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٦٢ .

(3) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص١١٤.

(4) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٤٢ .

(5) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص١١٨.

(6) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٨، ص٥٥١ .

ومن درس بها كمال الدين أبو محمد بن الحرستاني المتوفي سنة أربـــع وعــشرين وستمائة [١].

٦ - **المدرسة الأمجدية**. بانيها الملك المظفر نور الدين عمر ابن الملك الأمجد حين قتل والده الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه ابن عز الدين فروخشاه ، قتله مملوك له فـــي سنة تسع وعشرين وستمائة ، فبدأ الملك المظفر في عمارة هذه المدرســـة مـــن مـــال وصية أوصى بها والده[٢].

٧ - **المدرسة الأمينية**. بانيها أمين الدولة ربيع الإسلام ، قال الذهبي في سنة ثلاثين و خمسمائة : وفيها ولي أتابكية عسكر دمشق أمين الدين كمشتكين بن عبدالله الطغتكينـــي واقف الأمينية ، وممن درس بها شرف الدين أبو الحسن علي بن محمد بن علي جمال الإسلام ابن الشهرزوري المتوفي سنة اثنتين وستمائة [٣].

٨ - **المدرسة البادرائية**. أنشأها الشيخ نجم الدين أبو محمد عبدالله بـــن أبـــي الوفـــاء البادرائي، قال ابن كثير: كان فاضلاً متواضعاً، وقد ابتنى بدمشق مدرسة حسنة مكـــان دار الأمير أسامة ، وشرط على المقيم بها العزوبية... ولكن حصل بذلك خلـــل كثيـــر وشر لبعضهم كبير ، ... فلما حضر الواقف في أول يوم درس بهـــا وحـــضر عنـــده السلطان الناصري ، وقرأ كتاب الوقف وفيه ولا تدخلها امـــرأة. فقـــال الـــسلطان ولا صبي؟ فقال الواقف: يا مولانا السلطان ربنا ما يضرب بعـــصاتين،... وقـــد أوقـــف البادرائي على هذه المدرسة أوقافاً حسنة داره ، وجعل فيها خزانة كتب حسنة نافعة ، توفي رحمه الله سنة خمس وخمسين وستمائة [٤].

٩ - **المدرسة البهنسية**. بجبل الصالحية ، أنشأها الـــوزير مجـــد الـــدين إســـماعيل ، المعروف بأبي الأشبال الحارث ابن مهلب ، كان وزير الملك الأشرف، أنشأها بـــسفح قاسيون ، وجعل كتبه بها وقفاً ، وأجرى عليها أوقافاً جيدة دارة رحمه الله تعالى [٥].

---

[1] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص١٢٤.

[2] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص١١ .

[3] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٣١ .

[4] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص١٥٤.

[5] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص١١ .

١٠- **المدرسة التقوية.** بانيها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيـوب ، سنة أربع وسبعين وخمسمائة، قال ابن كثير: دفن بحماه ، وله مدرسـة هنـاك هائلـة كبيرة ، وكذلك له بدمشق مدرسة مشهورة ، وعليها أوقاف كثيرة ، وممن درس بهـا القاضي الرئيس إمام الدين عبدالعزيز أبو محمد ابن قاضي القضاة محي الدين يحيـى بن محمد بن الزكي ، المتوفي سنة تسع وتسعين وستمائة [١].

١١- **المدرسة الجاروخية.** بانيها الأمير جاروخ التركماني يُلَّقب بسيف الدين ، بناهـا جاروخ برسم المدرس العلامة الإمام أبي القاسم محمود بن المبارك المعروف بالمجير الواسطي ، وممن درس بها الفقيه شرف الدين أبو عبدالله الحسين بن كمال الدين بـن سلام الدمشقي الذي ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة [٢].

١٢- **المدرسة الدماغية.** ذكرها ابن شداد في المدارس المشتركة ، مُنـشأتها زوجـة شجاع الدين بن الدماغ العادلي، في سنة ثمان وثلاثين و ستمائة[٣].

قال ابن كثير : "كانت داره داخل باب الفرج ، فجعلتها زوجته عائشة مدرسة للشافعية والحنفية ، ووقفت عليها أوقافاً دارة"[٤] ، قال النعيمي : ووقفها بقصر اللبـاد ثمانيـة أسهم من أربعة وعشرين سهما وهي الثلث من المزرعة الدماغية ، والحصة من رجم الحيات والحصة من حمام إسرائيل خارج دمشق والحصة بدير سلمان مـن المـرج ، ومزرعة شرخوب عند قصر أم حكيم شرقي قرية عرَّاد وقبلي شقحب ، وقال الأسدي: في سنة خمس عشر وستمائة من تاريخه: إن نعل النبي صلى الله عليه وسلم اليمنـى كانت بهذه المدرسة الدماغية والنعل اليسرى بدار الحديث الأشـرفية الدمـشقية ، وإن تمرلنك[٥] أخذ الفردتين فاعرفه[٦].

---

(1) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٣٥ .

(2) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص١٦٩.

(3) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٦١ .

(4) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٨ ، ص٥٨٦ .

(5) تيمورلنك: قائد مغولي، مؤسس الإمبراطورية التيمورية ولد سنة ٧٣٦ هـ وتوفي سنة ٨٠٧ هـ

(6) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص١٧٧.

١٣- **المدرسة الدولعية بجيرون.** أنشأها العلامة جمال الدين الدولعي خطيب الجـــامع بدمشق وهو أول من ذكر بها الدرس ، توفي سنة خمس وثلاثـــين وســـتمائة ، ودفـــن بمدرسته هذه التي بجيرون [١].

١٤- **المدرسة الركنية الجوانية الـــشافعية.** واقفها ركن الدين منكورس عتيـــق فلـــك الدين سليمان العادلي ، وهو الذي بني الركنية الحنفية البرانية وممن درس بها الشيخ شهاب الدين أبو شامة عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي الشيخ الإمام العلامة الحـــافظ المحدث الفقيه المؤرخ المعروف بأبي شامة ، توفي سنة خمس وستين وستمائة [٢].

١٥- **المدرسة الرواحية.** بانيها زكي الدين أبو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة ، قال الذهبي : شرط على الفقهاء والمدرسين بها شروطاً صعبة لا يمكن القيام ببعـــضها ، وشرط أن لا يدخل مدرسته يهودي ولا نصراني ولا حنبلي حشوي ، تـــوفي ســـنة ثلاث وعشرين وستمائة [٣].

١٦- **المدرسة الخضرية.** قال ابن شداد : الزاوية بمقصورة الخضر – عليه السلام – غربي الجامع بدمشق والذي تحقق من مدرسيها : الشيخ عماد الدين ، ثم بعده جمال الدين ابن الحموي [٤].

١٧- **المدرسة الساوجية.** قال ابن شداد: إنشاء جمال الدين الساوجي ، كـــان تـــاجراً وقفها على الشريف كمال الدين حمزة الطوسي ، وهو مستمر بها إلى الآن [٥] –يعنـــي سنة ٦٧٤هـــ -

١٨- **المدرسة الشامية البرانية.** بانيتها والدة الملك الصالح إسماعيل وهي ست الشام ابنة نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان أخت الملك الناصر صلاح الـــدين ، وهـــذه المدرسة من أكبر المدارس وأعظمها وأكثرها فقهاء وأكثرها أوقافاً ، قال أبو شـــامة : ومن وقفها السلطاني قدر ثلاث مائة فدان حدة قناة الريحانية إلى أوائل القبيبـــات إلـــى قناة حجيرا، ودرب البويضا ، ومنه الوادي التحتاني وادي الـــسفرجل وقـــدره نحـــو

---

(1) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص٣٢ .

(2) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص١٩٠.

(3) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٤١.

(4) المرجع السابق، ص٢٤٨.

(5) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٢٠٨.

عشرين فداناً ، ومنه ثلاثة كروم وغير ذلك ، توفيت ست الشام سنة ست عشرة وستمائة [١].

١٩- **المدرسة الشامية الجوانية.** قبلي المارستان النوري ، إنشاء ست الشام ابنة نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان ، وهي منشأة الشامية البرانية ، وقد كانت هذه المدرسة داراً جعلتها بعدها مدرسة ، وفيها توفيت ونقلت إلى تربتها بالشامية البرانية ، ومن وقفها جميع الدار بدمشق ، ومنه بظاهر دمشق ضيعة تعرف ببزينة ، و حصة مبلغها أحد عشر سهماً ونصف سهم من أربعة وعشرين سهما تعرف بجرمانا من بيت لها ، ومنها أربعة عشر سهماً ، وسبعة من أربعة وعشرين سهماً من ضيعة تعرف بالتينة من جبة عسال ، ومنه جميع الضيعة المعروفة بمجيدل، ومنه نصف ضيعة تعرف بمجيدل السويدا [٢].

٢٠- **المدرسة الشومانية.** أنشأتها خاتون بنت ظهير الدين شومان ، قال النعيمي: أخبرني أخونا القاضي برهان الدين إبراهيم بن محمد بن برهان الدين الشهير بابن المعتمد أن هذه المدرسة هي المسماة الآن بالطيبة سموها بذلك تيمناً [٣].

٢١- **المدرسة الشريفية.** التي عند حارة الغرباء ، وقال الشيخ تقي الدين الأسدي: الشريفية بدرب الشعارين ، لم أعرف واقفها درّس بها سيدنا الشيخ نجم الدين الدمشقي رحمه الله تعالى في سنة تسعين وستمائة ، ولم أعرف من درَّس بها غيره ، قال ابن شداد : أول من درَّس بها رشيد الدين الفارقي [٤].

٢٢- **المدرسة الصالحية.** المعروفة بتربة أم الصالح ، واقفها الصالح أبو الجيش إسماعيل بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر ، قال عنه ابن كثير : واقف التربة والمدرسة ودار الحديث والإقراء بدمشق ، توفي سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وقد باشر مشيخة الإقراء فيها قراء مشهورين منهم علم الدين السخاوي وأبو الفتح الأنصاري الملوني وزين الدين الزواوي والعلامة شمس الدين ابن الجزري [٥].

---

(1) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٨ ، ص٥٩٢ .

(2) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٢٢٧.

(3) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٤٢ .

(4) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٢٣٨.

(5) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص٦٢ .

٢٣- **المدرسة الصارمية**. بانيها صارم الدين أزبك مملوك قايماز النجمي ، يقول النعيمي: ورأيت مرسوماً بعتبتها ما صورته : بسم الله الرحمن الرحيم هذا المكان المبارك بإنشاء الطواشي الأجل صارم الدين جوهر ... وهو وقف محرم وحبس مؤبد على الطواشي المسمى أعلاه مدة حياته، ... كُتب سنة اثنتين وعشرين وستمائة [١].

٢٤- **المدرسة الصلاحية**. بالقرب من البيمارستان النوري ، بانيها نور الدين محمود بن زنكي الشهيد ونسبت إلى الملك الناصر صلاح الدين فاتح بيت المقدس ، قال ابن شداد : لم نعلم فيها مدرّسين إلا عماد الدين ابن زهران الموصلي ، ثم من بعده محي الدين خطيب الجامع ، وهو مستمر بها إلى الآن [٢]، - يعني سنة ٦٧٤هـ -.

٢٥- **المدرسة الطبرية**. بباب البريد ، وقْفُها برأس العين ، وحوانيت بالنورية داخل دمشق ، درس بها الشيخ الإمام شرف الدين أبو عبدالله الحسين بن علي ابن محمد بن هبة الله بن ألُّه ، الأصفهاني الأصل ، ميلاده في المحرم سنة سبع وخمسين وستمائة وتوفي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة [٣]، ولم يذكرها ابن شداد.

٢٦- **المدرسة الظاهرية البرانية**. بناها الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين أيوب [٤]،ولم يذكرها ابن شداد .

٢٧- **المدرسة الظاهرية الجوانية**. واقفها الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس التركي البندقداري الصالحي النجمي ، توفي سنة ست وسبعين وستمائة ، قال النعيمي: ومن وقف هذه ا لمدرسة الحصص بالقنيطرة ، ثم كفر عاقب والصرمان بكاملها والأشرفية قبلي دمشق ، ونصف قرية الاصطبل بالبقاع ، ونصف الطرة والبستان بالصالحية [٥]، ولم يذكرها ابن شداد كذلك .

٢٨- **المدرسة العادلية الكبرى**. أول من أسسها نور الدين محمود بن زنكي ، وتوفي ولم تتم فاستمرت كذلك ، ثم بنى بعضها الملك العادل سيف الدين ، ثم توفي ولم تتم أيضاً ، فتممها ولده الملك المعظم ، وأوقف عليها الأوقاف التي منها إلى الآن جميع

---

[1] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٢٤٦.

[2] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٤٥ .

[3] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٢٥٤.

[4] المرجع السابق، جزء ١، ص ٢٥٧.

[5] المرجع السابق ، جزء١ ، ص٢٦٣.

قرية الدريج ، وجميع قرية ركيس ، وجميع... قرية ينطا ، والباقي استولى عليه لتقادم العهد بعض أرباب الشوكة بطريق ما ، ودفن فيها والده ونسبها إليه [(١)]، وقد ذكر أبو شامة المقدسي صاحب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أنه كتب كتابه المذكور في هذه المدرسة ، فقال : " وهي المأوى وبها المثوى ، وفيها قدر الله سبحانه وتعالى جمع هذا الكتاب ، فلا أقفر الله ذلك المنزل ولا أقوى آمين "[(٢)] .

٢٩ - **المدرسة العادلية الصغرى.** منشأتها زهرة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين أبي بكر ابن أيوب ، وقد وقفت بابا خاتون على هذه المدرسة أوقافاً وشرطت للمدرسة : مدرساً ومعيداً وإماماً ومؤذناً وبواباً وقيماً وعشرين فقيهاً ، ووقف الجهات المذكورة منها ما هو على مصالح المدرسة ومصارفها ، وبعضها على أقاربها ومعتقيها ، وذلك في مستهل شهر رمضان سنة خمس وخمسين وستمائة [(٣)]، وهذه المدرسة مثال على الوقف المشترك ، الخيري والأهلي.

٣٠ - **المدرسة العذراوية.** بحارة الغرباء ، داخل باب النصر ، على الفريقين الشافعية والحنفية ، أنشأتها الست عذراء بنت صلاح الدين يوسف ، فاتح بيت المقدس ، في شهور سنة ثلاثين وخمسمائة ، ودفنت بها ، وممن درس بها الشيخ عماد الدين عبدالعزيز محمد بن عبدالقادر بن مقلد الأنصاري الدمشقي ، توفي سنة أربع وسبعين وستمائة[(٤)] ، وقد ذكر ابن شداد هذه المدرسة في المدارس المشتركة [(٥)].

٣١ - **المدرسة العزيزية.** أول من أسسها الملك الأفضل ثم أتمها الملك العزيز عثمان، وممن درس بها أبو القاسم جمال الدين عبدالصمد بن محمد الأنصاري العبادي الدمشقي الشهير بابن الحرستاني ، الذي توفي سنة أربع عشروستمائة[(٦)].

---

(1) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٤٠ .

(2) أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. مرجع سابق، جزء ١، ص٢١٤.

(3) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٢٧٨ .

(4) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص١٥٦ .

(5) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٢٨٣.

(6) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٣٩ .

٣٢- **المدرسة العصرونية.** بانيها قاضي القضاة شرف الدين أبو سعيد عبدالله بن محمد بن هبة الله ابن أبي عصرون ، يقول النعيمي : ومن وقف المدرسة عشرة قراريط ونصف قيراط في قرية هريرة ، ومنه ببعلبك مزرعتان معروفتان الآن بدير النيط وقدريهما عشرة قراريط شركة الخانقاه السميساطية ، ومنه مزرعة تعرف بالجلدية نحو أربعة عشر قيراطاً يزرعها أهل الجعيدية ، ومنه في قرية حمارا قيراط ونصف وربع قيراط ، ومنه بالثابتية خارج باب الجابية بدمشق بستان يعرف بالسنبوسكي ، وشرط أن لا يزاد في عدة فقهائها على عشرين فقيهاً على الشافعية وغيرهم ، وأن التدريس لذريته .وممن درس بها ، شرف الدين ابن أبي عصرون ، الذي توفي سنة ثمان وخمسين وستمائة [١].

٣٣- **المدرسة العمادية .** قال ابن شداد : بانيها عماد الدين إسماعيل بن نور الدين، والواقف عليها صلاح الدين[٢]، وخالفه النعيمي في ذلك فقال: إنما بناها نور الدين محمود ابن زنكي الشهيد رحمه الله تعالى برسم خطيب دمشق أبي البركات بن عبد الحارثي ، وهو أول من درس بها[٣].

٣٤- **المدرسة الغزالية.** ذكرها ابن شداد في الزوايا التي بجامع دمشق وقال: منسوبة إلى الشيخ نصر المقدسي ، وتنسب إلى الغزالي لكونه دخل دمشق المحروسة ، وقصد الخانقاه السميساطية ليدخل إليها فمنعه الصوفية من ذلك لقلة معرفتهم به ، فعدل عنها وأقام بهذه الزاوية بالجامع إلى أن عُلم مكانه ، وعرفت منزلته ، فحضر الصوفية بأسرهم إليه واعتذروا له ، وأدخلوه إلى الخانقاه ، فعرفت الزاوية به ؛ وقد وقف السلطان الملك الناصر قرية حزم على هذه الزاوية وعلى من يشتغل بها بالعلوم الشرعية ؛ وممن درس بها سلطان العلماء عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ثم المصري ، الذي توفي سنة ستين وستمائة [٤].

---

[1] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٣٠٢.

[2] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٣٧ .

[3] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٣٠٩.

[4] المرجع السابق ، جزء١ ، ص٣١٣.

٣٥- **المدرسة الفتحية.** قال ابن شداد: أنشأها فتح الدين صاحب بارين نسيب صاحب حماة ، وجعل نظر التدريس فيها إلى القاضي عماد الدين الحرستاني ، ثم مـن بعـده ولده محي الدين ، ثم أخذت منه في سنة تسع وستين وستمائة ، وأعطيت لعلاء الـدين محمد بن عبدالقادر ابن عبدالخالق ابن خليل الأنصاري [١].

٣٦- **المدرسة الفلكية.** أنشأها فلك الدين سليمان أخو الملك العادل سيف الـدين أبـي بكر لأمه ، ووقف عليها قرية الجمان بكاملها ، درس بهـا العلامـة برهـان الـدين المراغي المتوفي سنة إحدى وثمانين وستمائة[٢].

٣٧- **المدرسة القليجية.** بانيها مجاهد الدين ابن قليج محمد بن شمس الدين محمـود ، وهي في موضع يعرف بقصر ابن أبي الحديد ، أول من درس بها القاضي زين الدين ابن اللتي ثم ولده ، ثم من بعده عماد الدين ابن العربـي ، ثـم جمـال الـدين ابـن عبدالكافي[٣].

٣٨- **المدرسة القوصية.** ذكرها ابن شداد في زوايا جامع دمشق وقال : لم يعلم لهـا واقف أما النعيمي فقد ذكر عن جماعة قولهم : إن واقفها جمـال الإسـلام وعرفـت بالقوصي وقال آخرون : إن واقفها مدرسها القوصي وهو الشيخ الأديب الرئيس شهاب الدين أبو المحامد إسماعيل ابن حامد بن عبدالرحمن الأنصاري الخزرجي ، توفي سنة ثلاث وخمسين وستمائة [٤].

٣٩- **المدرسة القيمرية.** منشئها الأمير ناصر الدين الحسين بن علي ، أوقفهـا علـى القاضي شمس الدين على الشهرزوري ، الذي توفي سنة خمس وسبعين وستمائة [٥].

٤٠- **المدرسة الكروسية.** واقفها محمد بن عقيل بن كروس بن جمال الدين محتـسب دمشق ، توفي سنة إحدى وأربعين وستمائة ، ولم يذكرها ابن شداد [٦].

---

(1) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٤٤ .

(2) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٣٢٧.

(3) المرجع السابق ، جزء١ ، ص٣٠٣.

(4) المرجع السابق ، جزء١ ، ص٣٣٣.

(5) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٤٥ .

(6) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٣٣٩.

٤١- المدرسة الكلاسة. عمرها نور الدين الشهيد ، وسميت هذا الاسم لأنهـا كانـت موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع ، وجعلت زيادة لما ضاق الجامع بالنـاس ، ثـم تولى إمامتها في الأيام الصالحية النجمية الشيخ أحمد بن محمد الخلاطي الصوفي ولـم يزل بها إلى أن توفي سنة إحدى وسبعين وستمائة [١].

٤٢- المدرسة المجاهدية الجوانية. بالقرب من باب الخواصين ، واقفها الأمير الكبير مجاهد الدين أبو الفوارس بزان بن يامين بن علي بن محمد الجلالـي الكـردي ومـن وقفها طاحون اللوان بأواخر المزة والديروسة ، وممن درس بها مدة مفتي الإسلام تاج الدين أبو محمد عبدالرحمن ابن الشيخ المقرئ برهان الدين بن ضياء الغزاري الفركاح ، المتوفى سنة تسعين وستمائة [٢].

٤٣- المدرسة المجاهدية البرانية. واقفها الأمير مجاهد الـدين ، واقـف المجاهديـة الجوانية ، قال ابن شداد : الذي تحقق ممن وليها من المدرسين: شمس الدين عبدالكافي ومن بعده تاج الدين أبو بكر الشحرور ، ثم من بعده تاج الدين المراغي من أصـحاب الشيخ البادرائي [٣].

٤٤- المدرسة المسرورية. بباب البريد ، أنشأها الطواشي شـمس الـدين الخـواص مسرور ، وكان من خدام الخلفاء المصريين ، وهو صاحب خان مسرور بالقـاهرة ، وفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة درس بالمسرورية القاضي جلال الـدين القزوينـي ، وحضر أخوه وقاضي القضاة شهاب الدين الخولي والشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان درساً حافلاً [٤].

٤٥- المدرسة الناصرية الجوانية. إنشاء الملك الناصر يوسف بن صلاح يوسف بـن أيوب ، وكانت هذه المدرسة تعرف بدار الزكي المعظم ، وفرغ مـن عمارتهـا فـي أواخر سنة ثلاث وخمسين وستمائة [٥].

---

[1] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء ١، ص ٣٤٠.

[2] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٣٢ .

[3] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٣٤٧.

[4] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص٢٢٥ .

[5] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٤٤ .

٤٦ - **المدرسة المجنونية.** أنشأها شرف الدين بن الزرازي المعروف بالسبع مجانين بعد الثلاثين وستمائة ، وأول من ذكر بها الدرس شيخ يقال له عز الدين أحمد بن محمد بن علي الموصلي ، وتوفي بها ، وذكر بعده جمال الدين أحمد ابن إسماعيل المكاري ، وذكر بعده بدر الدين ، ثم كمال الدين ابن بنت نجم الدين ابن سلار ، وهو مستمر بها إلى آخر سنة أربع وسبعين وستمائة [١].

٤٧ - **المدرسة النجيبية.** ولم يذكرها ابن شداد ، واقفها أقوش بن عبدالله الأمير الكبير جمال الدين النجيبي ، أبو سعيد الصالحي [٢]، ووقف عليها أوقافاً دارة واسعة ، و قد ذكر ابن كثير أنها محل إقماته فقال " وبها إقامتنا جعلها الله داراً تعقبها دار القرار في الفوز العظيم "[٣] .

مدارس الحنفية ومنها:

١ - **المدرسة الإقبالية.** منشئها خواجا إقبال خادم الشهيد نور الدين ، في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة[٤] ، وقد ذكر النعيمي أنه زارها فقال : والذي رأيت مرسوماً بعتبة بابها بعد البسلمة: "وقف هذه المدرسة المباركة الأمير الأجل جمال الدين إقبال عتيق الخاتون الأجلَّة ست الشام ابنة أيوب رحمه الله على الفقهاء من أصحاب الإمام سراج الأمة الشريفة النعمان أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ، وأوقف عليها الثمن من الضيعة المعروفة بالمسوقة ، والثلث من مزرعة الأفتريس والثلث من مزرعة في الحديثة وقيراط من مليحة زرع ، وذلك في الرابع عشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وستمائة ، عظم الله أجره "[٥].

٢ - **المدرسة البدرية.** بانيها الأمير بدر الدين المعروف بلالا ، في سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، ووقفها نصف الحمام بقرية مسنون والبستان بقرب جسر كحيل [٦].

---

[1] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٣٥٧.

[2] المرجع السابق ، جزء١ ، ص٣٥٨.

[3] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص١٢٨ .

[4] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢١٠ .

[5] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٣٦٢.

[6] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٥٥ .

٣ - **المدرسة البلخية.** كانت تعرف قديماً بخربة الكنيسة وتعرف أيـضاً بـدار أبـي الدرداء t ، أنشأها الأمير ككز الدقاقي بعد سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، وممـن درس بها القاضي عزيز الدين أبو عبدالله محمد بن أبي الكرم بـن عبـدالرحمن بـن علوي السنجاري ، إلى أن توفي بها في سنة ست وأربعين وستمائة ، فـي الـسادس والعشرين من شعبان ، وكان له من العمر ست وسبعون سنة [١].

٤ - **المدرسة التاشية.** بانيها الأمير التاشي الدقاقي ، وتعرف بمسجد ألتاشي ، وممـن درس بها فخر الدين موسى الحنفي ، سنة تسع وستين وستمائة[٢].

٥ - **المدرسة الجركسية.** ويقال لها الجهاركسية[٣] ، قال ابن طولـون : قـال شـيخنا قاضي القضاة محب الدين محمد الشهير بابن القصيف: أنه وقف على كتـاب وقفهـا وأنها مختصة بالحنفية وأن واقفها فخر الدين شركس الصلاحي ، المتوفي سنة ثمـان وستمائة ؛ وذكر ابن خلكان في المرآة أن الأمير صارم الدين خلطبا التنيسي – وهـو مملوك شركس – اشترى الكفر بوادي بردى وأوقفها على تربة فخر الدين ، وقبره له قبة عظيمة على الجادة ، ومن وقفها الحصة من قرية (بيت سوى) ومبلغها النصف ، و الثلث و حصة أخرى مبلغها أثنا عشر سهما ، والثلث من المزرعة [٤].

٦ - **المدرسة الجوهرية.** أنشأها الصدر نجم الدين أبو بكر محمد بن عيـاش التميمـي الجوهري ، يقول النعيمي : ورأيت قد رسم على عتبة بابها بعد البسملة "هذه المدرسة المباركة وقف العبد الفقير إلى الله تعالى ، أبو بكر بن محمد بن أبي طاهر بن عيـاش بن أبي المكارم التميمي الجوهري، على مذهب الإمام أبي حنيفة t ، وكان الفراغ من عمارتها والتدريس بها في سنة ست وسبعين وستمائة "[٥] ، أما ابن كثير فقد ذكـر أن افتتاحها كان في سنة ثمانين وستمائة ، توفي واقفها سنة أربع وتسعين وستمائة ودفـن بمدرسته [٦].

---

(1) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٣٦٨.

(2) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢١٤ .

(3) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٣٧٩.

(4) الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص ١٣٥.

(5) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٣٨١.

(6) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص١٨٣ .

٧- **المدرسة الخاتونية البرانية.** مكانها عند موضع يسمى صنعاء الشام المطل على وادي الشقراء ، واقفتها الست خاتون أم شمس الملوك ، أخت الملك دُقاق ، ذكر الصفدي أنها من كبار مدارس الحنفية وأجودها معلوماً [١]، وممن درس بها العلامة جلال الدين أبو محمد عمر بن محمد بن عمر الحنفي الخجندي المتوفي سنة إحدى وتسعين وستمائة [٢].

٨- **المدرسة الخاتونية الجوانية.** بمحلة حجر الذهب ، أنشأتها خاتون بنت معين الدين أنر زوجة الشهيد نور الدين محمود بن زنكي ، تنسب إليها ، وأوقفها سعد الدين أخوها عليها ، ثم من بعدها على عقبها ونسلها ، وماتت ولم تعقب ، وقد بنت للصوفية خانقاه ، وبنت تربة بقاسيون على نهر يزيد ، ووقفت على هذه الأماكن أوقافاً كثيرة ، وممن درس بهذه المدرسة القاضي عز الدين السنجاري المتوفي سنة ست وأربعين وستمائة[٣].

٩- **المدرسة الركنية البرانية.** منشئها الأمير ركن الدين منكورس الفلكي، في سنة نيِّف وعشرين وستمائة[٤] ، قال ابن كثير عنه : بني المدرسة الركنية بسفح قاسيون ، ووقف عليها أوقافاً كثيرة وعمل عندها تربة ، توفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة [٥].

١٠- **المدرسة الريحانية.** جوار المدرسة النورية ، منشئها خواجا ريحان الطواشي خادم نور الدين الشهيد محمود بن زنكي في سنة خمس وستين وخمسمائة ، ووقف عليها أوقافاً معلومة مشهورة[٦] ، يقول النعيمي: ورأيت قد رسم على عتبة بابها بعد البسملة "وقف هذه المدرسة المباركة الأمير جمال الدين ريحان بن عبدالله ، على المتفقهة على مذهب الإمام سراج الأمة أبي حنيفة النعمان بن ثابت **t** ، ووقف عليها جميع البستان الخراجي المعروف بأرض الحواري ، والأرض المعروفة بدف العنب ، والقرماوي بدف القطايع ، والجورتين البرانية والجوانية بأرض الخامس، والنصف

---

[1] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٣٨٤.

[2] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص٢٢٠ .

[3] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٠٥ .

[4] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٣٩٨.

[5] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص٢٣ .

[6] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٠٩ .

والثلث من الريحانية ومن الاصطبل المعروف بعمارية ببستان بقر الــوحش ، وذلــك معروف مشهور ، فمن بدّله الآية ، وذلك في شعبان سنة خمس وسبعين وخمسمائة " ، وممن وليها القاضي محيي الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم الحلبي المعروف بــابن النحاس ، الذي توفي سنة خمس وتسعين وستمائة [١].

١١- **المدرسة الزنجارية.** أُنشئت في سنة ست وعشرين وستمائة ، أنشأها الأمير عز الدين أبو عمر عثمان بن علي الزنجاري ، وكان صاحب اليمن ، وانتقل إلى الشام في زمن الملك العادل سيف الدين أبي بكر [٢].

١٢- **المدرسة السفينية.** يقول ابن شداد: لم يُعلم لها واقف ، و ممن درس بها الشيخ عماد الدين ابن الشمّاع ، وهو شيخ عالم فاضل متعبّد ، ثم ذكر ابــن شــداد أن هــذه المدرسة لا تزال عامرة في زمانه بالعلماء والفقهاء[٣].

١٣- **المدرسة الشبلية البرانية.** بسفح جبل قاسيون ، بانيها الطواشي شــبل الدولــة الحسامي ، في سنة ست وعشرين وستمائة ، وأوقف القناة والمصنع والساباط[٤] ، أما وصف هذه المدرسة فهي تشتمل على حرم بمعزبة جملون بشباك غربي مطــل علــى جنينة لها ، وآخر غربي مطل على الطريق الآخذ إلى الجسر ، وله ثلاثــة أبــواب ، أوسطها الأكبر ، وبصحنها ثلاثة أواوين ، الشرقي والغربي منها بهما عمــودان مــن رخام ، وفي صدر الشمالي باب المدفن للواقف ، وأعلاه وأعلى المدرسة خلاوي، وفي هذا الإيوان باب بيت الخلاء ، ولهذه التربة شباك وباب إلى الطريق ، وقد ذكر محمد دهمان محقق كتاب القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، أن هذه المدرسة لا تــزال بحالة خراب وتحتفظ بشيء من تخطيطها القديم [٥].

---

(1) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٤٠١.

(2) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص٢٣٥ .

(3) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢١٧. .

(4) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٤٠٧.

(5) الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص ١٣١.

١٤- **المدرسة الشبلية الجوانية.** قبالة الأكزية ، أنشأها شبل الدولة كافور المعظمي ، واقف المدرسة التي قبلها ، قال ابن شداد : أول من درس بها تاج الدين عبـــدالرحمن ابن النجاد [١] .

١٥- **المدرسة الصادرية.** بباب البريد ، على باب الجامع الغربي ، أنـــشأها شـــجاع الدولة صادر بن عبدالله ، وهي أول مدرسة أنشئت بدمـــشق، ســـنة إحـــدى وتـــسعين وأربعمائة[٢] ، ثم ذكر ابن شداد عدداً ممن درس بها و منهم الشيخ الإمام العالم عمـــاد الدين محمد بن عبدالكريم ابن عثمان المارداني المعروف بابن الـــشمّاع ، الـــذي بـــدأ تدريسه فيها سنة ثمان وخمسين وستمائة [٣].

١٦- **المدرسة الطرخانية.** أنشأها الجاج ناصر الدولة طرخان ، أُنشئت للشيخ برهان الدين أبي الحسن البلخي في سنة خمس وعشرين وخمسمائة قال ابن شداد : ثم وليهـــا الخطيب شمس الدين الحسين بن العباس بقلعة دمشق ، وهو مستمر بها إلى سنة أربـــع وسبعين وستمائة [٤].

١٧- **المدرسة العزيزية.** جوار المدرسة المعظمية أنشئت في ســـنة خمـــس وثلاثـــين وستمائة ، أنشأها الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل وهو شقيق الملـــك المعظـــم ، توفي سنة ثلاثين وستمائة [٥]، وهي مدرسة معظمة بحرم على معزبة في علو زائـــد ، لها شباكان مطلان إلى القلبة ، وآخر غربي ، وشماليه باب المدرسة البرانـــي يـــصعد إليه على درج ، ولهذا الحرم ثلاثة أبواب ، قدامه بركة ماء يصل إليها الماء من مدار غربي المدرسة المذكورة يفصل بينها المعظمية ، وبها قبرا الواقفين وعدة قبور، وفـــي قبليها شباك مطل على حاكورة [٦].

---

[1] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٠٨ .

[2] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٤١٣.

[3] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ١٩٩ .

[4] المرجع السابق، ص ٢٠١ .

[5] المرجع سابق، ص ٢٢١ .

[6] الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص١٣٣.

١٨- **المدرسة العزية البرانية.** منشئها الأمير عز الدين أستاذ الدار المعظمي ، في سنة ست وعشرين وستمائة (١).

١٩- **المدرسة العزية الجوانية.** تعرف هذه المدرسة بدار ابن منقذ ، منشئها الأمير عز الدين أيبك المعظمي أستاذ دار الملك المعظم ، واقف العزية البرانية ، وممن درس بها القاضي عماد الدين داود بن يحيى بن كامل القرشي البصروي الحنفي ، المتوفي سنة أربع وثمانين وستمائة(٢).

٢٠- **المدرسة العزية الحنفية.** بجامع دمشق قال ابن شداد : واقفها عز الدين أستاذ دار الملك المعظم ، وشرط وقْفِها أنه بنى مدرسة بالقدس الشريف على أنه متى كان القدس بيد المسلمين يكون الوقف على المكان المذكور ، وإن تَعَطَّل القدس كان على مدرسته بالجامع المذكور المعمور ، جوار مشهد علي عليه السلام (٣).

٢١- **المدرسة العلمية.** بانيها الأمير علم الدين سنجر المعظمي ، في شهور سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وأول من درس بها ، صدر الدين علي المعروف بأبي الدلالات العباسي إلى أن توفي (٤)،" وبهذه المدرسة قراء عشرة مرتب لهم خبز " (٥).

٢٢- **المدرسة الفتحية.** منشئها الملك الغالب فتح الدين صاحب بارين نسيب صاحب حماة ، ولها أوقاف بالديار المصرية في سنة ست وعشرين وستمائة (٦).

٢٣- **المدرسة الفرخشاهية.** تعرف بعز الدين فرخشاه ، وافقتها حظ الخير خاتون ابن إبراهيم بن عبدالله والدة عز الدين فرخشاه ، وهي زوجة شاهنشاه ابن أيوب ، أخي صلاح الدين ؛ وذلك في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وممن درس بها عماد الدين عبدالرحيم ابن القاضي عزيز الدين أبو عبدالله محمد بن أبي الكرم الحنفي ، توفي سنة تسع وستين وستمائة (٧).

---

(1) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص ٥٩ .

(2) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢١٥ .

(3) المرجع سابق، ص ٢١٦ .

(4) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٤٢٩ .

(5) الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص ١٣٤.

(6) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص ٤٣٠.

(7) المرجع السابق ، جزء١ ، ص ٤٣١ .

٢٤- **المدرسة القصاعية.** قال ابن شداد : المدرسة الخاتونيـة بالقـصاعين أنـشأتها خطلبش خاتون بنت ككجا ، في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، وممن ولي بهـا تـاج الدين محمد بن وثّاب بن رافع البجيلي ؛ مات فجأة في مساطب الحمام بعـد خروجـه سنة سبع وستين وستمائة [١].

٢٥- **المدرسة القاهرية بالصالحية.** أنشأها الملك القاهر إسحاق ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب أخو الملك المعظم لأبيه في حدود سنة إحدى وثلاثين وسـتمائة ، وهـي شبة قاعة بأربعة أواوين ، أكبرها الذي فيه المحراب ، وله شباكان مطلان على جنينة شمالي نهر يزيد ، وفي شرقيها بقلبة بير ، وقبالته في الغرب بشمال باب الدهليز للباب الخارج ، يقول محقق كتاب القلائد الجوهرية أن هذه المدرسة لا تزال موجودة ، وهي مسكونة من قبل بعض الفقراء [٢].

٢٦- **المدرسة القليجية.** الموصي بوقفها الأمير سيف الدين علي بن قليج النّوري إلى قاضي القضاة صدر الدين ابن سنّي الدولة ، وعمرها بعد وفاة الموصي فـي سـنة خمس وأربعين وستمائة [٣].

٢٧- **المدرسة القميازية.** منشئها صارم الدين قايماز النجمي ، قال ابن شداد: وليهـا مجد الدين الإربلي ، وهو مستمر بها إلى عـصرنا ، وهـو سـنة أربـع وسـبعين وستمائة[٤].

٢٨- **المدرسة المرشدية.** منشئتها بنت الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملـك العادل في سنة أربع وخمسين وستمائة [٥].

٢٩- **المدرسة المعظمية.** أُنشئت في سنة إحدى وعشرين وستمائة ، أنـشأها الملـك المعظم سلطان الشام شرف الدين عيسى ابن العادل الحنفي الفقيه الأديب [٦].

---

[1] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢١٢ .

[2] الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص١٥٥.

[3] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص٥٣ .

[4] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص٢١٢ .

[5] الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص ١٥١.

[6] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٤٤٥ .

٣٠- **المدرسة المعينية.** بحصن الثقفيين ، أنشأها معين الدين أنر ، كان أتابك مجير الدين أبق صاحب دمشق ، في شهور سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، قال ابن شداد : والذي علم من مدرسيها .. بدر الدين مظفر بن رضوان بن أبي الفضل الحنفي ، واستمر بها إلى سنة أربع وأربعين وستمائة [١].

٣١- **المدرسة الماردانية.** أنشأتها عزيزة الدين أخشاو خاتون بنت الملك قطب الدين صاحب ماردين ، وهي زوجة السلطان الملك المعظم في سنة عشر وستمائة ، وأوقفتها سنة أربع وعشرين وستمائة ، قال النعيمي : والذي وجد من وقفها في سنة عشرين وثمانمائة بكشف سيدي محمد بن منجك الناصري بستان جوار الجسر الأبيض ، وبستان آخر جوار المدرسة المذكور ، وعدة حوانيت بالجسر المذكور ، والأحكار جوارها أيضاً[٢].

٣٢- **المدرسة المقدمية الجوانية.** داخل باب الفراديس ، منشئها الأمير شمس الدين محمد بن المقدم في الأيام الصلاحية ، وممن درس بها قاضي القضاة الصدر سليمان بن أبي العز بن وهيب الأذرعي ، توفي في شعبان سبع وسبعين وستمائة [٣].

٣٣- **المدرسة المقدمية البرانية.** بانيها فخر الدين ابن الأمير شمس الدين ابن المقدم[٤]، قال ابن طولون : وقد تطلبت كتاب وقف هذه المدرسة من ناظرها كمال الدين الحريري وقد ثبت أنه من ذرية الواقف ، فسوفَ بي لأنظر اسم الواقف ؛ ثم إن ابن طولون أشار في هامش كتابه إلى أن وقفها كان في سنة ثمانية عشر وستمائة[٥] ؛ قال النعيمي: الوقف عليها بحماه أزوار معروفة ، وعلى التي قبلها المحمدية وجسرين بغوطة دمشق[٦].

٣٤- **المدرسة المطيورية.** بجبل الصالحية من شرقيه ، واقفتها الست فاطمة خاتون بنت السلار ، في سنة تسع وعشرين وستمائة ، قال ابن طولون : وهذه المدرسة

---

(1) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص٢١٠ .

(2) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٤٥٤ .

(3) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص٢١١ .

(4) المرجع السابق، ص ٢٢٦ .

(5) الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص١٤٠.

(6) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٤٦٠ .

المشتراه مشتملة على إيوان لطيف به شباكان من خشب مطلان من جهة القبلة على الطريق ، وغربيها باب المدرسة الخارج وبها بئر ماء في صحن لطيف لها ، والمطيور كان مزرعة ليحيى بن أحمد بن يزيد ابن الحكم ، وهو وقف المدرسة المذكورة [١].

٣٥- **المدرسة بالمقصورة الحنفية.** في جامع دمشق، ذكرها ابن شداد في المدارس المشتركة بين الحنفية والشافعية وممن درس بها العفيف بن الدرجي ، توفي سنة أربع وستين وستمائة [٢].

٣٦-**المدرسة النورية الكبرى.** بخطّ الخوّاصين ، أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر ، في سنة ثلاث وستين وخمسمائة[٣] ، وممن وليها شيخ الإسلام جمال الدين محمود بن أحمد بن عبدالسيد الحصيري المشهور بالدين والعلم ، وليها سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، واستمر بها متولياً إلى أن توفي بها في رابع صفر سنة ست وثلاثين وستمائة [٤].

٣٧- **المدرسة النورية الصغرى.** واقفها الشهيد نور الدين محمود بن زنكي ، قال ابن شداد : تولاها شخص يقال له الشهاب الرومي ، وذكر بها التدريس أياماً قلائل ، ثم نقل إلى الديار المصرية واعتقل بها ، فوليها بعده شمس الدين محمد الأذرعي [٥].

٣٨- **المدرسة اليغمورية الحنفية.** بالصالحية ، يقول النعيمي : لم أقف على ترجمة واقفها[٦] ، ولكن الذهبي قال في كتابه العبر في سنة ثلاث وستين وستمائة، جمال الدين بن يغمور الباروقي ، ولد في الصعيد سنة تسع وتسعين ، وكان من أعيان الأمراء ، ولي نيابة مصر ونيابة دمشق ، توفي في شعبان[٧] ، وقد يكون هو واقفها،

---

[1] الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص١٤٢ .

[2] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٦٤ .

[3] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء ٨ ، ص٤٣٠ .

[4] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص ٤٦٦ .

[5] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢١٨ .

[6] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء١ ، ص٤٩٩ .

[7] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: العبر في خبر من غبر. تحقيق أبوهاجر محمد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، جزء ٣، ص ٣٠٨.

وهذه المدرسة تشتمل على حرم بشباكين مطلين على نهر يزيد وباب يفتح إلى الشمال قدامه ثلاثة قناطر ، بشرقيها وغربيها إيوانان لطيفان ، بالشرقي بئر ماء ينتفع النـــاس به أيام انقطاع الأنهر[(١)].

مدارس المالكية

١ - **الزاوية المالكية بجامع دمـــشق.** واقفها السلطان الملك الناصر صـــلاح الـــدين ، ملاصق المقصورة الحنفية ، وممن درس بها القاضي جمال الدين أبو يعقوب يوســـف بن عبدالسلام بن عمر الزواوي ، توفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة [(٢)].

٢ - **المدرسة الشرابيـــشية.** قال ابن شداد وهي المدرســـة المعروفـــة بنـــور الدولـــة الشرابيشي ، أول من ذكر بها الدرس : تاج الدين عبد الرحمن المعروف بالزواوي[(٣)].

٣ - **المدرسة الـــصلاحية.** أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فاتح بيت المقدس بالقرب من البيمارستان النوري[(٤)] ، وممـــن درس بهـــا القاضـــي الإمام العلامة شيخ القراء زين الدين أبو محمد عبدالسلام بن علي بن عمر الـــزواوي، توفي سنة إحدى وثمانين وستمائة[(٥)].

مدارس الحنابلة

١ - **المدرسة الجوزية.** بسوق القمح ، أنشأها محي الدين ابن الشيخ جمال الدين أبـــي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي بعد الثلاثين – يقصد بعد الثلاثين وستمائة – في أيـــام الملك الصالح عماد الدين إسماعيل [(٦)]؛ وقد ذكر النعيمي عدة فوائد عن هذه المدرســـة

---

(1) الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص ١٣٨ – ١٤٠.

(2) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء٢ ، ص٣ .

(3) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٥٤ .

(4) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص ١٨٨ .

(5) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء ٢ ، ص ٨ .

(6) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٥٦ .

فقال في الثالثة : الذي علم من وقفها نصف دير عصرون ، وقرية عند القصير ، وفدانان بقرية بالا ، وأرض بقرية يلدا[١].

٢ - **المدرسة الحنبلية الشريفية.** عند القباقبية ، أنشأها شرف الإسلام عبدالوهاب ابن الشيخ أبي الفرج الحنبلي عبدالواحد بن محمد الأنصاري الشيرازي ، قال النعيمي: ولا تغتر بقول ابن شداد حيث قال مدرسة سيف الإسلام أخي صلاح الدين يوسف بن أيوب بالقرب من مدرسة الرواحية داخل باب الفراديس، ثم ذكر عدة فوائد وقال في الثالثة: الوقف عليها البستان والحصة في الحولة والأرض في جهة حلبون وعسال ؛ وممن درس بها التاج مظفر بن عبدالكريم بن نجم الحنبلي الدمشقي ، توفي سنة سبع وستين وستمائة [٢].

٣ - **المدرسة الصاحبية.** بسفح قاسيون من الشرق ، إنشاء ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب[٣] ، توفيت سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، ذكر النعيمي عدة فوائد عن هذه المدرسة فقال في الثالثة : الذي علم الآن من وقفها غالب قرية جبة عسال ، والبستان الذي تحت المدرسة والطاحون ، وحاكورة غالب تلك الحارة جوارها [٤].

٤ - **المدرسة الصدرية.** واقفها صدر الدين ابن منجا ، المتوفى سنة سبع وخمسين وستمائة [٥].

٥ - **المدرسة الضيائية المحمدية** .بانيها الشيخ الضياء أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي الحافظ ، المتوفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وقد وقف كتباً كثيرة عظيمة لخزانة المدرسة الضيائية التي وقفها على أصحابهم من أهل الحديث والفقهاء ، وقد وُقِف عليها أوقاف أخرى كثيرة بعد ذلك[٦].

---

(1) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء ٢ ، ص ٤٩ .

(2) المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٥٠ - ٦٢ .

(3) الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص ١٥٦

(4) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء ٢ ، ص ٦٧ .

(5) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص ٩٩ .

(6) المرجع السابق، جزء٩ ، ص ٥٢ .

ذكر النعيمي عنها عدة فوائد ، فقال في الثالثة : الوقف عليها غالب دكــاكين الــسوق الفوقاني ، وحوانيت وجنينة في النيرب وأرض بسقبا ، ويؤخذ لأهلها ثلث قمح ضياع وقف دار الحديث الأشرفية بالجبل الدير والدوير والمنصورة والتليل والشرفية[١].

٦- **المدرسة الضيائية المحاسنية.** قال ابن شداد : مدرسة ضياء الــدين محاســني ، وكان رجلا صالحاً بنى هذه المدرسة ، وجعلها موقوفة على من يكون أمير الحنابلــة يذكر فيها الدرس ، فأول من ذكر بها الدرس الشيخ عز الدين ابن الشيخ التقي ؛ توفي ضياء الدين محاسن سنة ثلاث وأربعين وستمائة [٢].

٧- **المدرسة العمرية الشيخية.** واقفها وبانيها الشيخ أبو عمر المقدسي الزاهد محمــد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن حسن الحنبلي القدوة الزاهــد أخــو العلامــة موفق الدين ، توفي سنة سبع وستمائة[٣]، وقد أفردها ابن طولون فــي كتابــه القلائــد الجوهرية في باب كامل لأنه كما قال يدرس بها للحنابلة والحنفية والــشافعية وذكــر درساً بها للمالكية ، وقد ذكر شيئاً كثيراً وغريباً من أوقافها لا يتسع المجال لذكرها.

ولكنا سنذكر طرفاً مما ذكره النعيمي عن الشيخ جمال الدين بن عبدالهادي فقال: هذه المدرسة عظيمة لم يكن في بلاد الإسلام أعظم منها ، والشيخ بنى فيها المسجد وعشر خلاوي فقط ، وقد زاد الناس فيها ولم يزالوا يوقفون عليها من زمنه إلى اليــوم ، قــل سنة من السنين تمضي إلا ويصير إليها فيها وقف ، فوقفها لا يمكن حــصره ، ومــن جملته : العشر من البقاع ، والمرتب على داريا من القمح ستون غرارة ومن الــدارهم خمسة آلاف للغنم في شهر رمضان، ومما رأيناه وسمعنا به من مصالحها الخبز لكــل واحد من المنزلين فيها رغيفان ، وللشيخ الذي يقري أو يدرس ثلاثة ، وهــو مــستمر طول السنة ، والقمصان في كل سنة لكل منزل فيها قميص وقد رأينــاه ، والــسراويل لكل واحد سروال سمعناه به ولم نره ، وطعام شهر رمــضان بلحــم، وكــان الــشيخ

(1) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء ٢ ، ص ٧١ .

(2) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٥٨ .

(3) المرجع السابق، ص٢٥٩ .

عبدالرحمن ينوع لهم ذلك ، ويوم الجمعة العدس ثم انقطع التنوع واستمرت القمحية وزبيب وقضامة ، ليلة الجمعة يفرق عليهم بعد قراءة ما تيسر رأيناه[١].

قال ابن طولون: ووقفها دكاكين تحت القلعة خارج عنها ، وزبيب في السنة مرة تحت يد ابن عبدالرزاق خارج عن وقف المدرسة أيضاً ، ولها حُصُر لبيوت المجاورين كل سنة وهي مستمرة ، وصابون لهم سمعنا به ولم نره ، وكعك سمعنا به ولم نره ، ومشبك بعسل في ليلة العشرين من رمضان ، وهو مستمر لكنه أُخر إلى ليلة سبع وعشرين منه ، وكنافة ليلة العشر الأول منه وهي مستمرة لكنها أُخرت إلى ليلة النصف منه ، ولها وقف أطباق غسيل لغسيل الفقراء ، ودسوت لطبخهم ، ودسوت كبار في المطبخ للطعام العام ، ومسقاة في قطع النهر لها أباريق للوضوء ، وسخانة يسخن فيها الماء سائر الشتاء والبرد لغسل من احتلم ، ولم يزل أهل الخير والأكابر والأمراء والتجار يتفقدون أهلها بالمآثر ؛ ثم ذكر أن قراءة القرآن مستمرة بهذه المدرسة ليلاً ونهاراً [٢].

٨- **المدرسة المسمارية.** بالقرب من مئذنة فيروز واقفها الشيخ مسمار رحمه الله تعالى و هو الحسن ابن مسمار الهلالي الحوراني المقرئ التاجر ، وقد بناها من أجل الشيخ الوجيه بن المنجا أسعد بن المنجا ابن بركات بن المؤمل ، المتوفى سنة ست وستمائة[٣] ، قال النعيمي: الوقف عليها الحكر المعروف بها ، وحدّه من طريق جامع دنكز إلى مقابر الصوفية إلى الطريق الذي به القنوات إلى الطريق الآخذ على مدرسة شاذبك ، وحكر الزقاق وهو المعروف بالساقية بأرض مسجد القصب [٤].

---

(1) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء ٢ ، ص ٧٧ .

(2) الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية. مرجع سابق ،جزء ١، ص ١٦٥ – ١٨٣.

(3) ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص٢٥٦ .

(4) النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء ٢ ، ص ٨٩ .

٩ - **المدرسة المنجائية.** وهي زاوية بالجامع الأموي تعرف بابن منجا[١] ، قال ابن شداد : أول من ذكر بها الدرس زين الدين ابن منجا ، ثم من بعده شمس الدين عبدالوهاب ، وهو مستمر بها إلى حين وضعنا هذا الكتاب ؛ ومعلوم أن ابن شداد وضع كتابه الأعلاق في سنة أربع وسبعين وستمائة ، كما ذكر هو [٢].

فهذه عدة مدارس دمشق ١١٣ مدرسةً ، على اختلاف أنواعها ، ذكرتُ ما كان قائماً منها في القرن السابع الهجري بغض النظر عن وقت إنشائها ، وإن كان كثيرٌ منها أُنشأ في القرن السابع الهجري ، وفي كثرة مدارس دمشق دلالة واضحة على أنها كانت مركز إشعاع علمي كبير أخرج لنا أجيالاً من العلماء الدمشقيين الأفذاذ .

ثانياً : مدارس مصر :-

١ - **المدرسة الناصرية.** أنشأها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في أول المحرم سنة ست وستين وخمسمائة أنشأها مدرسة برسم الفقهاء **الشافعية** ، ولما كملت وقف عليها الصاغة وكانت بجوراها ، وممن درس بها الشريف القاضي شمس الدين أبو عبدالله محمد بن الحسين بن محمد الحنفي قاضي العسكر الأرموي ، فعرفت به ، وقيل لها المدرسة الشريفية من عهده إلى اليوم – أي عهد المقريزي المتوفى سنة خمس وأربعين وثمانمائة – ولولا ما يتناوله الفقهاء من المعلوم بها لخربت ، فإن الكيمان ملاصقة لها بعدما كان حولها أعمر موضع في الدنيا [٣].

٢ - **المدرسة القمحية.** أنشأها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وجعلها للفقهاء **المالكية** ، ووقف عليها قيسارية الورّاقين ، وعلوها بمصر ، وضيعة بالفيوم تعرف بالحنبوشية ورتب فيها أربعة من المدرسين عند كل مدرّس عدة من الطلبة وهذه المدرسة أجل مدرسة للفقهاء المالكية ، ويتحصل لهم من ضيعتهم التي بالفيوم قمح

---

[1] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء ٢ ، ص ٩٤ .

[2] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٥٦ .

[3] المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق، جزء ٤، ص ١٩٣.

يفرق فيهم، فلذلك صارت لا تعرف إلا بالمدرسة القمحية إلى اليوم ، وقد أحاط بها الخراب ، ولولا ما يتحمل منها للفقهاء لدثرت[١] .

٣- **مدرسة منازل العز.** وقفها على الفقهاء **الشافعية** ، الملك المظفر تقي الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه ، وهو ابن أخي صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ووقف عليها الحمام وما حولها ، وعمر الأصطبل فندقاً عرف بفندق النخلة ووقفه عليها ، ووقف عليها الروضة – يقول المقريزي - وهي الآن عامرة بعمارة ما حولها[٢].

٤- **مدرسة العادل.** عمرها الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، يقول المقريزي: درس بها قاضي القضاة تقي الدين أبو علي الحسين بن شرف الدين أبي الفضل عبدالرحيم بن محمد بن شاس ، فعرفت به ، وقيل لها مدرسة ابن شاس إلى اليوم ، وهي عامرة ، وعرف خطها بالقشاشين وهي **للمالكية**[٣].

٥- **مدرسة ابن رشيق.** هذه المدرسة **للمالكية** ، وهي بخط حمام الريش من مدينة مصر ، كان الكاتم من طوائف التكرور لما وصلوا إلى مصر سنة بضع وأربعين وستمائة ، قاصدين الحج ، دفعوا للقاضي علم الدين بن رشيق مالاً بناها به ، ودرس بها فعرفت به ، وصار لها في بلاد التكرور سمعة عظيمة ، وكانوا يبعثون إليها في غالب السنين المال[٤].

٦- **المدرسة الفائزية.** أنشأها الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهيب الفائزي ، في سنة ست وثلاثين وستمائة ، وهي **للشافعية** [٥].

٧- **المدرسة السيوفية.** أنشأها السلطان صلاح الدين ، يقول المقريزي : كتاب وقفها موجود ،وقد وقفت عليه ولخصتُ منه ما ذكرته ، وفيه أن واقفها السلطان صلاح الدين وخطهُ على كتاب الوقف ونصه : الحمد لله وبه توفيقي ، وتاريخ هذا الكتاب

---

[1] المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق، جزء ٤ ، ص ١٩٣ – ١٩٤.

[2] المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٩٤.

[3] المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٩٥.

[4] المرجع السابق، جزء ٤، ص ١٩٥.

[5] المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٩٦.

تاسع عشر شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، ووقف على مستحقيها اثنين وثلاثين حانوتاً بخط سويقة أمير الجيوش وباب الفتوح وحارة برجوان ، وهذه المدرسة هي أول مدرسة وقفت على **الحنفية** بديار مصر ، وهي باقية بأيديهم [١].

٨ -**المدرسة الفاضلة.** بناها القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البيسانيّ ، بجوار داره، في سنة ثمانين وخمسمائة ، ووقفها على طائفتي الفقهاء **الشافعية والمالكية** ، ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم ، يقال أنها كانت مائة ألف مجلد ، وذهبت كلها ، وكان أصل ذاهبها أن الطلبة التي كانت بها ، لما وقع الغلاء بمصر في سنة أربع وتسعين وستمائة ، مسهم الضُر ، فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبر ، حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب[٢].

٩ - **المدرسة الأزكشية.** بناها الأمير سيف الدين أياز كوج الأسديّ ، مملوك أسد الدين شيركوه ، وجعلها وقفاً على الفقهاء من **الحنفية** فقط في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، وتوفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة[٣].

١٠ - **المدرسة الفخرية.** عمرها الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البارومىّ ، أستادار الملك الكامل محمد بن العادل ، وكان الفراغ منها في سنة اثنتين وعشرين وستمائة [٤].

١١ - **المدرسة القطبية.** عرفت بالست الجليلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون ، المعروفة بدار إقبال العلائي ، ابنه الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وشقيقة الملك الأفضل قطب الدين أحمد ، وإليه نسبت ، توفيت سنة ثلاث وتسعين وستمائة ؛ وأوصت ببناء مدرسة يجعل فيها فقهاء وقراء ، ويشتري لها وقف يُغل ، فبنيت هذه المدرسة ، وجعل فيها درس **للشافعية** ودرس **للحنفية** ، وقراء ، وهي إلى اليوم عامرة

---

[1] المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق، جزء ٤ ، ص ١٩٦.

[2] المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٩٧.

[3] المرجع السابق، جزء ٤، ص ١٩٩.

[4] المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٩٩.

– كما يقول المقريزي - [1]، وقد كرر المقريزي اسم هذه المدرسة بعد أن ذكر عدة مدارس ، فقال : المدرسة القطبية ، بأول حارة زويلة مما يلي الخرنشف في رحبة كوكاي ،فذكر نفس المكان ونفس الواقفة ، ثم قال : وكان وقفها في سنة خمس وستمائة ، وهذا عجيب فإن مؤنسة خاتون ولدت في سنة ثلاث وستمائة ،وقد ذكر ذلك ابن كثير ، فلذلك لن نكررها لاحقاً .

١٢ - **المدرسة الفارقانية.** فتحت يوم الاثنين رابع جمادى الأولى سنة ست وسبعين وستمائة ، وبها درس للطائفة **الشافعية** ، ودرس للطائفة **الحنفية** ، أنشأها الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقانيّ السلاحدار[2].

١٣ - **المدرسة الصاحبية البهائية.** أنشأها الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا في سنة أربع وخمسين وستمائة ، وقد كان لها خزانة كتب جليلة فنقلها شمس الدين محمد بن الصاحب وصارت تحت يده إلى أن مات ، فتفرقت في أيدي الناس ، وكانت من أجّل مدارس الدنيا وأعظم مدرسة بمصر ، يتنافس الناس من طلبة العلم في النزول بها ويتشاحنون في سكنى بيوتها ، حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة ، ثم تلاشى أمرها حتى هدمت و سيجهل عن قريب موضعها ، ولله عاقبة الأمور ؛ وكان المقريزي قبل هذا قد ذكر أن بعض نواب القضاة وضع يده على ما بقي لها من وقف [3].

١٤ - **المدرسة الصاحبية.** أنشأها الصاحب صفيّ الدين عبدالله بن علي بن شكر ، وجعلها وقفاً على **المالكية** ، وبها درس نحو وخزانة كتب ، وما زالت بيد أولاده ، توفي ابن شكر هذا في سنة اثنتين وعشرين وستمائة [4].

١٥ - **المدرسة الشريفية.** وقفها الأمير الكبير الشريف فخر الدين أبو نصر إسماعيل بن حصن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب ، ينتهي نسبه إلى جعفر بن أبي طالب

---

[1] المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق، جزء ٤ ، ص ٢٠٠ .

[2] المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٠١ .

[3] المرجع السابق ، جزء ٤، ص ٢٠٣.

[4] المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٠٥ .

t ، وتمت في سنة اثنتي عشرة وستمائة ووقف عليها أملاكه وهي من مدارس الفقهاء **الشافعية**[١].

١٦- **المدرسة الصالحية.** هذه المدرسة بخط بين القصرين[٢] من القاهرة ، كان موضعها من جملة القصر الكبير الشرقي ، فبنى فيه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب هذه المدرسة ، ورتب فيها دروساً أربعة للفقهاء المنتمين إلى **المذاهب الأربعة** في سنة إحدى وأربعين وستمائة ، وهو أول من عمل بمصر دروساً أربعة في مكان ، ثم إن الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس ، وقف الصاغة التي تجاهها ، وأماكن بالقاهرة وبمدينة المحلة الغربية وقطع أراضي جزائر بالأعمال الجيزية والأطفيحية على مدرسين أربعة ، عند كل مدرس معيدان وعدّة طلبة ، وما يحتاج إليه من أئمة ومؤذنين وقومة وغير ذلك وثبت وقف ذلك في سنة سبع وسبعين وستمائة ، وهي جارية في وقفها إلى اليوم – ويقصد المقريزي زمانه _ [٣].

١٧- **المدرسة الكاملية.** وتعرف بدار الحديث الكاملية ، أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي بن مروان في سنة اثنتين وعشرين وستمائة [٤]، وهي ثاني دار عملت للحديث – فإن الأولى هي التي عملت بدمشق على يد نور الدين زنكي – ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي ، ثم من بعدهم على الفقهاء **الشافعية** ، ووقف عليها الربع الذي بجوارها على باب الخرنشف ويمتد إلى الدرب المقابل للجامع الأقمر [٥].

١٨- **المدرسة المنصورية.** أنشأها هي والقبة التي تجاهها والمارستان ، الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي ، على يد الأمير علم ا لدين سنجر الشجاعي ورتب بها دروساً أربعة لطوائف **الفقهاء الأربعة**[٦] ، ودرساً للطب ، ورتب بالقبة درساً

---

[1] المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق، جزء ٤ ، ص ٢٠٨ .

[2] السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص ٢٠٢.

[3] المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار.مرجع سابق، جزء ٤، ص ٢٠٩.

[4] المرجع السابق ، جزء ٤، ص ٢١١.

[5] السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص ٢٠٢.

[6] المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق ، جزء ٤، ص ٢١٨ .

للحديث النبوي ، ودرساً لتفسير القرآن الكريم ، وميعاداً ، وكانت هــذه التــداريس لا يليها إلا أجل الفقهاء المعتبرين ؛ وقد كان الشروع في ذلــك ســنة ثــلاث وثمــانين وستمائة[١].

١٩- **المدرسة الحسامية.** بناها الأمير حسام الدين طرنطــاي المنــصوري ، نائــب السلطنة بديار مصر ، وجعلها برسم الفقهاء **الشافعية** ، يقول المقريزي : وهــي فــي وقتنا هذا تجاه سوق الرقيق ، توفي طرنطاي سنة تسع وثمانين وستمائة [٢].

٢٠- **المدرسة المنكوتمرية.** بناها بجوار داره الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي ، نائب السلطنة بمصر فكمُلت في صفر سنة ثمان وتسعين وستمائة ، وعمل بها درســاً **للمالكية** ودرساً **للحنفية** ، وجعل فيها خزانة كتب وجعل عليها وقفاً ببلاد الشام ،يقــول المقريزي: وهي اليوم بيد قضاة الحنفية يتولون نظرها [٣].

٢١- **المدرسة الغزنوية.** بناها الأمير حسام الدين قايماز النجمي ، مملوك نجم الــدين أيوب ، وأقام بها الشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن يوسف الغزنــوي البغــدادي توفي بالقاهرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة وهي من مدارس **الحنفية**[٤] .

٢٢- **مدرسة تربة أمّ الصالح.** هذه المدرسة بجوار المدرسة الأشرفية ، أنشأها الملك المنصور قلاوون ، على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعي في سنة اثنتين وثمــانين وستمائة ، برسم أم الملك الصالح علاء الدين علي بن الملك المنصور قلاوون ، ورتب لها وقفاً حسناً على قراء وفقهاء ، وغير ذلك ، وكانت وفاتها في سادس عشر شــوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة [٥].

٢٣- **المدرسة الطفجية.** أنشأها الأمير سيف الدين طفجي الأشرفي ، ولها وقف جيد ، توفي طفجي سنة ثمان وتسعين وستمائة [٦].

---

[1] السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص ٢٠٣ .

[2] المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق، جزء ٤، ص ٢٢٨ .

[3] المرجع السابق، جزء ٤ ، ص ٢٣٠ .

[4] المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٣٥ .

[5] المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٤١ .

[6] المرجع السابق ، جزء ٤، ص ٢٤٦.

٢٤- **المدرسة المجدية الخليلية.** عمرها الشيخ الإمام مجد الدين أبو محمد عبدالعزيز الحسين الخليلي الداري ، فتمت في شهر ذي الحجة سنة ثـلاث وسـتين وسـتمائة ، وقرر فيها مدرسا **شافعياً** ومعيدين وعشرين نفراً طلبة ، وإماماً راتباً ، ومؤذناً وقيمـاً لكنسها وفرشها ووقود مصابيحها ، وإدارة ساقيتها ، وأجرى المـاء إلـى فـسيقتها ، ووقف عليها غيطاً بناحية بارنبار من أعمال المزاحميتين ، وبستاناً بمحلة الأمير مـن المزاحميتين بالغربية ، وغيطاً بناحية نطوبس ، وربع غيط بظاهر ثغر رشيد ، وبستاناً ونصف بستان بناحية بلقس ، ورباعاً بمدينة مصر[١].

٢٥- **المدرسة الناصرية بالقرافة.** ذكرها الإمام السيوطي ولكنـه سـماها المدرسـة الصلاحية وقال : ينبغي أن يقال لها : تاج المدارس ، وهي أعظم مدارس الدنيا علـى الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعي[٢].

يقول المقريزي : أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ورتب بها مدرساً يدرس الفقه على مذهب **الشافعي** ، وجعل له في كل شهر من المعلوم عـن التدريس أربعين ديناراً ، معاملة صرف كل دينار ثلاثة عشر درهما وثلث الـدرهم ، وعن معلوم النظر في أوقاف المدرسة عشرة دنانير ، ورتب له من الخبز في كل يوم ستين رطلاً بالمصري وراويتين من ماء النيل ، وجعل فيها معيـدين وعـدة طلبـة ، ووقف عليها حماماً بجوارها ، وفرنا تجاهها ، وحوانيت بظاهرها ، والجزيـرة التـي يقال لها جزيرة الفيل ، فلما كانت سنة ثمان وسبعين وستمائة ، ولي تدريسها قاضـي القاضي تقي الدين محمد بن رزين الحموي بعد عزله من وظيفة القضاء وقـرر لـه نصف المعلوم [٣].

فهذه عدة مدارس مصر القائمة في القرن السابع الهجري وهي ٢٥ مدرسة ، حسب ما ورد في كتاب المواعظ والاعتبار للمقريزي وكتاب حسن المحاضرة للسيوطي ، غير

---

[1] المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. مرجع سابق، جزء ٤ ، ص ٢٥٠.

[2] السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن : حسن المحاضرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص ١٩٩ .

[3] المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. جزء ٤، ص ٢٥١.

أن ابن بطوطة عندما زار مصر في القرن الثامن الهجـري ، قـال عنهـا ، "وأمـا المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرها "[١].

ثالثاً : مدارس اليمن :

بدأ ظهور المدارس في اليمن " في النصف الأول من القرن السادس الهجري بمدارس غير نظامية ، ثم بدأ ظهور المدارس النظامية في النصف الثاني من القرن نفسه ، ثـم زاد انتشارها في اليمن خلال العصر الأيوبي ... إلا أنها لم تكن بالكثرة التي أصبحت عليها في عصر بني رسول "[٢] ،فاليمن كانت خلال القرن السابع الهجري تحت الحكم الأيوبي في الربع الأول منه ، ثم انتقلت السلطة إلى يد الرسوليين حتى ما بعد القـرن السابع الهجري ، الذين بدورهم قاموا بتأسيس العديد من المـدارس " وكـان للقـرن السابع الهجري النصيب الأوفر من هذه المدارس ، حيث تجاوزت فيه مساهمة فئـات المجتمع من غير حكام بني رسول الخمسين مدرسة ، كان للحاشية من النساء و الخدم الجزء الأكبر منها ، فبلغ ما أسسته هذه الفئة في هذا القرن حوالي ثلاثين مدرسة "[٣].

يقول أحد الباحثين " ومما يلفت الانتباه حقاً ، في هذه الظاهرة – يقـصد ظهـور المدارس في اليمن – تفاوتها من قرن لآخر في فترة حكم الدولة الرسـولية للـيمن ، إضافة لمشاركة معظم شخصيات المجتمع في هذه الناحيـة ، وكـان للقـرن الـسابع الهجري النصيب الأوفر من هذه المدارس"[٤].

ولم تقتصر هذه الظاهرة على اليمن ، بل إن هذه الثورة عمـت حواضـر العـالم الإسلامي في القرن السابع الهجري ، في الشام واليمن ومصر وبغداد ومكـة وحلـب والقدس وغيرها ، والسبب شعور الحكام المماليك ومن سـبقهم مـن الأيـوبيين بـأن

---

[1] ابن بطوطة ، محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي الطنجي : تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٣٠هـ ، جزء ١، ص ٣٩.

[2] السنيدي ، عبدالعزيز بن راشد : المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية . مرجع سابق ، ص ٧ .

[3] المرجع السابق ، ص ٥٥ .

[4] المرجع السابق ، ص ٥٥ .

المدارس هي النظام الأمثل لنشر العلم ، الذي يعتبر قربة عظيمة عند الله جل وعــلا ، كذلك انتشار ثقافة الوقف بين كافة أفراد المجتمع خاصة الطبقة العليــا مــن الأمــراء والوزراء والعلماء و التجار وكل ذي جاه .

وهناك من يقول بأن أهدافاً سياسية وراء نشوء بعض المدارس منها تثبيت الحكم ، وإظهار قوة السلطان بفخامة البنيان ، أو نشر مذهب على حساب آخر ، ومهما تكــن الأسباب فإن انتشار المدارس وكثرتها دليل وعي وحضارة وصل إليها القوم في ذلك الزمن .

وفيما يلي ذكرٌ لأهم **مدارس اليمن** في القرن السابع الهجري :

١ - **المدرسة السيفية.** أسسها الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب، ونقل إليهــا رفات والده ، وقد وقف المعز على تربة أبيه وادي الضباب ، وجعل عليها سبعة مــن القراء يدرسون له ، يقول الأكوع: وهذه المدرسة من أطول المدارس عمــراً ، درس بها الفقيه محمد بن أبي بكر بن الحسين بن عمر بن طولون ، المتــوفى ســنة تــسع وخمسين وثمانمائة [١].

٢ - **مدرسة المسانيف.** ابتناها فاتن بن عبدالله المُعِّزي ، وممن درس بها أبــو محمــد عبيد بن أحمد بن مسعود الترخمي ، المتوفى سنة أربع وتسعين وستمائة [٢].

٣ - **المدرسة الأتابكية.** في قرية ذي هُزَيْم [٣]، ابتناها الأمير سيف الدين الأتابك سنقر بن عبدالله الأيوبي ، أحد مماليك طغتكين بن أيوب ، توفي سنة ثمان و ستمائة ، وقــد دفن فيها السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول – مؤسس الدولة الرسولية – سنة سبع وأربعين وستمائة [٤].

---

[1] الأكوع ، القاضي إسماعيل بن علي : المدارس الإسلامية في الــيمن . ط٢، مؤســسة الرســالة ، بيــروت ، ١٤٠٦هـــ ، ص ١٢ .

[2] المرجع السابق ، ص ١٦ .

[3] المرجع سابق ، ص ١٨.

[4] الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ، جزء ١، ص ١٢٣.

٤ - **المدرسة العاصـمية.** في زبيد ، بناها الأمير سيف الدين الأتابك سـنقر ، للفقيـه العلامة أبو الخطاب عمر بن عاصم بن عيسى البعلي(١) ، قال الخزرجـي : وأظـن المدرسة العاصمية إنما نسبت إليه ، وهي **الشافعية** ، توفي الفقيه عمر بن عاصم سنة أربع وثمانين وستمائة ، وبعد وفاته تولى التدريس بعده في هـذه المدرسـة الفقيهـة الفاضل محمد بن علي بن عمر الشرعبي ، المعروف بابن المسود الجبلي ، المتـوفى سنة سبع وثمانين وستمائة (٢).

٥ - **المدرسة المجيرية.** في تعز ، ابتناها مجير الدين كافور التقوي ، وهو أحد خـدام سيف الإسلام الملك العزيز طغتكين بن أيوب ، يقول الخزرجي " وهو الـذي ابتنـى المدرسة المعروفة بالمجيرية في مدينة تعز "(٣).

٦ - **المدرسة المنصورية.** في الجَند ، بناها السلطان الملك المنصور نور الدين عمـر بن علي بن رسول ورتب فيها مدرساً ومعيداً ودرسة وإماماً ومؤذناً ومعلمـاً وأيتامـاً يتعلمون القرآن ووقف عليها وعلى سائر مدارسة الأخرى أوقافاً بعيدة تحملهم وتقـوم بكفايتهم جميعاً.

قال الخزرجي في سنة أربعين وستمائة : وفيها توفي الفقيه أبو سعيد محمد بن أحمـد بن مقبل الذي كان فقيهاً فاضلاً تفقه بأبيه ، وهو أحد مدرسي المدرسـة المنـصورية بالجند (٤).

٧ - **المدرسة المنصورية.** في حد المنسكية . بناها السلطان نور الدين عمر بن علـي بن رسول ، قال الخزرجي في ترجمته للسلطان نور الدين: وابتني مدرسة فـي حـد المنسكية من وادي سهام ، ورتب في كل مدرسة مدرساً ومعيـداً ، ودرسـة وإمامـاً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ، ووقف على الجميع أوقافاً جيدة تحملهم وتقـوم بكفايتهم جميعاً (٥).

---

(1) الأكوع ، القاضي إسماعيل بن علي : المدارس الإسلامية في اليمن . مرجع سابق ،ص ٢٨.

(2) الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ، جزء ١، ص ٢٩١ – ٣٠١.

(3) المرجع السابق ، جزء ١، ص١١٣.

(4) المرجع السابق ، جزء ١، ص ١٠٩.

(5) المرجع سابق ، جزء ١، ص ١٢٣.

٨- **المدرسة الوزيرية.** بدرجة المغربة بناها الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ، قال الخزرجي : وابتنى في مدينة تعز مدرستين تعرف إحداهما : بالوزيرية ، نسبة إلى مدرسها الوزيري ، وهو العلامة أبو العباس أحمد بن عبدالله بن أسعد بن إبراهيم الوزيري بلداً الأنصاري نسباً ، وإنما سميت به لطول إقامته في تدريسها ، توفي سنة اثنتين وستين وستمائة [١] ، وممن درس بها الإمام العلامة أبو عبدالله محمد بن مضمون بن أبي عمران الذي توفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وممن درس بها الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن الفقيه إبراهيم بن أحمد الوزيري ، ابن عم الوزيري السابق ، توفي سنة إحدى وستين وستمائة ، ودرس بها كذلك الفقيه النبيه أبو العتيق أبو بكر بن محمد بن سعيد بن علي الحفصي ، ثم الأزدي ، توفي سنة تسع وثمانين وستمائة [٢].

٩- **المدرسة الغرابية.** بناها في تعز الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ، وسميت بذلك نسبة إلى مؤذنها ، وكان رجلاً صالحاً اسمه غراب كان مؤذناً فيها ، وممن درس بها الفقيه الفاضل أبو زكريا يحيى بن زكريا بن محمد بن أسعد بن عبدالله بن الكلالي ثم الحميري توفي سنة ثمان وستين وستمائة [٣].

١٠- **المدرسة المنصورية العليا.** بناها السلطان الملك المنصور عمر بن علي بن رسول لأصحاب الإمام **الشافعي** ، قال الخزرجي : وابتنى في زبيد ثلاث مدارس ، يعرفن بالمنصوريات ، مدرسة الشافعية ، ومدرسة الحنفية ، ومدرسة الحديث النبوي[٤].

١١- **المدرسة المنصورية السفلى.** بانيها السلطان الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ، وهي لأصحاب الإمام أبي **حنيفة**[٥].

---

[1] الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ، جزء ١، ص ١٢٣.
[2] الأكوع ، القاضي إسماعيل بن علي : المدارس الإسلامية في اليمن . مرجع سابق ،ص ٤٦.
[3] الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ، جزء ١، ص ٢١٩.
[4] المرجع سابق ، جزء ١، ص ١٢٣.
[5] المرجع سابق ، جزء ١، ص ١٢٣.

١٢- **المدرسة المنصورية في عدن.** ابتناها السلطان الملك المنصور عمر بن علـــي بن رسول ، ووقف لها أوقافاً كثيرة في لجح وعدن ، وهي قسمين ، أحدهما للتـــدريس الفقه **الشافعي** والآخر لتدريس الفقه **الحنفي**[١].

١٣- **المدرسة العومانية.** ابتنها الحرة لؤلؤة زوج الأمير علي بن رسول ، وكانت من عنس ، وممن درس بها الفقيه الفاضل يحيى بن سالم بن سليمان بن الفضل الشهابي ، توفي غيظاً في هذه المدرسة سنة سبعين وستمائة ، لأن الـــسلطان صـــادر أموالـــه ، ودرس بها كذلك الفقيه الفاضل أبو عبدالله الحسين بن علي بن عمر بن محمد بن أبـــي القاسم ، المتوفى سنة ثمانين وستمائة [٢].

١٤- **المدرسة النجمية.** في ذي جبلة ، كانت في الأصل داراً لأبي الحسن علي بـــن محمد المعروف بابن المعلم ، فاشترته منه خاتون الملقبة (الدار النجمي) ابنة علـــى ابن رسول ، وهي أخت الملك المنصور عمر بن رسول ، وسمتها باسم زوجها الأمير نجم الدين بن أبي بكر بن زكريا؛ وممن درس بها الفقيه الصالح عثمان بن محمد بـــن علي الحساني ثم الحميري ، وكان يعرف بابن جعام ، تـــوفي ســـنة اثنتـــين وثمـــانين وستمائة ، ودرَّس فيها كذلك الفقيه الصالح الإمام أبو محمد عبدالله بن عمر بن مـــسلم الفائشي ، الذي توفي فيها سنة خمس وتسعين وستمائة[٣].

١٥- **المدرسة الشرفية.** في ذي جبلة، بنتاها الدار النجمي بنت علي بـــن رســـول ، ونسبتها إلى أخيها الأمير شرف الدين موسى بن علي بن رسول المتوفى في مـــصر[٤] ، يقول الأكوع : وهي ما تزال عامرة إلى اليوم ، درس بها الفقيه يحيى بن عثمان بن يحيى بن فضل ، وكان يطلع بلده في كل سنة ، يقف فيها شهرين أيام انتقال الغلة ، ثم يرجع إلى جبلة ، وقد اجتمعت غلة المدرسة المذكورة فيصرف له الناظر نفقتـــه فـــي السنة ، فيرد منها نفقة شهرين لأجل غيبته عن المدرسة ، فقيل له يوماً : إن المدرسين قبلك كانوا يغيبون أكثر مما تغيب أنت ، ويأخذون نفقة السنة كلهـــا ، فقـــال { @‰ žv

---

[١] السنيدي، عبدالعزيز بن راشد :المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية. مرجع سابق ، ص ٨٠.

[٢] الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ، جزء ١، ص ٢٢٦.

[٣] المرجع السابق ، جزء ١، ص ٣٤٨.

[٤] المرجع سابق ، جزء ١، ص ١٩١.

qèó ê šc $Bã & $YB•ô_ çŸr ó« @ $Bã ? bqèJè ÇÎÈ [(١)]، توفي رحمه الله سنة ثمـــان وسبعين وستمائة ، ودرس بها كذلك الفقيه الصالح عثمان بن محمد بن علي الحساني ، ثم الحميري ، وكان يعرف بابن جعام ، توفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة [(٢)].

١٦- **المدرسة الزاتية.** في ذي جبلة، ابتنتها زات دارها ، إحـــدى وصـــيفات الـــدار النجمي ، فسميت الزاتية نسبة إليها ، وعليها وقف جامل؛ ذكر الخزرجي أنه درس بها فقيه من أهل المشرق يقال له : الخضر ، كما درس بها الفقيه النبيه أبو العتيق أبو بكر بن محمد بن سعيد بن علي الحفصي ، ثـــم الأزدي المتـــوفى ســـنة تـــسع وثمـــانين وستمائة[(٣)].

١٧- **المدرسة الشقيرية.** في مدينة الجند، ابتنتها امرأة كانت ماشطة الحرة بنت جوزة ابنة الأتابك سنقر ، زوج الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ، درَّس بها الفقيـــه الصالح أبو الحسن علي بن سيرين إسماعيل بن الحسن الواسطي ، توفي ســـنة أربـــع وستين وستمائة [(٤)].

١٨- **المدرسة السيفية الكبرى.** في زبيد ، وتسمى أيضاً أم السلطان ، قال الأكـــوع : ربما تكون نسبتها إلى أم السلطان المظفر ، ولا يعرف الباني لها . درس بها محمد بن عمر بن أبي بكر المتوفى سنة أربع وستين وستمائة [(٥)].

١٩- **المدرسة النظامية.** في ذي هزيم ، بناها الطواشي نظام الدين مختص المظفري ، قال الخزرجي في ترجمته : " وابتنى عدة مدارس وآثاره باقية إلى عصرنا هذا ، و من مآثره المدرسة النظامية في زبيد ، ثم المسجد المعروف بمسجد السابق النظـــامي ، نسبة إلى عبدٍ له ، ثم مدرسة بذي هزيم ناحية من نواحي تعز ، وله مدرسة فـــي ذي جبلة ، وأخرى في موضع تعرف بالوحص "[(٦)]، توفي سنة ست وستين وستمائة، كمـــا درَّس بها الفقيه الصالح أبو الخطاب عمر بن مسعود بن محمد بن ســـالم الحميـــري ،

---

(1) سورة سبأ : آية ٢٥ .

(2) الأكوع ، القاضي إسماعيل بن علي : المدارس الإسلامية في اليمن . مرجع سابق ،ص ٧٢.

(3) الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ، جزء ١، ص ٩٩.

(4) المرجع السابق ، جزء ١، ص ٢٠١.

(5) الأكوع ، القاضي إسماعيل بن علي : المدارس الإسلامية في اليمن . مرجع سابق ،ص٨٥.

(6) الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ، جزء ١، ص ٢١٤.

توفي سنة ثمان وخمسين وستمائة [١]. ودرس بها كذلك الفقيه الإمام البارع عبدالله بن محمد بن قاسم الخزرجي الأنصاري ، المتوفى سنة خمس وخمسين وستمائة[٢] .

٢٠ - **المدرسة النظامية**. في زبيد ، بناها الطواشي نظام الدين مختص المظفري ، ووقف عليها وقفاً جليلاً يقوم بكفاية المرسومين عليها وليس في مدارس زبيد أحسن منها وقفاً [٣].

٢١ - **المدرسة النظامية**. في قرية الوحص، أنشأها الطواشي نظام الدين مختص المظفري [٤].

٢٢ - **المدرسة النظامية**. في ذي جبلة ، بناها الطواشي نظام الدين مختص المظفري[٥].

٢٣ - **المدرس المظفرية**. في مغربة تعز ، أنشأها السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، المتوفى سنة أربع وتسعين وستمائة قال الخزرجي :" وكان للمظفر رحمه الله من الآثار الحسنة ما هو مشاهد إلى الآن ، فمن ذلك المدرسة التي أنشأها في مغربة تعز المعروفة بالمظفرية ، جعل فيها مدرساً ومعيداً ، وعشرة من الطلبة ، ورتب فيها إماماً ومؤذناً ، ومعلماً وعشرة أيتام يتعلمون القرآن ، وقيماً ووقف عليها ما يقوم بكفاية الجميع منهم ، .... وابتنى مدرسة في ظفار الحبوظي ، وأوقف عليها ما يقوم بكفاية المرتبين فيها "[٦]، وأول مدرّس ترتب فيها هو الفقيه الصالح أبو الحسن علي بن الحسين الأصابي ، الذي توفي سنة سبع وخمسين وستمائة.

٢٤ - **المدرسة العُمرية**. في مدينة تعز ، أنشأها الأمير نجم الدين عمر بن سيف الدين، " وهو أخو الملك المظفر لأمه ، وكان أميراً كبيراً ذا همة عالية وسيرة حسنة ،

---

[1] الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ، جزء ١، ص ١٧٥.

[2] المرجع السابق ، جزء ١، ص ١٦٥.

[3] المرجع السابق ، جزء ١، ص ٢١٤.

[4] المرجع السابق، جزء ١، ص ٢١٤..

[5] المرجع السابق ، جزء ١، ص ٢١٤.

[6] المرجع السابق، جزء ١، ص ٣٢٨.

ومن أثاره ، المدرسة المعروفة بالعمرية في مدينة تعز ، نسبة إليه "[١] ، تـوفي سـنة سبع وستين وستمائة.

٢٥ - **المدرسة الأسدية.** في مدينة إب ، ابتناها الأمير الأجل الكبير أسد الدين محمـد ابن الأمير الكبير بدر الدين الحسين ابن الأمير الأجل الكبير شمس الـدين علـي بـن رسول ، قال الخزرجي في ترجمته سنة سبع وسبعين وستمائة " وله من الآثار الدينية مدرسته التي في مدينة إب ، ومدرسته التي بالخبالي ، وفيها قبره ، وقبور جماعة من ذريته ، وبني سداً في قرية قرفة ، ووقف على الجميع أوقافـاً جيـدة تقـوم بكفايـة الجميع"[٢].

٢٦ - **مدرسة أسد الدين.** في قرية الخبالي ، ابتناها الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن شمس الدين على بن رسول[٣]، وبها قبره كما ذكرنا سالفاً .

٢٧ - **مدرسة بني خضر.** في قرية الخبالي ، ابتنتها زهراء بنت الأمير بـدر الـدين الحسن بن علي بن رسول ، قال الخزرجي " وهي التي ابتنت المدرسة المنسوبة إلـى بني خضر بقرية الخبالي ، وفيها قبرها وقبورهم"[٤].

٢٨ - **المدرسة الافتخارية.** وتسمى الياقوتية ، وهي تقع في منصورة الدملؤة ، ابتناها الطواشي افتخار الدين ياقوت بن عبدالله المظفري ، خادم الملك المظفر ، توفي سـنة سبع وثمانين وستمائة [٥].

٢٩ - **مدرسة حصن الظفر.** ابتناها الشيخ عبدالوهاب بن يوسف بن عزان العريقـي ، قال الخزرجي في ترجمته سنة اثنتين وسبعين وستمائة: " ابتني مدرسة فـي حـصن الظفر ، ووقف عليها وقفاً جيداً ، ورتب فيها مدرساً ودَرَسَةً " [٦].

---

[1] الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ، جزء ١، ص ٢١٦.

[2] المرجع السابق ، جزء ١، ص ٢٥٤.

[3] المرجع السابق ، جزء ١، ص ٢٥٤.

[4] المرجع السابق ، جزء ١، ص ١٣٩.

[5] المرجع السابق ، جزء ١، ص ٣٠١.

[6] المرجع السابق ، جزء ١، ص ٢٣٣.

٣٠- **مدرسة حُجر**. في قرية الحُجْر ، ابتناها الشيخ علي بن محمد بن عبد علي الحميري ،ثم جعل الفقيه العلامة عبدالله بن يحيى بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن ليث الهمداني ، مدرساً بها ، توفي الهمداني سنة ثمان وستين وستمائة [١].

٣١- **مدرسة علي بن يحيى العنسي**. كانت في قرية المكنة ، بناها الأمير شمس الدين علي بن يحيى العنسي ، قال الخزرجي في ترجمته في سنة إحدى وثمانين وستمائة " وكان قد ابتنى مدرسة في بلده – وهي التي قبر فيها – ووقف عليهما وقفاً جيداً حاملاً لكل أولاده ، فلما افتقروا عادوا إليه واستأثروا به ، والله أعلم"[٢].

٣٢- **المدرسة الدعاسية**. في زبيد ، ابتناها الفقيه سراج الدين أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن دعاس الفارسي نسباً وكان أديباً فاضلاً فقيها في مذهب الإمام أبي **حنيفة** t ، قال الخزرجي في ترجمته سنة سبع وستين وستمائة " وابتنى مدرسة في مدينة زبيد خص بها أهل مذهبه ، لم تكد تخلو من مدرس ، وهي التي تعرف بالدعاسية فيما بين سوق المنجارة والسوق الكبير " [٣].

٣٣- **المدرسة الشمسية بذي عدينة**. من مدينة تعز ، ابتنتها الدار الشمسي ، وهي ابنة السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول ، ذكرها الخزرجي في ترجمتها سنة خمس وتسعين وستمائة فقال " ومآثرها كثيرة ،منها المدرسة المعروفة بالشمسية بذي عدينة ، من مدينة تعز ، لها وقف جيد على إمام ومؤذن وقيم ومدرس وطلبة ومعلم وأيتام يتعلمون القرآن " [٤].

٣٤- **المدرسة الشمسية**. في زبيد ، بنتها الدار الشمسي ابنة عمر بن علي بن رسول ، قال الخزرجي " وابتنت مدرسة في زبيد معروفة بالشمسية أيضاً ، في جنوبي سوق المعاصر ، وأوقفت عليها أيضاً وقفاً جيداً ، يقوم بكفاية المرتبين فيها" [٥].

٣٥- **المدرسة التاجية**. في زبيد ، أنشأها الطواشي تاج الدين بدر بن عبدالله المظفري ، قال الخزرجي في ترجمته سنة أربع وخمسين وستمائة " ومن مآثره الحسنة المدرسة

---

[1] الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ، جزء ١، ص ٢١٩ – ٢٢٠ .

[2] المرجع السابق ، جزء ١، ص ٢٧٨ .

[3] المرجع السابق ، جزء ١، ص ٢١٨.

[4] المرجع السابق ، جزء ١، ص ٣٤٥ .

[5] المرجع السابق، جزء ١، ص ٣٤٥ .

التي بزبيد المعروفة بالتاجية ، وهي التي تسمى في وقتنا هذا بمدرسة المبردعين ، وإنما سميت بذلك لأن المبردعين كانوا يعملون البرادع عندها ، وهي مختصة بالفقه ، وله أيضاً المدرسة المعروفة بمدرسة القراء بزبيد ، وقفها على قراء القرآن للسبعة، وفيها مدرسة للحديث النبوي ، وفي كل مدرسة من هذه المدارس الثلاث ، مدرس ، وطلبة ، وإمام ، ومؤذن في أوقات الصلوات الخمس ، وأوقف عليهن وقفاً جيداً يقوم بكفاية الجميع منهم ... وله في الجبل مدرسة في قرية الوحيز "[١] .

٣٦- **المدرسة النجاحية.** في تعز ، أنشأها الإمام الكبير محمد بن نجاح، وكان من أمراء الدولة المظفرية ، يقول الخزرجي في ترجمته سنة إحدى وثمانين وستمائة " وهو الذي ابتنى المدرسة المعروفة بالنجاحية ، بالناحية الشرقية من المغربة في مدينة تعز ، وله وقف بتعز ، وآخر بالجند " [٢].

٣٧- **مدرسة عباس.** في زبيد ، أنشأها الأمير الكبير شجاع الدين عباس بن عبدالجليل بن عبدالرحمن التغلبي ، يقول الخزرجي في ترجمته سنة أربع وستين وستمائة " وله من الآثار الدينية ، مدرسة زبيد ، عمرها ابنه محمد بعد موت أبيه ، وهي الدار التي كان أبوه يسكنها ، وله أيضاً ... مدرسة في بلدة ذخر ، في موضع يعرف بالحبيل .. وله في كل موضع من هذه المواضع ، وقف جيد يقوم بكفاية المرتبين فيه " [٣].

المبحث الثالث / إسهام الوقف في دعم المكتبات

لطالما كان الكتاب هو وعاء العلم الذي لا ينضب مهما اغترف منه القراء ، فمنهم مقل ومستكثر ، فهو مستودع العلوم والأفكار وخلاصة تجارب العلماء والمفكرين ، فلا غرابة أن يصرح المتنبي بأن الكتاب خير الجلساء بقوله :

أعز مكان في الدنا سرج سابح　　　وخير جليس في الزمان كتاب[٤].

---

[1] الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية . مرجع سابق ، جزء ١، ص ١٦٢.

[2] المرجع السابق ، جزء ١، ص ٢٧٩ .

[3] المرجع السابق ، جزء ١، ص ١٩٧ – ١٩٨ .

[4] ناصيف، اليازجي : العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب. دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ص٥٦.

وبما أن المسلمين أمة اقرأ فقد " كان حب المسلمين للكتاب عموماً حباً عارماً ، كـان من نتيجة هذا الحب العارم أن يقوم المسلمون بجمع الكتب وتنظيمها وتيـسير الإفـادة منها ومن ثم كان لابد من إنشاء مكتبات تجتمع فيها الكتب وتقـدم حولهـا الخـدمات المكتبية المختلفة " [١].

وكان الرافد الأهم لنشوء ودعم هذه المكتبات هو الوقف ، هذا النظام الإسلامي الفريـد الذي يتسم بنوع من المرونة ليشمل وقف المنقول .

ووقف الكتب مسألة متفرعة من وقف المنقول لأن الكتب من المنقولات وقـد ذهـب السادة العلماء إلى عدة أقوال في وقف الكتب ، ولكن الراجح حسب ما يرى أبا الخيـل القول " بجواز وقف الكتب مطلقاً ، سواء تعارف الناس على وقفها أم لا ، وبهذا قـال المالكية والشافعية والحنابلة " [٢].

وبناءً على هذا الرأي الفقهي وغيره طفق المسلمون شـرقاً وغربـاً يوقفـون الكتـب والمكتبات ابتغاء وجه الله ونشراً للعلم ، " وهكذا انتشرت خزائن الكتب الوقفيـة فـي أرجاء العالم الإسلامي ، لدرجة أننا لا نجد مدينة إسلامية تخلو من مكتبة أو مجموعة كتب موقوفة " [٣].

" وللتدليل على ضخامة عدد المكتبات الوقفية وشيوعها ، تشير إلى أنه كانت في مدينة مرو الشاهجان عشرة خزائن للوقف ، وذلك في القرن السابع الهجري ، يقـول عنهـا ياقوت الحموي : لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجودة، منها خزانتان في الجامع إحداهما

---

[1] خليفة ، شعبان عبدالعزيز : الكتب والمكتبات في العصور الوسطى . الـدار المـصرية اللبنانيـة ، القـاهرة ، ١٤١٨هـ ، ص ٢٦١ .

[2] أبا الخيل ، سليمان بن عبدالله بن حمود : الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات . مرجع سابق ، ص ٢٢٥ .

[3] حمادة ، محمد ماهر : المكتبات في الإسلام . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص ١٧٢.

يقال لها العزيزية ... وكان فيها اثنا عشر ألف مجلداً أو ما يقاربها ... وكانت سهلة التناول ، لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد ،وأكثرها بغير رهن"[١].

" إن إنشاء المكتبات في الإسلام وإيقافها أو الإيقاف عليها من الكتب ، والأموال هو أمر قد سبق مرحلة إنشاء المدارس الجامعية والإيقاف عليها، ولقد اتخذت هذه المكتبات أسماء متعددة مثل خزانة الكتب، وبيت الكتب ،ودار الكتب ،ودار العلم ، أو ما سمي ببيوت الحكمة إذ إنها جميعاً كانت تقوم مقام المكتبات المركزية في وقتنا الحاضر "[٢] .

وقد تنوعت أشكال وقف الكتب ما بين مكتبات عامة وخاصة أو مخصصة لمدرسة أو رباط أو جامع أو مستشفى ، وكان أكثرها انتشاراً هو المكتبات الخاصة بالخلفاء والسلاطين والعلماء والفقهاء ، فكانت هذه المكتبات الخاصة هي النواة للمكتبات العامة ؛ يذكر ابن شداد أن القاضي أمين الدولة أبو طالب الحسن بن عمار " كانت له دار علم بطرابلس ، فيها ما يزيد على مائة ألف كتاب وقفاً "[٣] ثم إن هذه الدار نمت و تطورت حتى " كانت آية في السعة والضخامة ، إذ كان عدد الناسخين فيها قد بلغ ١٨٠ ناسخاً ، .... يتناوبون في العمل ليل نهار بحيث لا ينقطع النسخ فيها ، ويقال أنها حوت على مليون كتاب على أرجح الأقوال "[٤] .

إن دُور العلم وبيوت الحكمة وخزائن الكتب الوقفية في المساجد والمدارس وغيرها ، كانت أداة فعالة في دعم الحركة العلمية التي شهدها العالم الإسلامي عبر عصوره

---

[1] ساعاتي ، يحي محمود : الوقف وبنية المكتبة العربية . مرجع سابق ، ص ٣٣ .

[2] مدني ، غازي عبيد ، السيد ، عبدالملك أحمد : الوقف الإسلامي والدور الذي لعبه في النمو التعليمي والاجتماعي في الإسلام . مرجع سابق . ص ٥٢ .

[3] ابن شداد ، محمد بن علي بن إبراهيم : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة . مرجع سابق ، جزء ٢، ص ١٠٧.

[4] معروف ، ناجي : أصلة حضارتنا العربية . ط٣، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ص ٤٤٠ .

المتعاقبة ، ومن ذلك القرن السابع الهجري ، وسنذكر أهم تلك الخزائن والمكتبات في ذلك القرن:

أ- المكتبات العامة المستقلة :

وهي أبنية تشتمل على " حجرات متعددة تربط بينها أروقة فسيحة ، وكانت الكتب توضع على رفوف مثبتة بالجدران ، تخصص كل غرفة لفرع من فروع العلم،... وكان فيها أروقة خاصة للمطالعين ، وغرف خاصة للنساخ الذين ينسخون الكتب " [(١)]، ومنها :

١ - دار الكتب في بغداد. أنشأها الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد العلقمي ، بدار الوزارة ، قال ابن كثير في حوادث سنة أربع وأربعين وستمائة " وفيها فتحت دار الكتب ... وكانت في نهاية الحسن ، ووضع فيها من الكتب النفيسة والنافعة شيء كثير ، وامتدحها الشعراء بأبيات وقصائد حسان " [(٢)].

٢ - دار الحكمة في مدينة مراغة. أنشأها الخواجة نصير الدين الطوسي محمد بن عبدالله الطوسي ، وزير هولاكو ، وقد عمل معها مدرسة ودار طب ودار حديث في سنة سبع وخمسين وستمائة ، قال ابن كثير في تلك السنة " وفيها عمل الخواجة نصر الدين الطوسي الرصد بمدينة مراغة ، ونقل إليه شيئاً كثيراً من كتب الأوقاف التي كانت ببغداد ، وعمل دار حكمة ورتب فيها فلاسفة ، ورتب لكل واحد في اليوم والليلة ثلاثة دراهم، ودار طب فيها للطبيب في اليوم درهمان ، ومدرسة لكل فقيه في اليوم درهم ، ودار حديث لكل محدث نصف درهم في اليوم "[(٣)] .

٣ - دار الحكمة. في بغداد " أول من أسس هذه الدار الجامعة لمختلف المؤلفات هارون الرشيد ، ثم زودها ابنه المأمون من بعده بالمؤلفات الكثيرة والدواوين الضخمة ، وظلت هذه الخزانة حتى استولى المغول على بغداد سنة ٦٥٦هـ " [(٤)].

[(1)] السباعي، مصطفى: من روائع حضارتنا. مرجع سابق، ص٢٤٨.

[(2)] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩ ، ص ٥٤.

[(3)] المرجع السابق ، جزء ٩ ، ص ٩٨.

[(4)] جمعة ، عماد علي : المكتبة الإسلامية . ط ٣ ، دار المسلم ، الرياض ، ١٤٢٦هـ ، ص ٣٣ .

٤ - **خزانة كتب مباركشاة**. في مرو الروذ، أنشأها فخر الدين أبا سعيد مباركشاه ابن الحسين المروزي المتوفي سنة ٦٠٢هـ فقد ذكر ساعاتي نقلاً عن الفوطي أنه " اتخذ داراً طيبة على بستان مونق جعل فيها خزانة كتب تحتوي على أنواع العلوم وجعل في داره جميع ما يحتاج النديم إليه من النرد والشطرنج وأنواع الأطعمة و الأشربة " [١].

ب – مكتبات الجوامع والمساجد :

كانت المساجد منذ بزوغ فجر الإسلام هي معقل التعليم الأول ، فاهتم المسلمون بهذه الأماكن غاية العناية ، حتى أن بعض المساجد تطورت " وأصبحت مراكز فكرية هامة ومراكز للتعليم والتدريس "[٢] ، وقد كان وقف المصاحف هو النموذج الأول لوقف الكتب في المساجد ، ثم تعدى الأمر ذلك إلى وقف كتب التفسير والحديث والفقه واللغة وغيرها وفيما يلي ذكرٌ لبعض الخزائن الموقوفة في الجوامع والمدارس :

١ - **جامع دمشق**. احتوى جامع دمشق على الكثير من خزائن الكتب ومن ذلك خزانة زيد بن الحسن بن زيد بن سعيد بن عصمة ، تاج الدين أبو اليمن الكندي المتوفى سنة ثلاث عشرة وستمائة ، الذي " وقف كتبه - وكانت نفيسة - وهي سبعمائة وأحد وستون مجلداً ، ... وجعلت في خزانة كبيرة في مقصورة ابن سنان الحلبية المجاورة لمشهد علي بن زين العابدين " [٣].

٢ - **جامع الزيدي**. في بغداد، فقد وقف شهاب الدين ياقوت الحموي ، المتوفى سنة ست وعشرين وستمائة ، كتبه على هذا الجامع ، قال الذهبي في ترجمته " ووقف كتبه ببغداد على مشهد الزيدي " [٤].

٣ - **جامع البصرة** " عندما احترق سنة ٦٢٤هـ أعاد أبو المظفر عبدالله الرومي المتوفى سنة ٦٤٠هـ ، عمارته وبني في دهليزه حجرتين جعل في إحداهما كتباً ووقف في جميع المدارس كتباً " [٥].

---

(1) ساعاتي ، يحيى محمود : الوقف وبنية المكتبة العربية . مرجع سابق ، ص ٥٠ .

(2) خليفة ، شعبان عبدالعزيز : الكتب والمكتبات في العصور الوسطى . مرجع سابق ، ص ٣٤٩ .

(3) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية النهاية . مرجع سابق ، جزء ٨ ، ص ٥٧٩.

(4) ساعاتي ، يحيى محمود : الوقف وبنية المكتبة العربية . مرجع سابق ، ص ٦٨ .

(5) خليفة ، شعبان عبدالعزيز : الكتب والمكتبات في العصور الوسطى. مرجع سابق ، ص ٣٥٤ .

٤ - **جامع حلب.** يقول ابن العديم ، المتوفى سنة ٦٦٠هـ " كان بحلب خزانة كتب في الشرقية التي بجامع حلب ، في موضع خزانة الكتب اليوم"[١]- أي زمان ابن العديم -.
٥ - **مسجد القمرية.** " ذكر ابن الفوطي أن الخليفة المنتصر بالله العباسي ...، بني في أوائل القرن السابع الهجري مسجداً عرف بالقمرية ، ... وجعل في المسجد خزانة للكتب ، حملت إليها كتب كثيرة " [٢].

ج – مكتبات المدارس :

احتوت أغلب المدارس الإسلامية على خزائن للكتب ، فالكتاب ضروري جداً للمدرس وطلابه ، فلا يعقل أن تجتمع هذه الفئة في مقر لها للتدارس يومياً بدون أن يكون هناك كتبٌ متداولة يدور حولها الدرس ، خاصةً إذا شرط الواقف تدريس كتب محددة ، " ويمكن للمرء أن يجزم أن مدرسة واحدة في بقاع العالم الإسلامي القديم ، ما كانت تخلو من مكتبة تابعة لها بغض النظر عن حجمها وموقعها "[٣]، ولكن المصادر لم تسعفنا بذكر جميع محتويات كل مدرسة ، وإنما اكتفى المؤرخون بذكر مؤسس المدرسة وموقعها ومن درس بها ، ثم بعد ذلك قد يتعرضون لشيء من وصفها وأوقافها ومن ذلك كتبها الموقوفة .

وفي المبحث السابق أحصيت ١٢ مدرسة وردت فيها عبارة صريحة على أن فيها خزانة للكتب أو أن أحدهم وقف كتبه عليها ، وهي كما يلي:

أولاً/ دمشق :

١ - دار الحديث العروية .
٢ - دار الحديث الفاضلية .
٣ - دار الحديث الضيائية .
٤ - المدرسة البادرائية .
٥ - المدرسة البهنسية .

---

(1) خليفة ، شعبان عبدالعزيز : الكتب والمكتبات في العصور الوسطى. مرجع سابق ، ص ٣٥٤ .
(2) المرجع السابق ، ص ٣٥٧ .
(3) ساعاتي ، يحيى محمود : الوقف وبنية المكتبة العربية . مرجع سابق ، ص ٧٧ .

٦- المدرسة العادلية الكبرى .

٧- المدرسة الضيائية المحمدية .

٨- المدرسة العمرية الشيخية .

ثانياً/ مصر :

١- المدرسة الفاضلية

٢- المدرسة الصاحبية البهائية .

٣- المدرسة الصاحبية .

٤- المدرسة المنكومترية .

وبالطبع فإن مكتبات المدارس الإسلامية أكثر من ذلك بكثير ، ولكن عاجزين عن الإحاطة بها، وفيما يلي استكمال لهذه المكتبات في أنحاء شتى من العالم الإسلامي:

١- مكتبة المدرسة المستنصرية. المشهورة في بغداد ، أنشأها الخليفة المستنصر بالله أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله العباسي . وافتتحها سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وهي المدرسة التي كما قال ابن وصال " ما بني على وجه الأرض أحسن منها ، ولا أكثر وقفا" [١].

ولابد لمدرسةٍ كالمستنصرية ، من مكتبة توازيها في العظمة ، فقد ذكر ابن كثير أنه وقفت بها " خزائن كتب لم يسمع بمثلها في كثرتها وحسن نسخها ، وجودة الكتب الموقوفة بها " [٢]. ونقل الذهبي عن محفوظ ابن البزوري قوله " ونقل إلى خزانة الكتب كثيرٌ من الكتب النفيسة ، فبلغني أنه حمل إليها ما نقله مائة وستون حمالاً ، سوى ما نقل إليها فيما بعد ، وأوقفت ، وجعل الشيخ عبدالعزيز شيخ الصوفية برباط الحريم ، وخازن كتب دار الخلافة ، هو وولده ضياء الدين أحمد ينظران في ترتيبها ، فرتبا الكتب أحسن ترتيب "[٣] " وبيعت كتب العلم في أيامه – أيام الخليفة المستنصر -

---

[1] الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد : تاريخ الإسلام . مرجع سابق ، جزء ١٢، ص ٤٥٣ .

[2] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩ ، ص٢١.

[3] الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد : تاريخ الإسلام . مرجع سابق ، جزء ١٢ ، ص ٤٥٤.

بأغلى الأثمان لرغبته فيها، ولوقفها "[١] ،لقد كانت هذه المكتبة "في القـرنين السابع والثامن الهجريين أعظم دور العلم العامة ، وأشهرها في العالم و لاسيما في العهد الذي كان ابن الفوطي مشرفاً عليها، وكانت في وقتها مرجعاً عاماً لطلاب المستنصرية ومدرسيها وشيوخها ، كما كانت مرجعاً لطلاب العلم والعلماء من خارج المستنصرية"[٢].

٢- مكتبة المدرسة الشرابية. في بغداد ، " بناها قائد الفرسان في أيام الخليفة المستنصر شرف الدين إقبال ، وألحق بها مكتبة عامرة "[٣]، يقول ابن كثير في سنة ثمان وعشرين وستمائة " وفيها تكامل بناء المدرسة التي بسوق العجم ببغداد المنسوبة إلى إقبال الشرابي ، وحضر الدرس بها ، وكان يوماً مشهوداً ، اجتمع فيه جميع المدرسين والمفتين ببغداد ، وعمل بصحنها قباب الحلوى فحمل منها إلى جميع المدارس والربط ، ورتب فيها خمسة وعشرين فقيها لهم الجوامك الدارة في كل شهر ، والحلوى في أوقات المواسم ، والفواكه في زمانها ، وخلع على المدرس والمعيدين والفقهاء في ذلك اليوم ، وكان وقتاً حسناً تقبل الله منه " [٤].

٣- مكتبة المدرسة الشرابية. في مكة، أنشأها شرف الدين الشرابي المستنصري العباسي ، وهو واقف المدرسة الشرابية ببغداد ، وهي "على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب السلام ، ووقف فيها كتباً كثيرة في سنة إحدى وأربعين وستمائة " [٥].

" وعلى الرغم من التحريات في المراجع المختلفة التي أرخت لأم القرى وما حولها وللمسجد الحرام ، فإننا لم نعثر على أخبار أخرى عن المدرسة الشرابية ولا عن أوقافهما التي ذكر قطب الدين الحنفي أنها كانت كثيرة بوادي نخلة ومُر " [٦].

---

(1) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد : تاريخ الإسلام . مرجع سابق ، جزء ١٧، ص ١٦٤.

(2) معروف ، ناجي : تاريخ علماء المستنصرية . ط٢، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٨٤هـ، جزء ٢، ص٥٩.

(3) رؤوف ، عماد عبدالسلام : مدارس بغداد في العصر العباسي. مطبعة دار البصري ، بغداد ، ١٣٨٦هـ ، ص ١٣٢ .

(4) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ،جزء ٩، ص ١٠ .

(5) معروف ، ناجي : المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة . ط ٢ ، ساعدت جامعة بغداد على طبعة ، بغداد ، ١٩٧٥م ، ٣٧١ -٣٧٢ .

(6) معروف ، ناجي : مدارس مكة . مطبعة الإرشاد . بغداد ، ١٣٨٦هـ ، ص ٣٧ .

٤ - **مكتبة المدرسة المجاهدية.** في بغـداد ،" منـسوبة إلـى مجاهـد الـدين أيبـك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير ، بناها في خلافة المستنـصر بـالله (٦٢٣-٦٤٠هـ) وجعلها برسم الحنابلة ،... ولم تخل هذه المدرسة الجليلة من خزانة احتوت على نفائس الكتب ونوادرها ، وإن لم يعلم متى أنشئت " [١].

٥ - **مكتبة المدرسة البشيرية.** في بغداد ، " أنشأت هـذه المدرسـة جاريـة الخليفـة المستعصم (٦٤٠-٦٥٦هـ) المعروفة باب بشير ، المتوفاة سـنة ٦٥٢هـ" ،قـال عبدالرزاق ابن الفوطي ، في ترجمة فخر الدين إبراهيم بن حسن بن أيدغدي " الكاتب العالم ، يعرف بابن البواب الكاتب خازن الكتب بالمدرسة البشيرية ، الأديب الفاضـل "[٢] ، و " يظهر من بعض النصوص التاريخية أن للمدرسة البشرية هذه خزانة حافلـة بالكتب ، ذات خازن خاص ، مختص بأمورها ، وفهارس مكتوبة بطريقة حسنة " [٣].

٦ - **مكتبة المدرسة النظامية.** المشهورة في بغداد ، الموصوفة بأنها "أول مدرسة قرر بها للفقهاء معاليم ، وهي منسوبة إلى الوزير نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بـن إسحاق بن العباس الطوسي وزير ملك شاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكـال بـن سلجوق "[٤].

وقف عليها كتبه " ابن النجار الحافظ صاحب التاريخ ، محمد بن محمود بن الحسن بن النجار ... وقف خزانتين من الكتب بالنظامية تساوي ألف دينار ، فأمضى ذلك الخليفة المستعصم " [٥].

٧ - **مكتبة دار الحديث الأشرفية.** بدمشق ، وقف عليها " ابن الصلاح تقي الدين عثمان بن عبدالرحمن المتوفي سنة ٦٤٣هـ ، الذي رحل إلى خراسان وأقام بها مدة ، وأخذ

---

(1) رؤف ، عماد عبدالسلام : مدارس بغداد في العصر العباسي . مرجع سابق ، ص ١٩٥-١٩٧ .

(2) ابن الفوطي ، كمال الدين عبدالرزاق بن تاج الدين أحمد : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقـاب . تحقيـق مصطفى جواد ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٦٥م ، جزء ٤ ، ص ٥٦.

(3) رؤف ، عماد عبدالسلام : مدارس بغداد في العصر العباسي . مرجع سابق ، ص ٢١٧ .

(4) المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار . مرجع سابق ، جزء ٤ ، ص ١٩٢.

(5) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ٥١ – ٥٢.

عن مشائخ كثيرة ، ووقف على كتب غريبة وعلق منها أمور مهمة وفوائد جمـــة فـــي أنواع العلوم بلغت مجلدات كثيرة ووقفها بدار الحديث الأشرفية بدمشق " [١].

٨- **مكتبة المدرسة الظاهرية.** في القاهرة ، أنشأها الملك الظاهر بيبرس البندقداري " ووقف بها خزانة كتب حمل إليها الأمهات في سائر العلوم والمذاهب " [٢].

ج – مكتبات الربط والترب :

" تجاوز وقف الكتب والمكتبات عند العرب والمسلمين دور الكتب العامة و الجوامـــع والمدارس إلى أنماط أخرى تظهر لنا أن الكتاب أصبح جـــزءاً لا يتجـــزأ مـــن حيـــاة الإنسان في أصقاع العالم الإسلامي "[٣] و تمثل ذلك في مكتبات البيمارستانات والربط والترب والخوانق ، ونذكر الآن بعضاً من مكتبات الربط .

١. مكتبات الربط :

- **رباط ربيع في مكة المكرمة.** أنشأه الملك الأفضل علي ابن السلطان الملك الناصـــر صلاح الدين يوسف بن أيوب ،المتوفى سنة ٦٢٢هـــ ، " ووقف فيه كتباً كان من بينها المجمل في اللغة لابن فارس ، والاستيعاب لابن عبدالبر " [٤].

- **رباط الشرابي في مكة المكرمة.** المنسوب إلى الأمير شرف الدين إقبال بن عبـــدالله الشرابي ، بناه بعد وفاة الشرابي أبي الشهاب ريحان ، " ووقف عليه كتباً في فنـــون العلم نفيسة " [٥].

٢. مكتبات الترب :

- **التربة البزورية.** في دمشق ، " قال الذهبي في العبر في سنة أربع وتسعين وستمائة : وابن البزوري أبو بكر محفوظ بن معتوق البغدادي التاجر ، روى عن ابن القبيطي ، ووقف كتبه على تربته بسفح قاسيون"[٦].

---

(1) ساعاتي ، يحيى محمود : الوقف وبسنة المكتبة العربية . مرجع سابق ، ص ٨٥.

(2) المرجع السابق ، ص ٨٥ .

(3) المرجع السابق ، ، ص ١٠٦ .

(4) شافعي ، حسين عبدالعزيز : الأربطة في مكة المكرمة. مرجع سابق، ص ٨٧.

(5) المرجع السابق ، ص ٨٩.

(6) النعيمي ، عبدالقادر بن محمد : الدارس في تاريخ المدارس . مرجع سابق ، جزء ٢، ص١٧٨.

- **التربة البهنسية.** في دمشق ، " بسفح قاسيون "[١]، قال ابن كثير في سنة ثمان وعشرين وستمائة " المجد البهنسي وزر للملك الأشرف ، ثم عزله وصادره ، ولما توفي دفن بتربته التي أنشأها بسفح قاسيون وجعل كتبه بها وقفاً ، وأجرى عيها أوقافاً جيدة دارة رحمه الله تعالى "[٢].

- **القبة المنصورية.** في مصر ، وهذه القبة والمدرسة المنصورية " داخل باب المارستان المنصوري ، وهي من أعظم المباني الملوكية وأجلها قدراً ، وبها قبر تضمن الملك المنصور سيف الدين قلاوون – وهو منشأها – وابنه الملك الناصر محمد بن قلاوون والملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن محمد بن قلاوون "[٣] ،ثم ذكر المقريزي أنه يوجد " بهذه القبة خزانة جليلة كان فيها عدة أحمال من الكتب في أنواع العلوم ، مما وقفه الملك المنصور وغيره ، وقد ذهب معظم هذه الكتب وتفرق في أيدي الناس " [٤].

المبحث الرابع / إسهام الوقف في مجال الرعاية الصحيةفي القرن السابع الهجري.

نظام الوقف الإسلامي نظام فريد متميز تبرز فيه أرقى صور التكافل الاجتماعي بجميع أشكاله ، وميزاته أن خدماته مجانية تشمل بالدرجة الأولى الطبقة الأضعف من المجتمع كالفقراء والأرامل والأيتام والمرضى العاجزين وغيرهم ، فالوقف أتاح لهؤلاء وغيرهم مجانية التعليم والعلاج ، وهذا بدوره يحقق عدالة اجتماعية تؤدي إلى ترابط المجتمع وتماسكه .

إن المؤسسات الوقفية كالمساجد والمدارس والخوانق والأربطة والمكتبات ثم المستشفيات ، خلقت بيئة علمية محفزة تدفع الفرد للإنتاج العلمي ونحن اليوم بأمس

---

[1] النعيمي ، عبدالقادر بن محمد : الدارس في تاريخ المدارس . مرجع سابق ، جزء ٢، ص١٨٣.

[2] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص٢١٩.

[3] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار . مرجع سابق ، جزء ٤، ص٢١٨.

[4] المرجع السابق ، جزء ٢، ص٢١٩.

الحاجة لتطبيق هذا النموذج الوقفي الذي تتكامل فيه أدوار المؤسسات الوقفية ، خاصة في البلاد الإسلامية الفقيرة.

لقد أسهم الوقف الإسلامي في مجال الرعاية الصحية إسهاماً عظيماً اتخذ أشكالاً عديدة منها :-

١- البيمارستانات العامة الثابتة والمتنقلة .

٢- المدارس الطبية المتخصصة .

٣- المراكز الطبية الملحقة بالجوامع وأماكن تجمع الناس .

٤- الحمامات .

وهذا دليل على أن الإسلام ليس ديناً كهنوتياً يعظم الروح على حساب الجسد ، أو العكس ، بل وازن بينهما انطلاقا من نظرته للإنسان على أنه روح وجسد ، وفي الحديث الشريف وإن لجسدك عليك حقاً.

لقد كان لهذه المؤسسة الطبية الوقفية الأثر البالغ في تقدم البحث العلمي خاصة فيما يتعلق بعلم الكيمياء والصيدلة ، فقد " خصصت أوقاف مقررة للإنفاق على تأليف الكتب في الصيدلة والطب واستطاع الأساتذة أن يكملوا كتبهم نتيجة مثل هذا التعضيد العلمي من هذه الأموال الموقوفة ، ومن أمثله ذلك كتاب البيمارستانات لزاهد العلماء الفارقي عميد أحد المستشفيات في القرن الخامس الهجري ، وكتاب مقالة أمينيه في الأدوية البيمارستانية لابن التلميذ والدستور البيمارستاني تأليف ابن أبي عبيان وكتاب صفات البيمارستان للرازي "[١].

أما القرن السابع الهجري فقد برزت فيه أسماء لامعة في عالم الطب كابن البيطار الذي ألف " كتابه المشهور الأقرباذين الذي اشتمل على ١٤٠٠ دواء فلم يسبقه أحد بسعة الإطلاع ، وذلك من خلال تنقله في ديار الإسلام وبقائه ضيفاً على مستشفياتها و كليات الطب فيها ، وعاش على أموال الوقف في رحلاته ، وبلغ من شهرته أن كتابه هذا عد من أهم الكتب في الصيدلة في الغرب حتى نهايات القرن التاسع عشر "[٢] .

---

(1) السيد ، عبدالملك أحمد : الدور الاجتماعي للوقف .مرجع سابق، ص٢٨٩ .

(2) المرجع السابق ، ص٢٨٣ .

ومن أطباء القرن السابع الهجري الطبيب المشهور ابن النفيس الذي" شـرح القـانون لابن سينا "[١].

وقد ذكر محمد كرد علي صاحب كتاب خطط الشام قريباً من سبعة عشر طبيباً مـن أبناء ذلك القرن في الشام وحدها ثم قال " ومما انفرد به هذا القرن على صـورة لـم يسبق لها مثال ، إنشاء ثلاث مدارس للطب ومدرسة للهندسة في دمشق ، فكان في هذه العاصمة أعظم جامعة إسلامية عربية حوت العلوم الدينية والدنيوية ، فلـم تكـن دون القاهرة بأزهرها الذي بني في القرن الرابع ، ولا بغداد بمدرستها النظامية [٢].
ولا ننسي ذكر الطبيب أحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أصيبعة صـاحب كتاب " عيون الأنباء في طبقات الأطباء " قال ابن كثير " له تاريخ الأطباء في عـشرة مجلدات لطاف ، وهو وقف بمشهد ابن عروة بالأموي توفي بـصرخد وقـد جـاوز التسعين "[٣].

لقد شرَّع المسلمون والعرب قواعد وأنظمة طبية راقية تضاهي بعض ما هو مـسطور في دساتير منظمة الصحة العالمية ، فمثلاً في نص وقفية البيمارستان المنصوري الذي بمصر أنه يقدم " طعام كل مريض بزبديّة خاصة به من غير أن يستعملها مريض آخر ، ووجوب تغطيتها وإيصالها إلى المريض بهذا الشكل "[٤]، وكان البيمارستان يقسم إلى عدة أقسام تعزل كل فئة عن الأخرى تحاشياً لانتقال الأمراض ، فقـد أفـرد الملـك المنصور قلاوون في هذا البيمارستان " لكل طائفة من المرضـى موضـعاً ، فجعـل أواوين المارستان الأربعة للمرضى بالحميات ونحوها ، وأفرد قاعة للرمدى ، وقاعدة للجرحى ، وقاعة لمن به إسهال ، وقاعة للنساء ، ومكاناً للمبردين ينقسم بقسمين : قسم

---

(1) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩، ص ٢٠٠.
(2) علي ، محمد كرد : خطط الشام . مرجع سابق ، جزء٣، ص٤٤ .
(3) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ،جزء ٩، ص ١٤٢.
(4) السباعي ، مصطفى : من روائع حضارتنا . دار الوراق ، الرياض ، ١٤٢٠هـ ص ٢٣٠ .

للرجال وقسم للنساء ، وجعل الماء يجري في جميع هذه الأماكن "[١]، وفي هذا غاية النظافة والاحتراز.

إضافةً إلى ذلك فقد كان الطبيب لا يمارس هذه المهنة حتى يجتاز اختبار يجريه كبير الأطباء ، وغير ذلك من المفاهيم التي نحسب أنها بدعة غربية بينما هي صناعة عربية، فمثلاً " مفهوم (college) هذا الاصطلاح ما هو إلا تحوير لاسم كتاب الكليات كابن رشد ، ثم عدنا نحن العرب لنقتبس هذا المفهوم الجديد في العصر الحالي ، ونعيد تسمية معاهدنا باسم كليات كأننا نترجم من الغرب ، بينما أن هذه الكلمة هي كلمة عربية أصيلة "[٢]. وفيما يلي ذكرٌ لبعض البيمارستانات والمدارس الطبية القائمة في القرن السابع الهجري:-

أ- البيمارستانات :

" البيمارستانات (بفتح الراء وسكون السين) كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض أو عليل أو مصاب ، و (ستان) بمعنى مكان أو دار فهي إذاً دار المرضى ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان"[٣].

" قال الجوهري في الصحاح والمارستان بيت المرضى معرب عن ابن السكين "[٤].

وهي المنشآت التي يعالج فيها المرضى ، والتي نسميها اليوم المستشفيات وقد كانت منتشرة في العالم الإسلامي " حتى أن قرطبة وحدها كان فيها خمسون مستشفى "[٥].

١- المارستان الكبير المنصوري .

في مصر، ويسمى " دار الشفاء أو مارستان قلاوون "[٦] ،كانت داراً لمؤنسة خاتون ابنة الملك العادل المعروفة بالقطبية ، فأخذها السلطان الملك المنصور قلاوون بن عبدالله التركي الصالحي الألفي ، " سنة اثنتين وثمانين وستمائة بسفارة الأمير علم

---

[1] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار . مرجع سابق ، جزء ٤ ، ص ٢٦٠.

[2] السيد ، عبدالملك أحمد : الدور الاجتماعي للوقف . مرجع سابق ، ص ٢٩٢ .

[3] بك، أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام. ط٢، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٤٠١هـ، ص ٤

[4] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار . مرجع سابق ، جزء ٤ ، ص ٢٥٨.

[5] السباعي ، مصطفى : من روائع حضارتنا . مرجع سابق ، ص ٢٢١ .

[6] بك، أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام.مرجع سابق ، ص ٨٣ .

الدين سنجر الشجاعي مدير الممالك ورسم بعمارتها مارستاناً و قبة ومدرسة " [1]، وقد ذكر أحمد عيسى بك أنه يوجد كتابة أثرية على باب هذا المجمع نصه " أمـــر بإنـــشاء هذه القبة الشريفة المعظمة والمدرسة المباركة و البيمارستان المبارك ، مولانا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي . كان ابتداء عمارة ذلـــك في ربيع الأخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة والفراغ منه في جمادي الآخرة سنة أربـــع وثمانين وستمائة "[2].

" ورتب فيه العقاقير والأطباء وسائر ما يحتاج إليه من به مرض من الأمراض وجعل السلطان فيه فراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضى وقرر لهم المعاليم ونـــصب الأسرة للمرضى وفرشها بجميع الفرش المحتاج إليها في المرض .... وأفـــرد مكانـــاً لطبخ الطعام والأدوية و الأشربة ومكاناً لتركيب المعـــاجين و الأكحـــال والـــشيافات ونحوها ، ومواضع يخزن فيها الحواصل وجعل مكاناً تفرق فيه الأشـــربة والأدويـــة ومكاناً يجلس فيه رئيس الأطباء ، لإلقـــاء درس طـــب "[3]، وكمـــا تلاحـــظ فلـــيس البيمارستان للعلاج فقط ، بل كان فيه قاعة لإلقاء المحاضرات على المتدربين ، وكان فيه نظام يسمح بحمل العلاج وسائر ما يحتاج إليه المريض إلى بيته .
أما أوقافه فكثيرة جداً كما قال ابن كثير[4] ، وسأذكر بعضاً منها إجمـــالاً " قيـــسارية الصبانة بالفسطاط ، فندق الملك السعيد بالفسطاط ، حمام الساباط ، قيـــسارية المحلـــى والضيافة ، قيسارية الفاضل ، سوق القفيصات ، سوق الكتبيين "[5].

٢ - بيمارستان الصالحية أو القيمري :

في دمشق ، وسط الصالحية ، واقفه " الأمير الكبير سيف الدين أبو الحسن يوسف بـــن

[1] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار . مرجع سابق ، جزء ٤ ، ص ٢٦٠.
[2] بك ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام . مرجع سابق ، ص ١٢٠ .
[3] المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار . مرجع سابق ، جزء ٤ ، ص ٢٦٠.
[4] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩ ، ص ٢٠٥.
[5] بك ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام . مرجع سابق ، ص ١٢٣-١٢٤ .

أبي الفوارس بن موسك القيمري الكردي "[١] الذي توفي سنة أربع وخمسين وستمائة . " قال الشيخ جمال الدين ابن عبدالهادي وأما المارستان القيمري فهو من أحاسن الدنيا ، يقال أنه ليس ثم في الدنيا بيمارستان أحسن منه ولا أشرح فإن فيه هذا الإيوان المعظم والقاعتان المعظمتان القبليات بهذه الشبابيك المشرفة على الدنيا ، وتحت الشبابيك هذا الحوض النارنج لاسيما في أيام زهرة تفوح منه هذه الرائحة الزكية فتنعش النفوس وتزكي الأرواح "[٢].

وهو مقسم إلى قاعتين إحداهما للرجال والأخرى للنساء ، وبه أماكن معدة لحفظ " الشرابات والمعاجين والأكحال والأشياف والأقراص وغير ذلك ... وفي شرقية مطبخ للمزورات والفراريج وغير ذلك ، ولصيقة ميضأه ، وفي غربيه قاعة للمجانين ... وبوسطه بركة معظمة يأتي إليها الماء بناعورة مركبة على نهر يزيد دائماً وفيه خدم للرجال والنساء وكمال وطبيب وشراباتي وعامل ومشارف وغير ذلك من التراتيب الجيدة "[٣]، وقد ذكر أحمد بك جملة كثيرة من أوقاف هذا البيمارستان ، وجدها منحوته في مدخله[٤].

٣- بيمارستان الجبل :

" كان بقرية نيرب وهي قرية على نصف فرسخ من دمشق "[٥]، ولم يعرف شيء عن من أسس هذا البيمارستان وفي أي زمان هو ، غير أن الدكتور أحمد عيسى بك توصل إلى أنه من بيمارستانات القرن السابع الهجري واستنتج ذلك من ذكر الذهبي لبعض من خدموا في ذلك البيمارستان ثم قال " فعلمنا بذلك عصره بوجه التقريب ، فقد ذكر الذهبي في تاريخه أيضاً أن التتار لما دخلوا دمشق في سنة ٦٦٩هـ في ١٨ جمادي الأولى أحرقوا - ومعهم الكرج والأرمن - مارستان الجبل وعدة مدارس وأماكن في غاية الحسن والكثرة " [٦].

---

[1] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية . مرجع سابق ، جزء ٩ ، ص ٧٨.

[2] ابن طولون ، محمد : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية . مرجع سابق ، جزء ١ ، ص ٢٤٣.

[3] المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٤٤.

[4] بك ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام . مرجع سابق ، ص ٢٣٨-٢٤٤ .

[5] المرجع السابق ، ، ص ٢٤٦ .

[6] المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

٤ - بيمارستان مكة :

قال تقي الدين الفاسي " وبمكة أوقاف كثيرة على جهات من القربات غالبها الآن غير معروف لتوالي الأيدي عليها . ومن المعروف منها البيمارستان المستنصري العباسي بالجانب الشمالي من المسجد الحرام وتاريخ وقفه سنة ثمان عشرين وستمائة " [١].

٥ - بيمارستان المدينة المنورة :

" ذكر السمهودي أن الخليفة أبا جعفر المستنصر بالله أنشأ بيمارستاناً بالمدينة المنورة سنة ٦٢٧هـ /١٢٣٠م لمعالجة المرضى وتطبيبهم على نفقته الخاصة" [٢].

٦ - بيمارستان تونس :

ذكر أحد الباحثين أنه يوجد " في تونس مارستان بالقرب من سيدي محرز لا يزال موجوداً ولكنه قد تغيرت معالمه ، ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر الميلادي"[٣]، ومعلوم أن القرن الثالث عشر الميلادي يوازي القرن السابع الهجري.

٧ - بيمارستان فاس :

" المشتهر باسم (سيدي فرج) ، وكان موقعه بالعطارين عند سوق الحناء "[٤] ، " وقد جلا الدكتوردومازل وصف هذا البيمارستان فقال : بناؤه قديم يرجع تأسيسه إلى عهد سلاطين بني مرين وهم في أوج عزهم وعظمتهم يعاونون على نشر العلوم وتجميل المدن . وبنى أحدهم وهو أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبدالحق هذا المارستان لما تولى الملك سنة ٦٨٥هـ (١٢٨٦م) وعهد مؤسسه إدارته إلى أشهر الأطباء وأوقف عليه الحبوس الكثيرة من العقار للصرف عليه وحفظه " [٥].

---

[1] بك ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام . مرجع سابق ، ص ٢٦١ .

[2] الأنصاري ، ناجي محمد : التعليم في المدينة المنورة . ب.ن، ١٤١٤هـ ، ص ٢٣٠.

[3] بك ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام . مرجع سابق ، ص ٢٧٩.

[4] المنوني ، محمد : دور الأوقاف المغربية في التكامل الاجتماعي . ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بغداد ، ١٤٠٣هـ ، ص ٢١٢ .

[5] بك ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام . مرجع سابق ، ص ٢٨٦ .

٨ - **بيمارستان طرابلس** :

بناه نائب السلطنة " عز الدين أيبك الموصلي المنصوري ، وهو أول من بني بطرابلس بيمارستاناً للمرضى ، وذلك خـــلال فتـــرة نيابتـــه (٦٩٤-٦٩٨هـــــ) . ونعتقـــد أن البيمارستان عند جسر السويقة كان من بنائه . وكانت أوقاف هذا البيمارستان تصرف حتى توقفت في ١٩٧٢/١٢/٣١م"[١].

ب – مدارس الطب المستقلة :

١ - **المدرسة الداخورية.** في دمشق[٢] ، أنشأها مهذب الدين عبدالرحيم بن علـــي بـــن حامد ، المعروف بالداخور[٣] ، في سنة إحدى وعشرين وستمائة ، بالصاغة العتيقـــة، وأول من درس بها واقفها [٤].

٢ - **المدرسة الدنيسرية.** في دمشق ، " غربي باب البيمارستان النوري والـــصلاحية بآخر الطريق من قبلة . قال الذهبي في العبر في سنة ست وثمانين وستمائة : عمـــاد الدين أبو عبدالله محمد بن عباس ابن أحمد الربعي الرئيسي الطبيـــب الحـــاذق ، ولـــد بدنسير سنة ست " [٥].

٣ - **المدرسة اللبودية النجمية.** في دمشق أنشأها نجم الدين يحيـــى بـــن محمـــد بـــن اللبودي ، في سنة أربع وستين وستمائة . وأول من درس بها جمال الدين الزواوي[٦].

٤ - **المدرسة المهذبية.** في مصر بناها الحكيم مهذب الدين أبو سعيد محمد بـــن علـــم الدين بن أبي الوحش ، رئيس الأطباء ، الذي توفي سنة ست وسبعين وستمائة[٧]، وقد

---

[1] جيدة ، أحمد خالد : المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي . المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ١٤٢٢، ص ٢٠٧ .

[2] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص٢٦٥ .

[3] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء ٢ ، ص ١٠٠ .

[4] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .مرجع سابق، جزء٩ ، ص ١٠ .

[5] النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس.مرجع سابق ، جزء ٢ ، ص١٠٤ .

[6] ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي: الأعلاق الخطيرة . مرجع سابق، ص ٢٦٦ .

[7] المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار. جزء ٤، ص ٢٠٢.

جرت بين مهذب الدين والطبيب المشهور ابن أبي أصيبعة مراسلات سنة سبع وستين وستمائة، ذكرها ابن أبي أصيبعة في كتابه (طبقات الأطباء) [١] .

ج- المدارس والمراكز الطبية الملحقة .

وهذا النوع يكون في المدارس الجامعة أو في الجوامع الكبيرة ، ومثال ذلك المدرسة المستنصرية التي " جعل فهيا – المستنصر – طبيب حاذق ماهر وأثبت عنده عشرة من الطلبة يشتغلون عليه في علم الطب وجعل لهم الأكحال السائلة وبنيت لهم صفة مقابلة للمدرسة يجلس فيها فيقصده المرضى فيداويهم "[٢].

أما الجوامع فقد ذكر المقريزي عن مسجد ابن طولون أنه عمل فيه " خزانة شراب فيها جميع الشرابات والأدوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة "[٣]،وأما الجامع الأزهر فقد كان يلقي درس الطب فيه " شخصيات لامعة في الطب مثل عبد اللطيف البغدادي الذي كان يلقي دروسه الطبية في الجامع الأزهر ، وكانت أموال الوقف هي المصدر الأول والأخير لمثل هذا التعليم"[٤].

د- الحمامات :

" كان للأوقاف دور كبير في إنشاء الحمامات التي أسهمت في توفير النظافة والتقليل من الأمراض "[٥]. ، وقد تعرضنا عند ذكرنا لأوقاف بعض المدارس الإسلامية أنه من ضمن أوقافها حمامات يستفيد منها طلاب المدرسة ، أو أن ريعها يعود على المدرسة، وهذا ذكرٌ لبعضها:

١- المدرسة البدرية بدمشق. ٢- المدرسة المستنصرية ببغداد.

---

(1) ابن أبي أصيبعة الخزرجي، موفق الدين أحمد بن القاسم: عيون الإنباء في طبقات الأطباء. تحقيق امرؤ القيس بن الطحان، المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٢٩٩هـ ، جزء ٢ ، ص١٣٠.

(2) أمين ، حسين : المدرسة المستنصرية . مرجع سابق ، ص ٥٥ .

(3) المقريزي ، أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار . مرجع سابق ، جزء ٤، ص ٣٨.

(4) السيد ، عبدالملك أحمد : الدور الإجتماعي للوقف . مرجع سابق ، ص ٢٩٠ .

(5) منصور ، سليم هاني : الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر . مرجع سابق ، ص ٨٩ .

٣- مدرسة منازل العز بالقاهرة. ٤- المدرسة الناصـــرية بالقرافـــة(مـــصر).
٥- الخانقاه الصلاحية بالقدس.

الفصل الخامس
تفعيل دور الوقف في دعم البحث العلمي والعملية التعليمية
في الوقت الحاضر

المبحث الأول : أسباب انحسار دور الوقف الإسلامي وعوامل إحيائه
أولاً : أسباب انحسار دور الوقف في الوقت الحاضر.
ثانياً : عوامل إحياء دور الوقف في الوقت الحاضر .

المبحث الثاني : تفعيل دور الوقف في دعم البحث العلمي والعملية التعليمية
أولاً : صور دعم البحث العلمي المباشرة .
ثانياً : الوقف الاستثماري لدعم البحث العلمي .
ثالثاً : استثمار أموال الوقف وشروطه .
رابعاً : تفعيل دور الوقف في دعم العملية التعليمية.

تمهيد

تبين لنا جليّاً الدور البارز الذي أسهم به الوقف الإسلامي في تحقيق نهضة شاملة عمت غالب جوانب الحركة العلمية في القرن السابع الهجري ، فشملت المؤسسات الدينية والاجتماعية والعلمية والصحية ، وتبين أن الوقف كان العامل الأهم في إنشاء وتمويل هذه المؤسسات ، وقد حقق الوقف للعملية التعليمية خاصة ، عدة أمور منها :-

١- تأمين سير العملية التعليمية لفترات طويلة.

٢- توفير استقلالية الموارد المالية ، وبالتالي رفع مستوى حرية التعبير.

٣- تنشيط حركة التأليف من خلال إتاحة المصادر العلمية في المكتبات الملحقة بالمدارس أو المكتبات المستقلة .

٤- تأمين المسكن والمأكل والمشرب لطلاب العلم والمدرسين .

٥- توفير العلاج والرعاية الصحية للمنتسبين لدور العلم .

وغيرها من الأمور التي أتاحها الوقف لدعم العملية التعليمية خاصة والحركة العلمية عامة .

وفي هذا الجزء سيتناول البحث الحديث عن الأساليب التي يمكن إتباعها لإحياء دور الوقف وبعثه من جديد ، وعن الصيغ الحديثة لاستثمار الوقف المتوافقة مع روح هذا العصر ، متأملين ما حققه الوقف من تنوير للمجتمع الإسلامي فيما سبق ، خاصة الازدهار العلمي المتميز الذي تحقق في القرن السابع الهجري ، آملين أن تقوم نهضة إسلامية علمية عامة ، ترتكز على نظام الوقف كأحد أهم دعائمها ، تُعيد للأمة الإسلامية قيادة العالم المعاصر .

المبحث الأول

أسباب انحسار دور الوقف الإسلامي وعوامل إحيائه

قبل الحديث عن عوامل إحياء دور الوقف في وقتنا الحاضر ينبغي أن نتحدث عن أسباب انحسار الوقف واضمحلال دوره في الآونة الأخيرة ، خاصة الأوقاف على المجال التعليمي فضلاً عن المجالات الأخرى.

أولاً : أسباب انحسار دور الوقف في الوقت الحاضر(١):

١- قلة الوازع الإيماني ، وضعف التربية الدينية ، التي تغرس الوعي بأهمية الوقف ، وتُعلي قيم البذل والعطاء ، وإعطاء ذوي الحاجة وفك كرب المكروبين، ومن قعدت بهم السبل ، أو أعيتهم الحيلة أن يوفروا لأنفسهم أو لذويهم متطلبات الحياة وضرورياتها .

٢- غزو القوانين الأجنبية ، وهيمنة نظمها وفلسفتها على التشريعات الإسلامية وخاصة التشريعات المستمدة من الفقه الإسلامي ، ومن بينها قوانين الأوقاف التي تأثرت بالأسلوب الغربي.

٣- ما جاءت به القوانين في بعض الدول من إلغاء للوقف الأهلي، وقد بررت المذكرة الإيضاحية إلغاء الوقف الأهلي بقولها: بأن الوقف الأهلي لا يتناسب مع تطور الأوضاع الاقتصادية ، التي تتطلب حرية تداول المال ؛ ولنا أن نتصور مدى الانحسار الذي أصاب الوقف كنتيجة لإصدار مثل هذه القوانين.

٤- الصلاحيات التي تقررت لوزارات الأوقاف في بعض الدول ، على الأوقاف الخيرية، فإذا كان الوقف على جهة بر ، كان النظر عليها لوزارة الأوقاف بحكم القانون ؛ وهذا لا مبرر له من المنظور الشرعي ، ولا ينبغي أن تنفرد وزارات الأوقاف بهذا الحق، دون الواقف ، إلا إذا استشعرت منه العجز عن إدارة أمواله.

٥- " الانحراف بالوقف عن مقاصده الشرعية ، وأهدافه الدينية ، من التعاون على البر والتقوى والقيام بالمصالح العامة " (٢).

---

(1) الجندي ، محمد الشحات : حول رؤية مستقبلية لنظام الوقف الإسلامي . ندوة إحياء دور الوقف في الدول الإسلامية ، رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة قناة السويس ، بورسعيد ، ١٩٩٨م ، ص ٢٥٤ .

(2) الصالح، محمد بن أحمد: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع . مرجع سابق ، ص ٢٠٨

٦- "سوء استغلال الوقف الأهلي ، والتصرف فيه بالمخالفة لشرع الله وذلك من قبل بعض الواقفين الذين قصدوا بوقفهم مضارة بعض الورثة"[١].

٧- الإخلال بأمانة نظارة الوقف من جانب بعض النظار ، مما يؤدي إلى تدهور العين الموقوفة وخرابها ، إلى جانب الكثير من الخصومات التي تنشأ بين الأسر نتيجة تخوين الناظر أو اتهامه بسوء الإدارة .

٨- قلة التوعية الإعلامية والدينية بأهمية الوقف والنفع العظيم الذي يعود به على المجتمع والفرد في الدنيا والآخرة .

وهناك سبب آخر يتعلق بقلة الأوقاف التعليمية خاصة ، وهو:

٩- اعتقاد البعض أن الوقف الإسلامي ينحصر في الوقف على الجوانب الدينية فقط وأنها أعظم أجراً عند الله ، والحقيقة أن الثواب يكون على قدر حاجة الناس وعلى مقدار النفع الذي يحصل لهم من هذا الوقف ، فقد يوجد بلد يحتاج إلى التعليم والعلاج أكثر من حاجته لبناء المساجد .

ثانياً : إحياء دور الوقف في الوقت الحاضر .

وهي سلسلة من الإجراءات المتضافرة التي تستهدف تنشيط دور الوقف التنموي ، " وتوضيح الفكر الإسلامي الرشيد وتنقية مما علق به من شوائب ، من خلال منطق إسلامي صحيح " [٢] مبني على الكتاب والسنة واجتهادات الفقهاء التي يراعون فيها متطلبات التنمية واحتياجات العصر.

أولاً: الحاجة الماسة إلى إحياء دور الوقف[٣]:

تظهر الحاجة الماسة والملحة لإحياء دور الوقف في وقتنا الحالي من خلال ما يأتي:

١- تخفيف الأعباء والضغوط المالية عن كاهل الحكومة الإسلامية وذلك بفتح أبواب البر والخير والصدقات أمام الموسرين من أبناء المجتمع.

---

[1] الصالح، محمد بن أحمد: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع . مرجع سابق ، ص ٢٠٨ .

[2] إبراهيم ، مصطفى علي : دور الوقف في تنمية المجتمع . ندوة إحياء دور الوقف في الدول الإسلامية ، رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة قناة السويس ، بورسعيد ، ١٩٩٨م ، ص ٤١٩ .

[3] الصالح، محمد بن أحمد : الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع . مرجع سابق ،ص٢١٢.

٢- تحقيق العدالة الاجتماعية بين جميع فئات المجتمع المسلم ، حيث يكفل نظام الوقف العدالة في توزيع أمواله وريع مشروعاته على جميع أبناء المجتمع المسلم .

٣- استمرارية التمويل المالي للتنمية ، فالوقف يعتبر من أهم مصادر التمويل المستمر للمشروعات الاستثمارية المختلفة

٤-ربط الروح بالمادة ، وهو ما يعبر عنه بربط الدين بالدنيا ، حيث يحقق الوقف الخيري شطري المعادلة الصعبة للتنمية ، فالوقف ينمي الجانب الروحي والأخلاقي ، وفي الوقت نفسه يعمل الوقف على ازدهار الجانب المادي للتنمية.

٥- تأمين استقلالية التعليم ، بعيداً عن الضغوطات السياسية و الاجتماعية.

ثانياً: عوامل إحياء دور الوقف في الوقت الحاضر .

يتطلب إحياء دور الوقف واستعادة مكانته ، الاهتمام الفاعل من جانب أهل الخير والعطاء في المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وهذه بعض السياسات والآليات التي يمكن أن تؤدي إلى تفعيل دور الوقف [1]:-

١- أن يصدر تشريع موحد للوقف ، يجمع شتات الإصلاحات المتعاقبة في القوانين المتلاحقة ، بحيث يضم كل الإصلاحات والمستجدات في مدونة واحدة ، تكون أساساً لأحكام مشروع القانون الموحد كبديل للمواد المبعثرة هنا وهناك، بحيث تجسد كل التطلعات ، وتفي بكافة الاعتبارات الدينية والحياتية .

٢- وضع سياسة للعمل الاجتماعي ، بمنظوره الإسلامي الشامل ، ليكون هدفها دعم تنمية الأوقاف ، وإزالة كافة المعوقات والصعوبات التي تعترض النهوض به.

٣- الإفادة من تجارب الدول الإسلامية الأخرى في الأوقاف ، والتعاون معها من أجل تفعيل دور الوقف ، وترشيد أنشطته ، في إطار مقاصده الإسلامية .

٤- توجيه المنظمات الأهلية ، والجمعيات والمؤسسات الخاصة في العالم الإسلامي ، إلى تبني المبادئ الإسلامية في الوقف ، والأخذ بفلسفته ، ودعم الأنشطة الخيرية والتطوعية التي قام بها الوقف في المجتمعات الإسلامية .

---

[1] الجندي ، محمد الشحات : حول رؤية مستقبلية لنظام الوقف الإسلامي . مرجع سابق ، ص ٢٦٨-٢٦٩.

٥- العناية بالوقف من خلال المؤسسات التعليمية ، وخاصة الجامعات ومراكز البحوث ، بحيث تكون قضايا ومشكلات الأوقاف محل دراسة وتقييم للارتقاء بالوقف ، واسترجاع دوره المفقود .

٦- بث الوازع الديني ، وتعميق الجانب الإيماني ، وبعث روح الإحسان في نفوس رجال الأعمال ، والقادرين ، وتذكيرهم بأن المال مال الله ، وأن للفقراء حقاً فيه .

٧- إنشاء مركز للمعلومات ، ووضع قاعدة للبيانات ، تتضمن حصراً بالأوقاف ونوعها وموقعها ، على أن ترصد التطورات الحاصلة في مجالات الأوقاف .

٨- التأكيد على التعاون والتنسيق بين وزارة الأوقاف والوزارات الأخرى ذات الصلة الوثيقة بالأنشطة الاجتماعية من أجل أن تتضافر الجهود ، التي من شأنها إثراء العمل الخيري والتطوعي في المجتمع .

٩- نشر التوعية بين أفراد المجتمع ، عن طريق الإعلام بأهمية الوقف، والدور الخلاق الذي لعبه على مدى التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي في المجتمعات الإسلامية.

المبحث الثاني/ تفعيل دور الوقف في دعم البحث العلمي والعملية التعليمية.

أولاً: صور دعم البحث العلمي المباشرة.

يعتبر البحث العلمي أساساً للتقدم في شتى المجالات العلمية والتنموية، والحاجة ماسة في عصرنا الحاضر مع تقدم البحث العلمي، وتطور تقنياته، وزيادة تكاليف المعيشة، وحاجة المجتمع إلى التقدم ومواكبة متغيرات العصر، وتلبية حاجاته المعاصرة إلى الإفادة من الوقف، وتطوير آلياته، وابتكار صيغ تتناسب مع الاقتصاد المعاصر، وتراعي الأحوال والظروف الاجتماعية، والتوعية والتثقيف لتحفيز الناس على المشاركة في الأوقاف لضمان استمرارها، وقيامها بدورها المنشود، وسواء أكان هذا التطوير في صيغة الوقف، أم في طريقة إدارته واستثماراته،أم في مجالات صرف ريعه، كما توجد صور متعددة للوقف المباشر على البحث العلمي منها[١]:

---

[1] العمراني، عبدالله بن محمد: دور الوقف في دعم البحث العلمي. جلسات منتدى الشراكة المجتمعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، ١٤٣٠هـ ، ص٢.

١. وقف الكتب.

وهذا النوع يصدق عليه أنه تحبيس أصل لينتفع به بالاطلاع عليه، ويمكن أن يشجع الناس على هذا النوع من الوقف ببرامج توعوية تثقيفية في المدارس، والجامعات، ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، وعبر المطويات والنشرات التعريفية بأهمية وقف الكتب لطلاب العلم والباحثين من خلال وسائل وطرق متنوعة؛ منها:

- أن يشتري الواقف مجموعة من الكتب النافعة،ويقوم بوقفها ووضعها في المكتبات العامة ومكتبات الجامعات.. وغيرها.
- أن تعد قائمة بالكتب المهمة التي يحتاج إليها الباحثون وطلاب العلم مقرونة بأسعارها، ومن ثم يتم شراؤها بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة.
- أن يشترك من يرغب في الوقف اشتراكا شهريا أو سنويا لوقف الكتب الجديدة.
- أن يقوم مؤلف الكتاب بوقف نسخ معينة من كتبه للمكتبات العامة.
- أن يقوم المؤلف بوقف حقوق طبع الكتاب ونشره لمن أراد نشره مجانا، فيكون بذلك قد وقف ما يملكه من حقوق معنوية للكتاب.

٢. وقف البرامج الحاسوبية.

تحوي البرامج الحاسوبية عدداً كبيراً من الكتب المتخصصة، ويتوفر في هذه البرامج غالباً محرك بحث، يمكن الباحث من الوصول للمعلومة التي يبحث عنها بدقة، وفي كل المواضع، وقد تم إصدار عدد من البرامج المتخصصة في الفقه من الكتب التراثية، أو الكتب والمجلات المعاصرة المتخصصة في الفقه، أو الفتاوى المعاصرة.

ويمكن لمن يرغب في الوقف بهذا النوع من البرامج شراء نسخ من البرنامج العلمي، ومن ثم توفيره للمكتبات العامة ومراكز الأبحاث، أو إهداؤه للباحثين وطلاب العلم.

٣. وقف المكتبات.

وذلك بأن يقوم الواقف ببناء مكتبة وتزويدها بالكتب التي يحتاج إليها الباحثون في العلوم النافعة في شتى التخصصات، أو في التخصص الذي يحدده الواقف، كما يتم تزويدها بالوسائل التي تخدم الباحثين؛ مثل: أجهزة الحاسب، وبرامجه، وشبكة

المعلومات الإنترنت، وقواعد المعلومات، ومحركات البحث، وبذلك يشارك الأفراد والقطاع الخاص في وقف المكتبات كما كان ذلك معهوداً على مر التأريخ.

وقد ذكر أحد الباحثين بعض المقترحات بهذا الصدد:

- توعية الأفراد والقطاع الخاص بأهمية المشاركة في إنشاء المكتبات الوقفية.
- متابعة الإصدارات الجديدة، وتطوير الآليات المناسبة لتزويد المكتبات الوقفية بها.
- التواصل مع المكتبات العامة المحلية والعالمية، والاشتراك في الشبكات وقواعد المعلومات التي تخدم الباحثين.
- متابعة البرامج الحاسوبية الجديدة.
- متابعة الموسوعات الورقية والإلكترونية.
- الاشتراك في الدوريات والمجلات ومراكز الأبحاث.
- تهيئة المكان المناسب للقراءة، وأوقات الاستراحة.

٤. وقف الأجهزة.

يمكن للواقف أن يقف أجهزة الحاسب، أو التجهيزات التي تحتاجها المكتبات، أو المعامل المتخصصة، أو الأدوات والأجهزة التي يحتاج إليها الباحثون، مما يمكن الانتفاع به بعينة لخدمة الباحثين، وتطوير البحث العلمي.

ثانياً: الوقف الاستثماري لدعم البحث العلمي

تبرز في العصر الحاضر أهمية توفير الموارد المالية بصيغة الوقف الاستثماري الذي يصرف ريعه لدعم البحث العلمي؛ نظراً لتطور البحث العلمي، وتطور الإدارات الإشرافية، ومراكز البحوث.

و فيما يأتي عرض لأبرز المجالات والكيانات البحثية التي يمكن صرف ريع الأوقاف فيها[١]:

---

(1) العرجاوي، مصطفى: الوقف وأثره على الناحيتين الاجتماعية والثقافية في الماضي والحاضر. ندوة احياء دور الوقف في الدول الاسلامية، نظمتها رابطة الجامعات الاسلامية بالتعاون مع جامعة قناة السويس، بور سعيد، ١٩٩٨م، ص ١٩١ – ١٩٤.

١ - إنشاء مؤسسات كبرى للبحث العلمي.

أول خطوة لتطوير دور الوقف التقليدي في البلاد الإسلامية، أن يتوجه رجال المال لإنشاء مؤسسات كبرى للبحث العلمي على غرار" مؤسسة روكفلر" للتقدم الصحي والعلمي، وقد أسهمت هذه المؤسسة إسهاما كبيراً في ميادين الصحة العامة، والبحوث الطبية، والعلوم الطبيعية والاجتماعية ويعمل بها عدد كبير من الباحثين، وتقدم المؤسسة منحاً مالية لآلاف الطلاب.

٢ - تأسيس الجامعات والمعاهد العلمية.

ونحن لا نعني تأسيس الجامعات الأهلية الطفيلية التي تستغل ميادين العلم لاستثمار أموالها لتحقيق أكبر عائد من ورائه، وذلك من خلال إنشاء هذه الجامعات بكلياتها النظرية والعملية، وإنما نعني تأسيس الجامعات والمعاهد العلمية الخيرية، لإعداد علماء في مختلف التخصصات المتميزة التي تساعد على رفع المستوى الثقافي والاقتصادي والعسكري في ديارنا.

٣ - إقامة المؤسسات الثقافية والإعلامية.

وتسخيرها لتثقيف وتربية الأجيال المسلمة من خلال البرامج العلمية والتعليمية ، ولحمل رسالة الإسلام السمحة للعالم .

٤ - تخصيص الجوائز في كافة مجالات المعرفة.

فعلى من أغناهم الله تعالى أن يقدموا جزءاً من أموالهم ويوقفونه على هذه الجوائز الكبرى، لإثراء المجال العلمي وتشجيع العلماء على البحث و التعمق و الإنقطاع لكل ما يحقق النفع للبشرية جمعاء.

وفيما يلي استكمال لهذه المجالات[١]:

٥ - الموسوعات العلمية.

تقدم الموسوعات العلمية المتخصصة خدمات نافعة للباحثين، وتوفر لهم كثيراً من الوقت والجهد، خاصة إذا اعتني فيها بالإشراف العلمي، واختيار الباحثين المتميزين، ومن أمثلة هذه الموسوعات في عصرنا الحاضر: الموسوعة الفقهية التي تشرف عليها

---

[1] العمراني، عبدالله بن محمد: دور الوقف في دعم البحث العلمي.مرجع سابق ، ص٤١.

وزارة الأوقاف في الكويت، التي أصدرت ما يزيد على خمسين مجلداً، وهذا النوع من الأبحاث الموسوعية يحتاج إلى مجموعة كبيرة من الباحثين المتخصصين والإداريين، كما يحتاج إلى موارد مالية، وتعتبر الأوقاف من أبرز الموارد لإنجاز هذه المشاريع العلمية.

٦ - كراسي الأبحاث.

برزت هذه الصيغة من صيغ البحث العلمي لتطوير البحث العلمي وزيادة دعمه، وقد جاء تعريف الكرسي العلمي: بأنه عبارة عن منحه نقدية أو عينية، دائمة أو مؤقتة، يتبرع بها فرد أو شخصية اعتبارية، لتمويل برنامج بحثي أو أكاديمي في الجامعة، ويعين فيه أحد الأساتذة المتخصصين المشهود لهم بالتميز العلمي والخبرة الرائدة والسمعة الدولية، وقد أثبتت هذه الصيغة نجاحها في تشجيع المتبرعين على التبرع لدعم هذه الكراسي أو للوقف لصالح كرسي محدد أو كراسي متجددة.

٧ - مراكز تأهيل الباحثين.

ونحن بحاجة اليوم إلى مراكز متخصصة في تأهيل الباحثين، وخاصة في العلوم الشرعية؛ لتكون مساندة للجامعات، وتزود الباحث بكافة المهارات في طريقة البحث العلمي المعاصر، والمهارات التقنية، ومهارات التفكير الإبداعي و الإبتكاري في مجال الفقه المعاصر، ويتم دعم هذه المراكز بالأوقاف.

ثالثاً: استثمار أموال الوقف وشروطه .

الاستثمار هو " استخدام الأموال في الإنتاج مباشرة بشراء الآلات ، وإما بطريقة غير مباشرة كشراء الأسهم والسندات " [١].

والحكمة من استثمار أموال الوقف أن ذلك " يؤدي للحفاظ عليها حتى لا تأكلها النفقات والمصاريف ... إضافة إلى ذلك فإن الوقف الذي يراد له الاستمرار ، ومن مقاصده التأبيد ، لا يمكن أن يتحقق له ذلك إلا من خلال الإستثمارات الناجحة " [١].

---

[1] القرة داغي ، على محي الدين : نظرة تجديدية للوقف واستثماراته . موقع الإسلام أون لاين نت ٢٠٠٣م . www.islamonline.net

إذن " فالهدف الاقتصادي المباشر لاستثمار أموال الأوقاف هو توليد دخل نقدي مرتفع بقدر الإمكان يسمح للأوقاف بتقديم الخدمات المنتظرة منها للمجتمع ، أي زيادة تيـــار الدخل النقدي المتولد من الاستثمارات الوقفية إلى أعلا مقدار ممكن وذلك عن طريـــق الاستثمار الحلال المجزي لأموالها"[٢].وبما أن أمـــوال الوقـــف أمـــوال عامـــة لهـــا خصوصية معينة ، حيث أنه لا يجوز المغامرة بها في استثمارات طائشة ، لابـــد فـــي استثمارها من مراعاة الشروط التالية[٣]:

١- الأخذ بالحذر والأحوط ، والبحث عن كل الضمانات الشرعية المتاحة ، وقد أجاز مجمع الفقه الدولي ضمان الطرف الثالث لسندات الاستثمار ، ومن هنـــا فعلـــى إدارة الوقف البحث عن مثل هذا الضمان بقدر الإمكان .

٢- الاعتماد على الطرق الفنية والوسائل الحديثة ودراسات الجدوى ، ورعايـــة أهـــل الإخلاص والاختصاص والخبرة في من يعهد إليهم الاستثمار .

٣- التخطيط والمتابعة والرقابة الداخلية على الاستثمارات .

٤- مراعاة فقه الأولويات وفقه مراتب المخاطر في الاستثمارات و فقه التعامـــل مـــع البنوك والشركات الاستثمارية ، بحيث لا تتعامل إدارة الوقف إلا مع البنوك الإسلامية.

رابعاً : تفعيل دور الوقف في العملية التعليمية .

تحتاج العملية التعليمية لتيسر بشكل صحيح إلى إمكانيات كبيرة جداً ، سواءً من ناحية التجهيزات المادية أو من ناحية القوى البشرية التـــي تُـــسير دفـــة التعلـــيم ، وتتكبـــد الحكومات مبالغ مادية ضخمة ، تضخها كل عام في قطاع التعليم والتدريب ، فمثلاً في ميزانية المملكة العربية السعودية لعام ١٤٣٢/١٤٣١هـــ " بلغ ما تم تخصيصه لقطاع التعليم العام والتعليم العالي وتدريب القوى العاملة حوالي (١٣٧,٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠) مئة وسبعة وثلاثون ملياراً وستمائة مليون ريال ويمثل أكثر من ٢٥% بالمائة من النفقـــات

---

(1) القرة داغي ، على محي الدين : نظرة تجديدية للوقف واستثماراته ، مرجع سابق.

(2) الزرقا ، أنس : الوسائل الحديثة للتمويل والاستثمار . وقائع الحلقة الدراسية لتثمير ممتلكات الأوقـــاف ، البنـــك الإسلامي للتنمية ، جدة ، ١٤١٥هـــ ، ص ١٨٦ .

(3) القرة داغي ، علي محي الدين : نظرة تجديدية للوقف واستثماراته ، مرجع سابق .

المعتمدة للعام المالي القادم ، وبزيادة نسبتها (١٣) بالمائة عن ما تم تخصيصه بميزانية العام المالي الحالي ١٤٣١/١٤٣٠هـ "[١] ، ومن خلال هذه الأرقام يتضح للقارئ الكريم مدى ضخامة المبالغ المخصصة لقطاع التعليم ومدى إهتمام الحكومات بهذا الجانب الذي يجب أن يكون مجانياً ومتاحاً للجميع .

وفي العصور السابقة من تاريخ الأمة الإسلامية قام الوقف الإسلامي بمهمة تمويل قطاع التعليم ، و أمَّن له احتياجاته بصفة مستمرة لفترات طويلة ، دون أن تتكلف الحكومات شيئاً كثيراً يرهق ميزانيتها ، ونحن اليوم بأمس الحاجة لأن يعود للوقف شيء من دوره وأن يسهم ولو بنسبة محددة ، في دعم الحركة العلمية سواءً في الجامعات أو التعليم العام أو مؤسسات البحث العلمي .

وقد يواجه الوقف التعليمي اليوم بعض الصعوبات ، فلا يمكن أن يقوم واقف بإنشاء مدرسة مستقلة يدرّس فيها ما يشترطه من الكتب و المناهج أو يتحكم ببرنامجها الزمني أو نظامها الإداري ، لأن هذا يعتبر تعدي على سيادة الدولة ، بينما كان هذا ممكناً سابقاً كما هي المدارس التي تدرس المذهب الشافعي أو الحنفي أو غيره ؛ فهل الحل هو غلق هذا الباب نهائياً أم ماذا ؟

وفي رأي الباحث أنه يجب فتح باب الوقف على الجوانب التعليمية ولكن بشرط أن يكون تحت مظلة وزارة التربية والتعليم ، وذلك عن طريق إنشاء **وكالة للوقف التعليمي** ، تقوم باستقبال الراغبين في الوقف ، وتحدد لهم عدة خيارات وقفية تتحصر في :

١- وقف الأراضي والمساحات اللازمة لإنشاء المدارس .

٢- إنشاء المباني المدرسية .

٣- تجهيزات المدارس والوسائل التعليمية .

٤- طبع المناهج الدراسية الخاصة بوزارة التربية والتعليم .

---

[1] بيان وزارة المالية حول ميزانية الدولة للعام المالي ١٤٣٢/١٤٣١هـ ، الموقع الرسمي لوزارة المالية السعودية www.mof.gov.sa .

وبعد أن يعقد الواقف العزم على إنجاز وقفه ، تقوم وكالة الوقف التعليمي بتوجيهه إلى المحاكم الشرعية لإثبات نص وقفيته شرعاً ، وذلك وفق نصوص وقفية معدة مـسبقاً ، ومدروسة من خبراء شرعيين وتربويين ، تجعل حق نظارة الوقف لـوزارة التربيـة والتعليم ، و تسقط حق الواقف وذريته في التدخل في أي شأن من شؤون المدرسـة . وإنما يكتفي بالأجر من الله عز وجل .

وينبغي أن تصاغ النصوص الوقفية بطريقة تجعل الخيارات كثيرة أمام الوزارة للتحكم في هذا الوقف ، كالاستبدال والاستثمار وغيرها من الصيغ التي لا يعجز عنها فقهـاء الشريعة .

وللقيام بهذه المهام فلابد من وضع آلية للعمل ، تحدد الخطوات الإجرائية التي منها ما يلي [1]:-

١- الاستفادة من أئمة وخطباء المساجد في المملكة – بعد التنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في هذا المجال – للتعريف بأهمية الوقف على التعليم وأنه باب من أبواب البر والخير .

٢- استقطاب عدد من طلبة العلم والواعظين ليتولوا نشر الوعي بين أفـراد المجتمـع وتعريفهم – وخاصة الموسرين – بهذا المشروع وأهدافه.

٣- تفعيل وسائل الإعلام المختلفة في هذا المجال .

٤- إصدار نشرات تعريفية توضح المجالات التي من الممكن مساهمة الواقف فيها.

٥- عقد اللقاءات والمؤتمرات بين فترة وأخرى ، يتولى فيها علماء الفقـه الإسـلامي وعلماء التربية مناقشة هذا الموضوع وما يجدُّ فيه ، وبحث الوسائل والسبل التي تسهل عملية الاستفادة من الأموال الوقفية في المجال التعليمي .

٦- إعداد الدراسات والبحوث التي من شأنها تفعيل دور الوقف في العملية التعليمية ، بحيث تعزز الجوانب الإيجابية وتتلافى الجوانب السلبية – إن وجدت-.

---

[1] المعيلي ، عبدالله بن عبدالعزيز : دور الوقف في العملية التعليمية . ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، مكة المكرمة ، ١٤٢٠هـ،ص ٧٣ .

المجالات التعليمية التي من الممكن مساهمة الوقف فيها، ويمكن تقسيم هذه المجالات إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي[1]:

أولاً: مجال الإنشاء والبناء:

وهي المجالات التي تكون فترتها العمرية طويلة، بحيث يمكن إنشاؤها ووقفها مباشرة ومن هذه المجالات ما يلي:

١ – بناء المدارس سواء كانت مجمعات تعليمية تضم أكثر من مرحلة دراسية، أو منفردة، وسواءً كانت للتعليم العام، أو مدارس تحفيظ القرآن الكريم.

٢ – شراء الأراضي الواسعة الصالحة لأن تكون مدرسة.

٣ – بناء الفصول الإضافية في المدارس ذات الكثافة الطلابية العالية.

٤ – بناء مكتبات عامة، سواء كانت منفردة أو ملحقة بالمدرسة.

٥ – بناء مساكن للطلاب، وخاصة المحتاجين من طلاب معاهد النور أو معاهد التربية الفكرية أو كليات المعلمين، أو الوافدين من مناطق لا توجد فيها مدارس أو جامعات.

٦ – بناء معاهد ومؤسسات لرعاية ذوي الحاجات الخاصة كالطلاب الذين يعانون من تخلف عقلي أو صعوبات في التعلم.

٧ – بناء المصليات في المدارس.

٨ – بناء المظلات في أفنية المدارس وخاصة المدارس الكبيرة.

٩ – بناء المعامل والمختبرات.

ثانياً: مجال التجهيزات:

ويعنى هذا المجال بتزويد المدارس بما تحتاجه من الأثاث والوسائل والمستلزمات بما يسهم في تحقيق العملية التعليمية لأهدافها التربوية ومنها:

١ – تأثيث المدارس بما تحتاجه من فرش وكراسي وطاولات.

٢ – تجهيز المختبرات والمعامل بما يلزم من أدوات مخبرية ومواد كيماوية.

---

[1] المعيلي ، عبدالله بن عبدالعزيز : دور الوقف في العملية التعليمية . مرجع سابق، ص ٧٧ - ٧٩ .

٣ – شراء برادات الماء.

٤ – شراء المكيفات.

٥ – توفير أجهزة الحاسب الآلي.

٦ – توفير الوسائل التعليمية كالخرائط والنماذج وغيرها.

٧ – توفير الدفاتر والأقلام وغيرها من المستلزمات للطلاب المحتاجين.

٨ – تزويد مكتبات المدارس بالكتب النافعة للطلاب.

٩ – توفير الحقائب التدريبية في كافة المجالات التعليمية.

ثالثاً: مجال الخدمات التربوية:

ويعنى هذا المجال بتقديم الخدمات التربوية المختلفة سواءً كانت للطالب أو العاملين في المدرسة ومنها:

١ – الاهتمام بالموهوبين ورعايتهم.

٢ – توفير العلاج لمن يحتاج من الطلاب.

٣ – سقاية الطلاب.

٤ – تغذية الطلاب المحتاجين.

٥ – صيانة المدارس.

٦ – القيام بنظافة المدرسة.

٧ – نقل الطلاب من وإلى المدرسة.

٨ – التكفل بنفقات الطلاب المبتعثين لاستكمال دراساتهم داخلياً وخارجياً.

على أن مجال التجهيزات، ومجال الخدمات التربوية لا يوقف عليهما مباشرة، بل الأولى الصرف على هذين المجالين من ريع الوقف، لأن من شروط الوقف أن يبقى الأصل، وهذا لا يتوفر – غالباً – في هذين المجالين إذ هما مما يستهلك وتنعدم الاستفادة منه بعد فترة زمنية قصيرة.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..... أما بعد

فأحمد الله الذي أتم عليَ نعمته بإتمام هذا البحث ، عن موضوع مهم كالوقف الإسلامي ، هذا النظام الذي أثبت فعاليته عبر الزمن، بداية من عصر النبوة إلى وقتنا الحاضر، حتى أصبح سمة من سمات المجتمع المسلم ، ولكنه اليوم قد يعاني من تراجع ملحوظ نتيجة أسباب عديدة ، أهمها في نظري ، قلة الوعي بأهمية الوقف وما هي مجالاته الأخرى غير المجالات الدينية المحضة، وكذلك عدم وضوح إجراءات تسجيل الوقف أو تعقيدها من جانب وزارات الأوقاف ، إلى جانب تقصير إعلامي في نشر ثقافة الوقف في المجتمعات الإسلامية.

ونحن اليوم بأمس الحاجة لإحياء دور الوقف التنموي من جديد، كما سبق وقام به من قبل في تاريخنا الإسلامي ، وشواهد ذلك كثيرة ، منها إسهامه في دعم الحركة العلمية في القرن السابع الهجري ، هذا القرن الذي شهد ما يمكن أن نسميه ثورة في بناء المدارس في أنحاء شتى من العالم الإسلامي، كما شهد كذلك بناء العديد من مدارس الطب ففي دمشق مثلاً افتتحت ثلاث مدارس للطب ومدرسة للهندسة ، كما أحصى الباحث ٨ بيمارستانات كلها أُنشئت في القرن السابع الهجري، والشواهد على إزدهار الأوقاف في ذلك القرن كثيرة ، ذكرت منها ما استطعت خلال هذا البحث ، مع إيماني بعجزي عن الإحاطة بكل ما في ذلك القرن من المؤسسات الوقفية التي أسهمت في دعم الحركة العلمية في ذلك القرن.

وقد توصلت إلى عدد من **النتائج** هي:

٣. أن الوقف في القرن السابع الهجري خاصة إزدهر إزدهاراً عظيماً، أدى إلـــى نهضة علمية كبيرة وشاملة حيث أحصى الباحث ٤١٠ مؤسسة وقفية ، أفرزت علماء أفذاذ وأسماء عظيمة، لا تزال مؤلفاتهم حاضرة حتى اليـــوم، كـــالنووي والعز بن عبدالسلام وابن تيمية ، وابن النفيس وغيرهم.

٤. أن النظام التعليمي في ذلك القرن ، كان يعتمد اعتماداً كبيـــراً علـــى الوقـــف كمصدر أساسي لتمويل أنشطته.

٥. أن الوقف في القرن السابع الهجري لم ينحصر على الجوانب الدينية فقط، بـــل كانت هناك أوقاف اجتماعية كالأربطة والخوانق، وأوقاف تعليمية كالمـــدارس وأوقاف ثقافية كالمكتبات وأوقاف في مجال الرعاية الصحية كالبيمارستانات.

٦. إنتشار المذهب الشافعي في كلٍ من مصر والشام في القرن الـــسابع الهجـــري، نظراً لكثرة المدارس الشافعية بالنسبة للمدارس الأخرى.

٧. قلة أعداد الطلبة في المدارس في القرن السابع الهجري الذي أدى حتمـــاً إلـــى جودة المخرجات.

٨. أن الوقف في القرن السابع الهجري أسهم في قيام المدارس المتخصـــصة فـــي تدريس الطب وعلومه.

٩. أن نظام التعليم في القرن السابع الهجري ، كان يتمتع باستقلالية موارده اعتماداً على الوقف.

التوصيات

٤. التوعية الإعلامية بأهمية الوقف والدور الذي يؤديه في تحقيق التكافل الاجتماعي من خلال إعالة الفقراء والمرضى والأرامل والأيتام.
٥. إنشاء وكالة للوقف التعليمي تتبع لوزارة التربية والتعليم ، تُشرع وتضع الأنظمة والقوانين التي تفتح المجال أمام الراغبين في الإسهام في مجال الأوقاف التعليمية.
٦. دعوة الأئمة والخطباء لتذكير بالأجر العظيم والثواب الجزيل الذي يلحق الواقف في حياته وبعد مماته.
٧. التوعية بأن الوقف لا ينحصر على الجوانب الدينية فقط، وأن الوقف على الجانب التعليمي قد يكون ثوابه عند الله أعظم إذا كانت الحاجة إليه أكثر.
٨. إنشاء صناديق وقفية متعددة الأغراض، ومن ثم الدعوة للمساهمة فيها ولو بالقليل تحت إشراف وزارة الأوقاف.
٩. استحداث صيغ وقفية حديثة من جانب مجمعات الفقه الإسلامي، تتناسب مع متطلبات العصر الحاضر، وتتوافق مع أنظمة ولوائح وزارات التربية والتعليم والصحة والثقافة والإعلام ، حتى يتسنى للمحسنين الوقف على المجال الذي يرغبونه.
١٠. الإفادة من التجارب الناجحة في بعض الدول الإسلامية ، ومحاولة تطويرها وتطبيقها في الدول الأخرى.

قائمة المراجع والمصادر

أولاً: المصادر.

١. القرآن الكريم.

٢. ابن أبي أصيبعة الخزرجي، موفق الدين أحمد بن القاسم: عيون الإنباء في طبقات الأطباء. تحقيق امرؤ القيس بن الطحان، المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٢٩٩هـ.

٣. ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم : الكامل في التاريخ ، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ

٤. ابن الفوطي ، كمال الدين عبدالرزاق بن تاج الدين أحمد : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب . تحقيق مصطفى جواد ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٦٥م

٥. ابن بطوطة ، محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي الطنجي : تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٣٠هـ

٦. ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف : النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٩هـ

٧. ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم : مجموع الفتاوى. تحقيق أنور الباز و عامر الجزار، دار الوفاء، القاهرة، ١٤٢٦هـ

٨. ابن جحر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري. دار الفكر، بيروت، ب.ت

٩. ابن حجر الهيتمي ، شهاب الدين أحمد بن محمد : تحفة المحتاج بشرح المنهاج . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ

١٠. ابن حزم ،علي بن أحمد: المحلى بالآثار. دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٨هـ

١١. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبرى. تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ
١٢. ابن شداد ، أبي عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٣٧٥هـ
١٣. ابن شداد ، محمد بن علي : الأعلاق الخطيرة . تحقيق دومينيك سورديل ، المعهد الفرنسي ، دمشق ، ١٩٥٣م
١٤. ابن عبدالبر ، يوسف بن عبدالله : الكافي في فقه أهل المدينة المالكي. دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت
١٥. ابن قدامه ، موفق الدين عبدالله بن أحمد : المغني .ط٢، هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٤١٢هـ
١٦. ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية .ط٣، تحقيق صدقي محمد العطار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٩هـ
١٧. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القران العظيم. دار طيبة للنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ
١٨. ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١هـ
١٩. ابن مفلح ، برهان الدين إبراهيم محمد ، المبدع شرح المقنع ، المكتب الإسلامي ، ط٣، ١٤٢١هـ
٢٠. ابن مفلح، شمس الدين محمد بن مفلح: الفروع. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ
٢١. ابن نجيم ، زين الدين بن إبراهيم: البحر الرائق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ
٢٢. أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. مطبعة وادي النيل، القاهرة، ١٢٨٧هـ

٢٣. الأنصاري، أبي يحيى زكريا: أسنى المطالب شرح روض الطالب. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ
٢٤. البخاري ، محمد بن إسماعيل بن المغيرة: الجامع المسند الصحيح من أمور الرسول صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢٢هـ
٢٥. البعلي ، شمس الدين محمد بن أبي الفتح: المطلع على أبواب المقنع . المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٨٦هـ
٢٦. البغوي، الحسين بن مسعود: التهذيب في فقه الإمام الشافعي. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ
٢٧. البيهقي، أبو بكر احمد بن حسين: السنن الكبرى. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ
٢٨. التهانوي، محمد علي: كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٨هـ
٢٩. الجوهري ، إسماعيل بن حماد: معجم الصحاح. دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٦هـ
٣٠. الحطاب ، محمد بن محمد المغربي: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل. دار عالم الكتب ، الرياض ، ١٤٢٣هـ
٣١. الحميري ، نشوان بن سعيد: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤٢٠هـ
٣٢. الخزرجي ، موفق الدين علي بن الحسن : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية . تحقيق عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤٣٠هـ
٣٣. الدسوقي المالكي، محمد بن احمد بن عرفة: حاشية الدسوقي. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ
٣٤. الدميري ، محمد بن موسى: النجم الوهاج شرح المنهاج . دار المنهاج ، ١٤٢٥هـ

٣٥. الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد : سير أعلام النبلاء . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٩هـ

٣٦. الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : تاريخ الإسلام . دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ

٣٧. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: العبر في خبر من غبر. تحقيق أبوهاجر محمد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٥هـ

٣٨. الرافعي، أبي القاسم عبدالكريم بن محمد: العزيز شرح الوجيز. تحقيق علي معوض وعادل عبدالموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ

٣٩. الزبيدي ، زين الدين أحمد بن أحمد : مختصر صحيح البخاري ، دار المؤيد ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ

٤٠. الزبيدي ، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس. دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ

٤١. السرخسي ، محمد بن أحمد: المبسوط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ

٤٢. السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : تاريخ الخلفاء . المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣هـ

٤٣. السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٥هـ

٤٤. الشوكاني، محمد بن علي: السيل الجرار المتدفق على حدائق الانهار. تحقيق محمود ابراهيم زايد، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٤٠٨هـ

٤٥. الشوكاني، محمد بن علي: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار. طبعة دار الحديث، القاهرة، ب.ت

٤٦. الشيرازي ، إبراهيم بن علي: المهذب. دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ،

٤٧. الصالحي ، محمد ابن طولون : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية . تحقيق محمد أحمد دهمان ، مكتب الدراسات الإسلامية في دمشق ، دمشق ، ١٣٦٨هـ
٤٨. الصاوي ، أحمد: بلغة السالك لأقرب المسالك على الشرح الصغير للدردير. دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ
٤٩. الصنعاني ، محمد بن إسماعيل : سبل السلام . مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، ١٤٢٠هـ
٥٠. الطبري ، علي بن عبدالقادر : الأرج المسكي في التاريخ المكي . المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، ١٤١٦هـ
٥١. الطرابلسي ، إبراهيم بن موسى بن أبي بكر: الإسعاف في أحكام الأوقاف ، مكتبة الطالب الجامعي ،مكة ، د.ت
٥٢. الغزالي ، أبي حامد حمد بن محمد: الوسيط في المذهب. دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ
٥٣. الفاسي ، أبو الطيب تقي الدين محمد : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ
٥٤. الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ
٥٥. الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير. دار القلم ، بيروت ، د.ت .
٥٦. القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس: الذخيرة. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م
٥٧. القرطبي، أبو عبدالله : الجامع لأحكام القران. دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ
٥٨. القشيري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح. دار التحرير الشرقية، القاهرة، ١٣٨٤هـ
٥٩. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي:صبح الأعشى في صناعة الإنشاء.

طبعة القاهرة ، ١٩٢٢م
٦٠. القيرواني ، عبدالله بن عبدالرحمن: النوادر والزيـــادات . دار الغـــرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٩م
٦١. المرغيناني ، برهان الـــدين: الهدايـــة. المطبعـــة الخيريـــة، القـــاهرة، ١٣٢٦هـــ
٦٢. المقدسي ، بهاء الدين عبدالرحمن بن إبراهيم : العـــدة شـــرح العمـــدة .المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٧هـــ
٦٣. المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : السلوك لمعرفـــة دول الملـــوك . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـــ
٦٤. المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٦م
٦٥. النسفي، أبي البركات عبدالله بن احمد: البحر الرائق شرح كنز الدقائق. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـــ
٦٦. النعيمي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس. دار الكتـــب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠هـــ
٦٧. النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف: روضـــة الطـــالبين وعمـــدة المفتين. دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـــ
٦٨. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: شرح النووي على صحيح مـــسلم. ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـــ

ثانياً: المراجع

٦٩. أبا الخيل ، سليمان بن عبدالله ، الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٤٢٥هـــ
٧٠. ابن سعدي ، عبدالرحمن بن ناصر : تيسير الكريم الرحمن في تفـــسير كلام المنان . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٣هـــ
٧١. أبو زهرة ، محمد : محاضرات في الوقف. دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٢٥هـــ

٧٢. الأكوع ، القاضي إسماعيل بن علي : المدارس الإسلامية في الـيمن . ط٢، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ
٧٣. أمين ، محمد محمد : الأوقاف والحياة الاجتماعيـة فـي مـصر . دار النهضة العربية ، القاهرة
٧٤. الأنصاري ، ناجي محمـد : التعلـيم فـي المدينـة المنـورة . ب.ن، ١٤١٤هـ
٧٥. بك، أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسـلام. ط٢، دار الرائـد العربي ، بيروت ، ١٤٠١هـ
٧٦. بنعبد الله ، محمد بن عبدالعزيز : الوقف في الفكر الإسـلامي . وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ١٤١٦هـ
٧٧. البيتي ، حسن عمر : المقاصد التربوية للوقف .النهار للطبع والنـشر ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ
٧٨. جابر،عبدالحميد، كاظم، احمد: منهج البحث في التربية وعلـم الـنفس، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٧م
٧٩. جمعة ، عماد علي : المكتبة الإسلامية . ط ٣ ، دار المسلم ، الرياض ، ١٤٢٦هـ
٨٠. جيدة ، أحمد خالد : المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام فـي العـصر المملوكي . المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ١٤٢٢
٨١. الحجي ، حياة ناصر : السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده . مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٣هـ
٨٢. الحصيني ، محمد أديب آل تقي الدين : منتخبات التواريخ لدمشق ، دار الآفاق الجديد ، بيروت ،١٣٩٩هـ
٨٣. حمادة ، محمد ماهر : المكتبات في الإسلام . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٨م
٨٤. الخضري بك ، محمد : الدولة العباسية ، المكتبة العصرية ، بيـروت ، ١٤٣٠هـ

٨٥. خليفة ، شعبان عبدالعزيز : الكتب والمكتبات في العصور الوسطى . الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١٨هـ
٨٦. خواجي ، مجدي بن محمد : محمد الهمداني (شاعر الدولة الرسولية) . مؤسسة الرسالة ؛ بيروت ، ١٤٢٢هـ
٨٧. الخوجة ، محمد : تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد. ط٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥م
٨٨. الدسوقي ، محمد : الوقف ودوره في تنمية المجتمع الإسلامي ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٢١هـ
٨٩. الدهلوي، شاة ولي: حجة الله البالغة. تحقيق سيد سابق، دار الجيل، بيروت ، ١٤٢٦هـ
٩٠. رؤوف ، عماد عبدالسلام : مدارس بغداد في العصر العباسي. مطبعة دار البصري ، بغداد ، ١٣٨٦هـ
٩١. الرازي، الامام محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح. مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٤م
٩٢. رضا ، الشيخ أحمد: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٨٠هـ
٩٣. الزحيلي ، وهبة : الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي . ط٢، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٩هـ
٩٤. الزحيلي، وهبة: الفقه الإسلامي وأدلته . ط٤، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٨هـ
٩٥. زغروت ، فتحي : النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي . الأندلس الجديدة للنشر ، مصر ، ١٤٣٠هـ
٩٦. ساعاتي، يحيى محمود: الوقف وبنية المكتبة العربية. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٠٨هـ
٩٧. سالم ، سحر السيد عبدالعزيز : دراسات في تاريخ مصر في العصرين

الأيوبي والمملوكي . مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٥.

٩٨. السباعي ، مصطفى : من روائع حضارتنا . دار الـوراق، الريـاض، ١٤٢٠هـ

٩٩. السعد ، أحمد محمد، العمري ، محمد علي: الاتجاهات المعاصرة في تطوير الاستثمار الوقفي. الأمانة العامة الأوقاف الكويت ، ١٤٢١هـ

١٠٠. السنيدي ، عبدالعزيز بن راشد : المدارس اليمنيـة فـي عـصر الدولة الرسولية . مطبعة سفير ، الرياض ، ١٤٢٤هـ

١٠١. الشافعي ، أحمد محمود :الوصية والوقف في الفقـه الإسـلامي. الدار الجامعية، بيروت ، ٢٠٠٠م

١٠٢. شافعي ، حسين عبدالعزيز : الأربطة في مكـة المكرمـة منـذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي . مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤٢٦هـ

١٠٣. شلبي ، محمد مصطفى: أحكام الوصايا والأوقاف. ط٣ ، مطبعة دار التأليف بالقاهرة ، ١٣٨٦هـ

١٠٤. الصالح ، محمد أحمد ، الوقف في الشريعة الإسلامية . ب. ن ، الرياض ، ١٤٢٢هـ

١٠٥. صبري ، عكرمة سـعيد : الوقـف الإسـلامي بـين النظريـة والتطبيق، دار النفائس، الأردن ، ١٤٢٨هـ

١٠٦. الصلابي ، علي محمد : تاريخ دولتي المرابطين والموحدين فـي الشمال الإفريقي . ط٢، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٦هـ

١٠٧. الصلابي، علي محمد محمد: الأيوبيون بعد صلاح الدين. المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ

١٠٨. الضحيان، عبدالرحمن بن إبـراهيم: الأوقـاف الإسـلامية. دار المآثر، المدينة المنورة ، ١٤٢١هـ

١٠٩. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيـان فـي تأويـل

القرآن. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ

١١٠. عبد المهدي ، عبدالجليل حسن : المدارس في بيت المقدس . مكتبة الأقصى ، عمان ، ١٩٨١م

١١١. عبيدات،ذوقان وآخرون:البحث العلمي مفهومه وادواته. دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م

١١٢. العثيمين ، محمد صالح : الشرح الممتع على زاد المستقنع . دار ابن الجوزي ، الدمام ، ١٤٢٦هـ

١١٣. العساف، صالح: المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ

١١٤. العقاد ، عباس محمود : العرب والحضارة الأوروبية . دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٩م

١١٥. العلي ، إبراهيم محمد : شيخ الإسلام ابن تيمية. دار القلم ، دمشق ، ١٤٢١هـ

١١٦. علي ، محمد كرد : خطط الشام . دار العلم للملايين، بيروت ، ١٣٩٠هـ

١١٧. عنان ، محمد عبدالله : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ

١١٨. الفقي ، عصام الدين عبدالرؤوف : بلاد الهند في العصر الإسلامي . دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٣٢٦هـ

١١٩. الفقي ، عصام الدين عبدالرؤوف : دراسات في تاريخ الدولة العباسية . دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٩هـ

١٢٠. فكري ، أحمد : مساجد القاهرة ومدارسها. دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٢١. اللميلم ، عبدالعزيز محمد : رسالة المسجد في الإسلام .ب.ن، ١٤٠٧هـ

١٢٢. محمد، يسري محمد:جامع الفقه.دار الوفاء، المنصورة، ١٤٢١هـ

١٢٣. المرصفي، سعد: أحاديث الوقف الإسلامي ودوره في بناء المجتمع. دار القبلتين، الرياض، ١٤٢٦هـ

١٢٤. مشهور ، نعمت عبد اللطيف : أثر الوقف في تنمية المجتمع . مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي ، جامعة الأزهر ، ١٩٩٧م

١٢٥. معروف ، ناجي : أصلة حضارتنا العربية . ط٣، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٥م

١٢٦. معروف ، ناجي : المدارس الشرابية ببغداد و واسط ومكة . ط ٢ ، ساعدت جامعة بغداد على طبعة ، بغداد ، ١٩٧٥م

١٢٧. معروف ، ناجي : تاريخ علماء المستنصرية . ط٢، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٨٤هـ

١٢٨. معروف ، ناجي : مدارس مكة . مطبعة الإرشاد . بغداد ، ١٣٨٦هـ

١٢٩. النباهين ، علي سالم : نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر . دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٨١م

١٣٠. الهيتي ، عبد الستار إبراهيم : الوقف ودوره في التنمية . وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ،١٤١٩هـ

١٣١. يالجن ،مقداد:مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، دار عالم الكتاب، الرياض، ١٤١٩هـ

١٣٢. اليسوعي، لويس معلوف: المنجد في اللغة .المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٠م

١٣٣. يكن ، زهدي : المختصر في الوقف . ب. ت ، بيروت ، ١٩٦٦م

ثالثاً: رسائل علمية

١٣٤. الحجيلان ، أحمد بن عبدالله : التعليم العــالي إدارة وتنظيمــاً . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعــة أم القــرى ، مكــة المكرمــة ، ١٤١٤هـ

١٣٥. الحسيني، أبو طالب علي: أحكام نظارة الوقف. رسالة ماجــستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٨هـ

١٣٦. الحضرمي، نوف: تفعيل دور الوقف في تمويل الجامعات، رسالة دكتــوراه غيــر منــشورة، كليــة التربيــة، قــسم الإدارة التربويــة والتخطيط،جامعة أم القرى،١٤٢٥هـ.

١٣٧. الزهراني، علي: نظام الوقف في الإسلام حتى نهايــة العــصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منــشورة، كليــة الــشريعة، قــسم الدراسات العليا الحضارية، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ.

١٣٨. منصور ، سليم هاني : الوقف ودوره في المجتمــع الإســلامي المعاصر. رسالة دكتــوراه منــشورة ، مؤســسة الرســالة ، بيــروت ، ١٤٢٥هـ

١٣٩. المهيدب، خالد بن هدوب بن فوزان: أثر الوقف على الدعوة إلى الله تعالى. رسالة ماجستير منشورة، دار الوراق ، الرياض ، ١٤٢٥هـ

رابعاً: بحوث وندوات

١٤٠. إبراهيم ، مصطفى علي : دور الوقف في تنمية المجتمع . نــدوة إحياء دور الوقف في الدول الإسلامية ، رابطــة الجامعــات الإســلامية بالتعاون مع جامعة قناة السويس ، بورسعيد ، ١٩٩٨م

١٤١. أبو الأجفان ، محمد : بحث الوقف على المسجد فــي المغــرب والأندلس . المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي ، جامعــة الملــك عبدالعزيز ، جدة ، ١٤٠٥هـ

١٤٢. الأكوع ، القاضي إسماعيل بن علي : كيــف أدى الوقــف دوره

خلال التاريخ . ندوة أهمية الأوقاف الإسلامية في عالم اليوم المنعقدة بلندن ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، عمان ، ١٤١٧هـ

١٤٣. أمين ، محمد محمد : ازدهار الأوقاف في عصر سلاطين المماليك . مؤتمر الأوقاف الأول ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٢هـ

١٤٤. أمين ، محمد محمد : بحث الأوقاف ونظام التعليم في العصور الوسطى الإسلامية . ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي والإسلامي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بغداد ، ١٤٠٣هـ

١٤٥. البدوي ، إسماعيل إبراهيم: الوقف مفهومه وفضله . مؤتمر الأوقاف الأول ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٢هـ

١٤٦. الجندي ، محمد الشحات : حول رؤية مستقبلية لنظام الوقف الإسلامي . ندوة إحياء دور الوقف في الدول الإسلامية ، رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة قناة السويس ، بورسعيد ، ١٩٩٨م

١٤٧. الجهني، مانع بن حماد: الإفادة من التجارب المعاصرة لبعض الدول الإسلامية في مجال الوقف. بحث مقدم لندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية ، مكة المكرمة ، ١٤٢٠هـ

١٤٨. حجار ، طارق بن عبدالله : المدارس الوقفية في المدينة المنورة . مؤتمر الأوقاف الأول ،جامعة أم القرى ، ١٤٢٢هـ

١٤٩. دنيا، شوقي أحمد: أثر الوقف في إنجاز التنمية الشاملة. مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، عدد٢٤، ١٤١٥هـ

١٥٠. الزرقا ، أنس : الوسائل الحديثة للتمويل والاستثمار . وقائع الحلقة الدراسية لتثمير ممتلكات الأوقاف ، البنك الإسلامي للتنمية ، جدة ، ١٤١٥هـ

١٥١. سعيد ، شايف عبده : الحياة الاجتماعية في عهد الدولة الرسولية

. ندوة الحياة العلمية والفكرية في عهد الدولة الرسولية ، جامعة عــدن ، الجمهورية اليمنية ، ١٤٢٢هـ
١٥٢. سلطان العلماء ، محمد عبدالرحيم ، أبو ليــل ، محمــد أحمــد: الوقف مفهومه وفضله. مــؤتمر الأوقــاف الأول جامعــة أم القــرى ، ١٤٢٢هـ
١٥٣. السيد ، عبدالملك أحمد : الدور الاجتماعي للوقف . ط٢.وقــائع الحلقة الدراسية لتثمير ممتلكات الأوقاف، البنك الإسلامي للتنمية ، جدة ، ١٤١٥هـ
١٥٤. الشريف، محمد عبد الغفار: تجربة النهــوض بالــدور التنمــوي للوقف في دولة الكويت. مؤتمر الأوقــاف الأول ، جامعــة أم القــرى ، ١٤٢٢هـ
١٥٥. شكري ، محمد سعيد : في التأريخ السياسي للدولة الرســولية . ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية . جامعــة عــدن الجمهورية اليمنية . ١٤٢٢هـ
١٥٦. صبرة ، عفاف سيد محمد : المدارس في العصر الأيوبي . ندوة المدارس في مصر الإسلامية ، الهيئة المــصرية للكتــاب ، القــاهرة ، ١٩٩٢م
١٥٧. صقر ، عطية عبدالحليم :اقتصاديات الوقف. نــدوة أحيــاء دور الوقف في الدول الإسلامية ، رابطة الجامعات الإسلامية بالتعــاون مــع جامعة قناة السويس ، بورسعيد ، ١٩٩٨م
١٥٨. عبدالمنعم ، محمود عبدالرحمن: الوقف مفهومه وفضله. مؤتمرا الأوقاف الأول ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٢هـ
١٥٩. عثمان ، قائد حميد : الرسوليون موطنهم ونسبهم وبواكير دولتهم . ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية ، جامعة عدن ، الجمهورية اليمنية ، ١٤٢٢هـ

١٦٠. العرجاوي، مصطفى: الوقف وأثره على النــاحيتين الاجتماعيــة والثقافية في الماضي والحاضر. ندوة إحيــاء دور الوقــف فــي الــدول الإسلامية، نظمتها رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعــة قنــاة السويس، بور سعيد، ١٩٩٨م

١٦١. العسلي ، كامل جميل : بحث مؤسسة الأوقاف ومــدارس بيــت المقدس . ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإســلامي ، المنظمــة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بغداد ، ١٤٠٣هـ

١٦٢. العمراني، عبدالله بن محمد: دور الوقف في دعم البحث العلمي. جلسات منتدى الشراكة المجتمعية ، جامعة الإمــام محمــد بــن ســعود الإسلامية، الرياض ، ١٤٣٠هـ

١٦٣. فداد ، العياشي الصادق : الوقف مفهومــة شــروطه أنواعــه . مؤتمر الأوقاف الأول ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٢هـ

١٦٤. الكبيسي ، محمد : مشروعية الوقف الأهلي ومدى المصلحة فيه. ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإســلامي ، المنظمــة العربيــة للتربية والثقافة والعلوم ، بغداد ، ١٤٠٣هـ

١٦٥. مدني ، غازي عبيد ، السيد ، عبد الملك أحمد : الوقف الإسلامي والدور الذي لعبة في النمو التعليمي . منظمة المؤتمر الإســلامي جــدة ، الدورة الثالثة عشرة

١٦٦. المعيلي ، عبدالله بن عبدالعزيز : دور الوقف في العملية التعليمية . ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، مكة المكرمة ، ١٤٢٠هـ

١٦٧. المنوني ، محمد : دور الأوقاف المغربية في التكامل الاجتماعي . ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي ، المنظمــة العربيــة للتربية والثقافة والعلوم ، بغداد ، ١٤٠٣هـ

خامساً: مواقع انترنت

١٦٨. بيــان وزارة الماليــة حــول ميزانيــة الدولــة للعــام المــالي ١٤٣٢/١٤٣١هــ ، الموقــع الرســمي لــوزارة الماليــة الــسعودية، www.mof.gov.sa

١٦٩. القرة داغي ، على محــي الــدين : نظــرة تجديديــة للوقــف واســــتثماراته . موقـــــع الإســــلام أون لايــــن نــــت ٢٠٠٣م . www.islamonline.net

١٧٠. شعث ، شوقي : الخانقاة (الخانكاة) فــي التــراث الحــضاري الإســــــلامي . موقـــــــع المبـــــــدعون العـــــــرب ، ٢٠٠٦م ، www.arabiancreativity